أنور السادات





كتب للجميع

العدد ٨٤

١٠

عدد ممتاز



تصدر عن

دار التحرير للطبع والنشر

المطبعة العالمية - ١٦ شارع سعد بالقاهرة

مقدمة بقلم

الرئيس جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب القائمقام انور السادات ، وساءلت نفسى عما دفعنى لهذا الاعجاب به ، فجاءنى الرد المنطقى فورا، انه مضمونه المتحلى بسلامة الاسلوب ، وقوة التعبير ، وطابع البساطة فى سرد الحوادث ، وعرض المواقف ، فى الوقت الذى ارى فيه المؤلف قد تجنب الحديث عن نفسه . فنجده لم يعمد لكتابة قصة حياته ، ولم يقم بتحقيقات صحفية كبرى ، بل قدم لنا سلسلة رائعةمتصلة من المشاهدات التى مرت تحت بصره وسمعه ، فجاء كتابه مجموعة لصور حية ، جمعتها ريشة رسام ماهر ، وصورتها فى صورة واحدة، ابرزت من مجموعها حقائق واسانيد،تتيح لنا دراسة احوال مصر المعاصرة عن كثب .

ان شخصية انور السادات ، لجديرة بالاعجاب ، خليقة بالاطراء ، فعبقريته العسكرية المتازة ، وشجاعته ، ورباطة جاشه ، واخلاصه وتفانيه فى خدمة المثل العليا ، الى جانب قوة ارادته ، وتنزهه عن الغرض ، ورقة عواطفه ، وميله الغريزى للعدالة والانصاف ، كل هذه الصفات جعلته اهلا للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢، والسير بها قدما فى سبيل النجاح .

لقد استخدم انور السادات هذه السجايا فى جميع ادوار حياته،كما احسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ،فنجده قد سجن فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بامر العدو المستعمر ،ثم

اعيد اعتقاله عام ١٩٤٤ لنشـاطه الوطنى ، ولكم تحمل من الوان الحرمان والتعـذيب ، فلم تهن عزيمتـه ، ولم تتزعزع عقيدته ، لا ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخا وايمانا، ولا غرو ، فعلى قـدر اهل العزم تؤتى العزائم ، فـكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصةللتفكير ، والتفكير مليا ،حتى رجع بتمعنه وتاملاته الى آلاف السنين الخوالى ، وطالع ماكان خلالها من مطـامع العـالم التى شخصت وتجمعت حول هـذا البلد الطاهر ، فظل الشعب المصرى الابى الـكريم رازحا تحت نير الاسـتعباد ، ردحا طويلا من الزمان ، متخلفا بذلك عن تقـدم سائر البلدان ، فما كاد يفر من معتقله ، حتى صار رمزا حيـا للمطالبة بالحرية ، ومعبرا صادقا للشـعور الجامح الذى سرى فى شـعب وادى النيل اجمع ، من البحر الابيض المتوسط حتى اعالى خط الاستواء ، مطالبا بالتحرر من الظلم والاسـتعباد والطغيان .

ها هو ذا يـكافح بهمة لاتعرف الـكلل فى سـبيل المثل العليا ، فى الوقت الذى نرى فيه الجموع العالمية ، تطالب ايضا بتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولا جدوى فى انكار مطالبها .

لقد عمل الضباط الاحرار جاهدين ، من اجل اذكاء الحماسة فى القلوب التى ابتاست،واشعال الجذوة فى النفوس التى اتقدت، حتى يستطيع الشعب الكريم ، مجابهة عدوه اللدود الممثل فى ثلاث ((الملـكية . الاقطاع والاستعمار))

كان النظام الملـكى الرجعى المنوط باسرة اجنبية ، حائلا دون تقدم البـلاد ، فكان اول لزام على الثورة ، ان تهدمه تمـاما وتقضى عليه ، لتفسح الطريق امام نهضـة البـلاد ، ثم اصبح لزاما عليها بعد ذلك ان تقتلع جذور الفساد والمحسوبية والرشوة والرجعية والحزبية المغرضة البغيضـة ، حتى تطهر البلاد من الادران ، واخـيرا وليس بآخرا كان لزاما على الثورة ان تعبىء

الشعور العام ، وتدرب الجموع المتكتلة الحاقدة على عـدوها الغاصب لمجابهة ذلك العدو بكل ثقة واطمئنان ... وقد كان .

وكم من مرة تارجحت سفينة الثورة ، فى ذلك اليم المتلاطم الأمواج ، اذ لم يكن من اليسير مقاومة قوى الانحلال الهدامة ، وما اليها من تقاعس وتهاون وخيانة . كان الكفاح طويلا مريرا، ولـكن المثابرة لم تذهب سدى ، فظلت السـفينة ثابتة عاتية تتكسر الامواج على دروعها القوية الواحدة تلو الاخرى ،ومضت السفينة تشق طريقهــا قدما ، فقامت مصر الحـديثة ، مصر الجمهورية الفتية .

والآن ، وقد استرد الشعب عزته، واستعاد حريته ،وأصبح يشعر بكرامته ، ويدرك حق الادراك مصالحه العليا ، المؤسسة على التحرر من الاستعمار والمساواة المدنية والسياسية ، نجد أن الفوارق الاجتماعية التى كانت شاسعة البين ، قد انهارت فاسحة الطريق امام القيم الأخلاقية التى تقدمتها،وقدتضافرت فيها الجهود ، وتوجهت بعزيمة لاتعرف الـكلل الى الاعمــال الناهضة الانشائية ، فالشـعار الصريح الواضح لعهدنا الجديد هو التعاون التام للعمل والانتاج .

لقد تسلمت الثورة القيم الوطنية وديعة بين يديها ،وستسير بالشعب المصرى قدما ، فى طريق الانشاء والتعمير ، المحـاط بجو الهـدوء والاستقرار ، وسـتتقدم بالأمة فى سبيل الرقى والازدهار .

شاهدت مصر فى خلال السنوات العشرين الاخيرة ، احداثا بدت لاول وهلة ، متشعبة الاطراف ، متعثرة الفهم والادراك ، فاذا ماحققنا فيها النظر عن كثب ، لراعنــا مافيها من خيوط مرتبطة بعضها ببعض ، تقودنا لنتيجة واضحة ، فروح السخط التى سادت الجيش من جراء فســاد الحكم ، والتالم المرير

الذى شعر به المصريون اثر احتلال ارض الوطن وعزوف المسئولين عن اجراء اصلاحات اساسية واجبة ، وحرب فلسطين ، الى غير ذلك ... فاذا ما اقتفينا اثر هـذه الخيوط لتكشف امامنا منطق واضح سليم ، ادى بنا للنتيبجة الحتمية التى حدثت ، وجعلت ماكان يبدو غامضا فى بادىء الأمر ، واضـحا جليا فى نهايته .

لقد حلل المؤلف فى كتابه الشخصيات والاحداث تحليلا دقيقا ، مما جعل الكتـاب مرجعا قيما يعتد به ، حاولت جاهـدا ان أوضح مضمونه وان الخص فصوله المتعددة ، فلم أجـد خير من هذه الجملة المختصرة

((انه ولا شك لمن خلاصـة البواعث الخفية ، والاســباب السيكولوجيية ، لثورتنا السلمية))

وقف الـكتاب قرب منتصف عام ١٩٥٢ ، سنة التحرير والبعث ، التى سجلت أحداثا خطيرة لبلادنا ، اذا ما اسـتعدنا ذكراها ، لرأينا عهدا بائدا تغرب شمسه ، وعهدا جديدا ناهضا تشرق أنواره .

شـكرا للمؤلف فقد أتاح لنا ان نرى فى الحاضر المزدهـر الخصيب ، ما يبشر بالمستقبل الباسم الزاهر .

جمال عبد الناصر



((القائمقام أنور السادات))

مفاجأة مع الفجر

- ذهب الملك .. تحيا القيادة !
- أسلحة جديدة لتضليل الشعب .
- هل هم من جماعة الأخوان ؟
- اثنا عشر ملكا بدلا من فاروق
- الانتخابات دائما سياسة سادة الموقف
- الثورة الرشيدة لا تقبل وصاية من أحد

ان أحدا لم يكن يتوقع شيئا عندما نام ليلته فى نهاية اليوم الثانى والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ، فلما أصبح الصباح كان الناس فى شبه ذهول. فقد توالت الاحداث منذ الفجر على صورة لم يألفها هذا الشعب ولا كانت تستطيع أن تطوف بخياله ، بعد أن تاهت منه أحلامه وآماله ، فى ظلمة الايام وسواد الليالى ، طيلة اشهر ستة ثقيلة مرة ...

رأى كفاحه المسلح من أجل حريته ، ينتكس فجأة يوم ٢٦ يناير ... ورأى مدينته العزيزة تشتعل بالنار التى انطفأت فى اليوم نفسه من معسكرات اعدائه ... ورأى أبناءه الذين ذهبوا يذودون عن شرفه وحريته ، يعودون الى المدينة مكبلين بالاغلال ، ليقضوا أيامهم خلف أسوار المعتقل ... ثم رأى نفسه ، وقد أصبح فى نظر الحاكمين خطرا داهما على أرضه ، ووطنه ومدينته ، فألزموه البيت كلما جاء المساء ، عقابا له على انطلاق آماله ، والزاما له بالتكفير عن خطاياه ...

ورأى الاشاعات والمخاوف تملأ الجو من حوله ، حلقات الخيانة والدسائس تحيط بحياته ، وخمسا من الوزارات تتابع على مقاعد حكمه العرفى ، لم يعرف لماذا اتت ، ولا لماذا ذهبت ولكنه لعنها جميعا فى سره وفى علنه ... وما كان يملك غير هذه اللعنات ، وقد سلب القدرة على العمل ، وسدت فى وجهه منافذ الآمال ...

وفجأة ، وبدون أية مقدمات ، تحرك الجيش وتوالت الاحداث

وفى صباح ٢٣ يوليو ، كان الناس بين مصدق ومكذب .. كانت الفرحة تشملهم ، ولكنها فرحة تشوبها المخاوف ، وتنتابها الظنون والتكهنات لان البيان الذى طلع عليهم لم يشف نفوسهم ، ولم يضىء أمامهم كل المصابيح

وجاء الاصدقاء الى القيادة ، ونفوسهم تحترق على مصيرنا ، اذا نحن لم نجهز على الملك ، واذا نحن حصرنا هذه الضربة فى نطاق الجيش وحده ، كما فهموا من البيان ...

وأخذوا يذكرون الفساد والاستهتار وما آلت اليه البلاد من فوضى سياسية وخلقية ومعنوية ... ويطالبوننا بالعمل الكبير الحاسم قبل أن تضيع الفرصة ، وتفلت الآمال ...

وكان هؤلاء جميعا أصدقاء .. مجرد أصدقاء شبانا مخلصين ... ولم يكن بينهم واحد فقط من رجال السياسية وقتذاك ..

ومضى يوم ٢٣

ومضى يوم ٢٤

ومضى يوم ٢٥

مرت هذه الايام الثلاثة ، ولم نسمع فيها كلمة من سياسى واحد ، ولم نر فيها وجها لسياسى واحد ...

لقد لزم فيها جميع السياسيين بيوتهم ، واعتصموا بالصمت والحذر ، فلم يتحرك منهم الا أولئك النفر الذين ظنوا أن الملك باق على عرشه ، فهرعوا يقيدون اسماءهم فى سجل التشريفات ... يوم ٢٤

وجاء يوم ٢٦

وما ان وافت الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ، وكان قد عرف فى دوائر السياسة أن فاروق قد وقع التنازل وانه بسبيل مغادرة البلاد فى الساعة السادسة ، حتى وقعت المعجزة ...

وكانت المعجزة ، هى خروج السياسيين من جحورهم ، وتقاطرهم علينا

وفود ، وفود من السياسيين ، من جميع الالوان والمذاهب والاتجاهات، تطرق أبوابنا فى مقر القيادة بثكنات مصطفى باشا ، ابتداء من الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ...

جاءوا الينا جميعا ، حتى أولئك الذين قيدوا أسماءهم قبل الامس ... ولاء واخلاصا فى سجل تشريفات الملك ...

ولم يضيع السياسيون وقتا بعد ذلك ...

فمنذ الصباح فى يوم ٢٧ ، بدأت كل هيئة سياسية ، بل بدا كل سياسى فى هذا البلد ، يعد نفسه لمعركة جديدة يحلم فيها بدور البطل ...

لا شيء قد تغير ، فى نظر السياسيين والهيئات السياسية .

لا شيء ، الا اختفاء شخص الملك ، وظهور أشخاص رجال القيادة ...

كان لسانهم الناطق يقول : ذهب الملك تحيا القيادة !!

وهذا التغير الشكلى ، قد يستتبع تغييرا فى الاساليب ، وتجديدا فى اسلحة السياسة ، ولكنه لا يستتبع أبدا ، تغييرا فى الهدف ... الهدف الرئيسى لاحتراف السياسة منذ وجد فى مصر محترفوها ...

ومثلما خاض السياسيون المعارك تحت أقدام فاروق فى سبيل الوصول الى أسلاب الحكم ومغانمه بدأوا منذ اللحظة الاولى لطرده يخوضون معركة جديدة ، يقتسمون فيها هذه الاسلاب والمغانم ...

وكان لا بد أن يختار كل منهم سلاحا جديدا يناسب لون المعركة الجديدة .. وكان لا بد أن يكون السلاح براقا أمام أسلحتهم القديمة ...

وكان هذا البريق ، هو المنطق المعقول الذى يحـــاولون الدخول به الى الاذهان . فاذا ما انفتحت عقول الناس لهم ، أكملوا القصة بأكاذيب وأراجيف تعودوا صياغتها ، لكى يصلوا الى ما يبتغون

وكانت عقول الناس فعلا ، مهيأة لقبول أى منطق معقول ..

وقد رأى النـــــاس أشياء لم يستطيعوا فهمهـــا ، وسمعوا عن أســـماء لا يعرفون عن أكثر أصحابها شيئا ، وترددت فى آذانهم اشاعات لا يستطيعون تكذيبها لان الحقائق لا تزال مستورة عن عيونهم .

كان الناس يريدون أن يعرفوا من امر هذه الثورة ومن امر الرجال الذين يقودونها كل شىء

كانوا يريدون أن يعرفوا من نحن وأين كنا وكيف اجتمعنا ومتى اجتمعنا وكيف أعددنا خطتنا وما هى تفاصيل هـــــذه الخطة وكيف نفذناها وماذا ننتوى ... وهل لدينا مشروعات معدة وماذا يدور فى رءوسنا وماذا سوف نصنع .. وكيف نجحنا ... ؟

هل من ورائنا قوة معينة ... وما هى هذه القوة .. ؟

هل فى صدورنا اتجاه معين .. وما هو هذا الاتجاه .. ؟

أسئلة كثيرة كانت تدور برءوس المصريين جميعا ولم يكونوا يجدوا لهـــا جوابا منا .. ولكن .. كانت الاشاعات تجيب ..!

وانطلقت أول اشاعة تقول ان هـــــذه الثورة ، ثورة اخوانيـــة يقودها ويوجهها من وراء الستار الاخوان المسلمون

وكانت هذه الاشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد صدقها ...

فقد كان أول اجراء اتخذته الثورة كجزء من برنامجها الضخم فى ازالة آثار الماضى البغيض ، ومحاسبة المسئولين عنه بالحق والعدل ، هو الامر

الذى صدر باعادة التحقيق فى قضية مقتل المرحوم حسن البنـا ، مرشد الاخوان المسلمين ...

ولم يقل الناس أن هذا مصرى قد قتـل بليل ، وأحاطت بالتحقيق فى مقتله ، ظروف مريبة ، واتخذت فيه اجراءات شاذة ... ثم طوى على سر دفين ، وقاتل مجهول .. لم يقل النـاس هذا ولم يقولوا ان من حقهم كمصريين أن يعاد التحقيق فى هذه الجريمة المنكرة وأن يؤخذ جناتهـا بالقصاص ...

ولكن قالوا ، ان خلف الثورة ، جماعة الاخوان المسلمين ..

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير ...

ان كانت هناك صلة بين هذه الثورة ، وبين الاخوان المسلمين ... فمتى بدات !

والى اى مدى وصلت ؟

وماذا كانت أهدافها ؟

وماذا انتجت ؟

وهل استمرت ، أم انقطعت ؟

وفى جملة واحدة

ماهى قصة الثورة مع الاخوان المسلمين ؟

سؤال واحد ، يعود بالذاكرة الى اثنى عشر عاما قبل ظهور هذه الثورة .. الى عام ١٩٤٠ عندما بدات قصتنا مع الاخوان

وهذه القصة لا يعرفها المصريون ، ولا يعرفها جمهرة الاخوان ولا يعرفها العدد الاكبر من رجال قيادة الاخوان . وكل ما يعرفه المصريون هو ماذاع من اشاعات بعد ذلك بأيام .

ومع ذلك ... فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من مظاهر ، ومن اشاعات .. ومن محاولات ...

فقد كان هناك الوفد أيضا ...

وللوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لا يعرفهـا المصريون ... ولا يعرفها أيضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم .

فالناس لا يعرفون ان اتصالنا بالوفد قد بدأ قبـل ظهور الثورة بزمن

طويل .. ولا يعرفون اننا فى وقت من الاوقات قد وضعنا خطتنا على اساس أن نأتى بالوفد ونفرضه فرضا على فاروق ، كشرارة أولى للثورة ، ثم نكمل نحن التنفيذ الخطر . .

لايعرف الناس شيئا من كل هذا ، ولا يعرفون كيف تخاذل الوفد عن القيام بدوره فى هذه الخطة ، ولا لماذا ...

ولكن هذا كله يعرفه بعض زعماء الوفد .. الذين حاولوا بعد يوم ٢٧ يوليو أن يفرضوا وصايتهم على الثورة ... وأن يمهدوا لهذه الوصاية بسيل كبير من الاشاعات والروايات ، والمظاهر . . وأن يحاولوا خلق امر واقع يحيطون به الثورة ويلبسونها ثوبا لم تفكر فيه يوما من الايام !!

وقد بدا هذا بمجرد عودة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين من الخارج فى الاسبوع الذى تلا طرد فاروق .





عاد الرجلان .. فعاد النشاط الى اقصاه فى صفوف الوفد
الاجتماعات المتتالية تعقد ...
ومندوبو الصحف يسهرون الليالى فى دار الزعامة ...

وأعمدة الصحف تمتلىء كل يوم بالاخبار والاسرار والتكهنات والقرارات الخطيرة التى يتخذها رجال الوفد . . !

وعاد الشباب الوفدى فورا . يملأ ردهات النادى السعدى ، وعاد الهمس وعادت الهتافات وسارت الاشاعات ، تشكل الوزارة ، وتملأ المناصب الهامة فى الدولة ، وتتكهن بالمستقبل وتحدد تواريخ الاحداث الخطيرة المقبلة .

وسمع الناس أيضا هذه الاشاعات . . ثم لم يسأل احد منهم نفسه سؤالا واحدا ، يستطيع أن يقضى عليها . . .

لماذا عاد النحاس وسراج الدين من مصيفهما بأوربا عقب الثورة مباشرة ؟ !

أيمكن ان يكون الزعيمان الكبيران قد ارتحلا الى اوربا ابان اعنف الازمات السياسية التى وقعت فى تاريخ مصر . . . وخلال تلك الليالى التى مرت بشعب مصر ، منذ احترقت القاهرة ، واضطربت كل موازين الحكم فيها ، أيمكن ان يكون الرجلان قد سافرا الى اوربا ليفكرا هناك بهدوء فى امر هذا الشعب الذى يزعمان زعامته ، وهذا البلد الذى حطمه الخراب والطغيان

لماذا يتركان البلاد فى محنتها ، فلا يعودان اليها الا يوم يترامى الى اسماعهما حديث الثورة ، فينبه فيهما شهوة جائعة الى الغنيمة ، وقد ظنا انها اصبحت سهلة بلا حواس ؟ ! .

ولكن سؤالا كهذا لم يطف بخاطر احد ممن سمعوا اشاعات الوفد تنطلق فى كل يوم . . .

وبينما كان الناس فى دوامة الاشاعات كان سراج الدين يعد خطة الاستيلاء على الغنيمة . . .

وكانت خطة الوفد فذة فى نوعها . . .

فقد بلغ النشاط الوفدى اقصاه ، وملأت الاشاعات جميع الأذان ، اشاعات ان الوفد قد سيطر على الموقف تماما ، وان قادة الثورة قد أيقنوا انه لاسبيل لهم الى تحقيق اى هدف من اهداف الثورة ، الا اذا احتضن الوفد هذه الاهداف . . .

وكانت عودة النحاس وسراج الدين من الخارج عقب الثورة مباشرة والزيارة التى قام بها النحاس الى الرئيس فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، من الدعائم القوية التى استندت اليها هذه الاشاعات لتصل الى الناس فى صورة الحقائق الثابتة المقررة . . .

ولم يبق امام الوفد الا ان يقنعنا نحن أيضا بصحة هذه الاشاعات التى اطلقها . . عنا !

كان الوفد فى هذه المرة يسير وفق خطة على درجة طيبة من الاحكام . .

فكان ما نسمعه من فؤاد سراج الدين هو نفس ما نسمعه من الشباب الوفدى جميعا على اختلاف ثقافتهم وألوانهم ...

وكان الهدف من هذا النشاط والهتافات والاشاعات والتحركات ، هو اشعار البلد أولا بأن الوفد يضع خطة المستقبل بوصفه حزب الاغلبية الذى يمثل الشعب وبوصفه القوة الحقيقية التى تستطيع هذه الثورة أن ترتكز عليها ، ولا تستطيع أن تعمل شيئا بدونها ...

كان الوفد يريد ان يجعل من هذه الدعوى امرا واقعا ، لكى يتسلل الينا بعد ذلك ، ويواجهنا بهذا الامر الواقع : ان القاعدة الشعبية الوحيدة فى البلاد ، هى قاعدة الوفد ، واننا لانستطيع ان نعمل دون الارتكاز عليها !..

وفى صباح يوم من أيام اغسطس ١٩٥٢ ، اى بعد الثورة بأسبوعين تقريبا ، أيقظونى من نومى فى منزلى لكى أقابل ضيفين يطلبان مقابلتى لأمر خطير ..

فدخلت غرفة الاستقبال ، فوجدت زميلين من زملاء المعتقل ...

وكان طبيعيا ان نتذاكر شيئا عن الماضى الذى جمعنا فى معتقل واحد فى عهود الظلم والارهاب ...

ولكننى أحسست أنهما قد أعدا حديثهما ، ورتباه ونمقاه ، بحيث يلقى كل منهما حلقة من حلقات الحديث فيتبعها زميله بحلقة أخرى ، تكملها فى نفس الاتجاه وفى صورة الكلام العرضى الذى يجلب بعضه بعضا دون تحضير !

ودخلا فى الموضوع .

قال أحدهما :

ـ أنت تعلم طبعا تماما ان هذه الثورة ليست ثورة الجيش ، وانما هى ثورة الشعب .. وكل مصرى حريص اشد الحرص على أن تصل هذه الثورة الى أهدافها كاملة ، فنحن بهذا مسئولون جميعا مسئولية متساوية **نحو الثورة ..**

أمنت طبعا على هذا الدخول .. فاستطرد الضيف الوفدى نحو هدفه :

ـ ان الكتلة الشعبية لاتتمثل فى أية هيئة أو حزب فى هذا البلد ، الا فى الوفد ... والوفد هو التنظيم الوحيد الذى يستطيع ان يساند هذه الثورة لانه هو الذى مهد لها بل هو الذى بدأها فعلا ...

واوشك زميله أن يتم الكلام .. لولا انى استوقفته لحظة أسأله فيها ، كيف بدأ الوفد هذه الثورة ، وكيف مهد لها .. ؟ فقد تكون معلوماتى عن قصة الثورة وقصة الوفد معلومات ناقصة ....

قال الضيف الثانى :

ـ الا تعلم ان هجوم الوفد فى الفترة الاخيرة على فاروق هو الذى شجع الجيش على أن يضرب ضربته .. ؟ والا تعلم أن الوافد فى الفترة الاخيرة كان يعد العدة لاعلان الجمهورية ...؟ والا تعلم أنه كان متصلا بكم فطلاق الجيش ؟!

وقبل ان احاول الاجابة .. سألنى ضيفى فى حماس ..

ـ كيف تؤمنون على ماهر الحكم ، وهو الرجل الذى لا يستند الى الشعب ولا الى أى حزب من الاحزاب ؟ !

واكمل صديقه قائلا :

ـ ان على ماهر رجل عاش طول حياته يدبر المؤامرات ، وانه فى سبيل احقاده وكراهيته لبقية الاحزاب سينحرف بالسلطة وسيستغل هذه الثورة لنفسه ، ولن يظفر بايمان الشعب به فى يوم من الايام ...

وكنت ساكتا ، لأعطى الفرصة للضيفين العزيزين ، فأكمل الثانى :

ـ أن هذه الثورة لن تستطيع ان تسير أو تحقق شيئاً مالم تستند الى أكبر قوة سياسية فى البلد وهى الوفد .. ثم ان سراج الدين على اتم الاستعداد التعاون معكم فى كل شىء .. وانت تعرف انه كان ـ وهو وزيرا للداخلية ـ يوعز لنا نحن الشباب الوفدى بالمظاهرات التى تهتف بسقوط فاروق ، فى نفس الوقت الذى كان فيه يتظاهر بالولاء للملك .. وتعرف ايضاً انه هو الذى كان يقود معركة القنال لولا ان الملك حرق القاهرة ، لانه تبين ما يدبره له سراج الدين ... !

ولم أكن انا اسمع هذا الكلام لاول مرة فقد كان هذا الكلام شائعا فى البلاد ، وكان بعض الناس قد بدأ يؤمن به فعلا . ولكنى كنت أنتظر النتيجة التى يريد الضيفان ان يصلا اليها

ولم تطل الجلسة اكثر من ساعة ونصف .. ولم ترد طلبات الصديقين عن طلب واحد فقط هو ان تتم مقابلة بينى وبين فـؤاد سراج الدين نتفاهم

ولم يكن هناك مايمنع من هذه المقابلة .. وقد تمت فعلا .. فقابلت سراج الدين ، وقابل هو غيرى أيضا من الزملاء ...

وكانت مقابلات مثيرة .. رأينا فيها أمورا كثيرة على حقيقتها وفهمنا ما اراده الوفد بنا وبالثورة وبالبلاد كلها ...

وأكملنا بها قصة الوفد ...

ولكن الناس لايزالون يجهلونها ... بل يجهلها الوفديون انفسهم ...

وكل الذى عرفه الناس فى فجر هذه الثورة ، هو ما أشاعه الوفديون من أنهم « أسياد الموقف ، شاءت الثورة أم لم تشأ ! » وما دعموا به اشاعاتهم من قصص كثيرة وروايات محبوكة عن قيام الثورة بالاتفاق مع الوفد .. وعن مستقبل الثورة الموضوع بين أيدى رجال الوفد !

كانت اسطوانة واحدة ، يرددها سراج الدين كما رددها الضيفان اللذان أشرت اليهما ، وكما رددها كل من لهم بالوفد صلة من الصلات ...

وكنا نسمع هذا الحديث فلا نأبه به ، ونكتفى بالابتسام ... فقد كنا نرى أمام أعيننا مأساة خلقية من مآسى العهد الماضى ، تريد أن تتخذ لها مسرحا جديدا نشترك نحن فى بنائه واخراج مسرحياته ..

وكنا نبتسم أيضا ، لان هؤلاء الذين كانوا يخاطبون الشعب بوصفهم « أسياد الموقف . شاءت الثورة أم لم تشأ » كانوا يتحدثون الينا بلهجة أخرى ، بنفس اللهجة التى كانوا يتحدثون بها الى فاروق .. وكانوايهدفون من وراء هذه اللهجة الى هدف واحد ، هو نفس هدفهم فى أيام فاروق : الحكم ..

وكانوا فى الوقت نفسه يعتقدون أنهم مناورون بارعون ، أمام فئة من العسكريين يجهلون السياسة وفنونها

وبدأ الوفد يفصح عن نفسه أكثر أو بدأ يفضح نواياه بنفسه ... بصورة ظاهرة .

بدأ يلوح لنا بسلطات فاروق وأبهته وصولجانه وهى سلطات تكفى اذا وزعت على اثنى عشر رجلا ، أن تجعل منهم اثنى عشر ملكا لا ينقص احدهم شىء من مظاهر الملك وسطوته ..

— واتركوا لنا بعد ذلك سياسة الحكم ، وكل مسئولية ..

ثم أردف فى اغراء واضح :

ـ ونحن على أتم استعداد لتنفيذ كل ماتشيرون به

وظلت هذه الجملة تتردد فى اذنى وقتا طويلا . . .

انها نفس الكلمة التى كانت تقال لفاروق من كل رجل يأتى به ليحكم البلاد باسم الشعب .

انها الدستور الفعلى الذى جرى عليه حكم مصر ، منذ وجد فيهادستور وبرلمان . . فقد كان دستور الشعب صفحات من الورق ، تغطى بها النواحى الشكلية للحكم « الديمقراطى !! » فى البلاد . . . أما الدستور القائم المعمول به ، فقد كان دستور « الانحناء » كان الدستور يتلخص فى هذه الجملة الفذة « ونحن على أتم استعداد لتنفيذ كل ماتشيرون به !! »

وهذا هو الدستور الذى أراده الوفد لهذه الثورة أيضا . . !

هل تغير شىء فى نظر السياسيين ؟!

هل ثار الجيش من أجل هذا الشعب ؟!

هل ثار هذا الشعب من أجل حقوقه ورفاهيته ومستقبله ؟! .

أبدا . . لم يحدث اى تغيير . . . الا ان شخص فاروق قد غاب ، ليظهر فى مكانه اشخاص رجال القيادة . . . يقنعون بالمظهر البراق وصولجان الملك وسطوته . . ويتركون مسئولية الحكم لاسياد الموقف ، يسوسونه ، لا بما تشير به مصلحة هذا الشعب ، ولكن بما نشير به نحن . . أصحاب الصولجان الجديد

انها سياسة الوفاق التى بدأها سراج الدين مع فاروق ، أراد ان يضطلع بها معنا نحن أيضا .

ان رجال الوفد ، اسياد الموقف ، وأصحاب الاغلبية ، والمسيطرون على القاعدة الشعبية فى البلاد ، هم على أتم استعداد لان يفعلوا باسم الشعب كل ما نطلبه نحن منهم ، على الا نتحمل نحن اية مسئولية مباشرة ، وهم بهذه الصفات كلها كفيلون باقناع الشعب ، وتنفيذ رغباتنا . . نحن أصحاب الصولجان الجدد !!

انها سياسة « ذهب الملك تحيا القيادة ! » التى اعتقد السياسيون أنهم قادرون على طينا وفرض وصايتهم علينا . . والعودة الى استلاب مغانم الحكم . . الذى لم يكن يعنى فى نظرهم الا الاسلاب والمغانم . . .

كانت البلاد فى واد وكان السياسيون الذين تزعموها جيلا كاملا فى واد آخر سحيق ..

كانت البلاد تفكر فى أهدافها التى طال عليها انتظارها .. كانت تفكر فى الوسائل العملية التى تخلصها من آلامها الطويلة وشـــقائها الكثير .. من الاستعمار الجاثم فوق صدرها . من آثار الملكية البغيضة فى ربوعهــا وفى نفوس أبنائها من الاقطاع الذى يهدد كيانها .. ولكن الزعمـــاء لم يكونوا يريدون أن يحسوا بشىء من كل هذا كانوا يريدون أن يعودوا الى كتم أنفاس هذا الشعب وتكبيله بأغلال العبودية والفقر والمذلة ، ليظلوا مسيطرين على مصيره متحكمين فى ثروته ناهبين أرزاقه وخيرات أرضه ..

وكانت هذه الحقائق صدمة مروعة لنا نحن الذين أردنا فى يوم من الايام أن نفرض الوفد على فاروق كجزء من خطة كبيرة درسناها فى وقتها بامعان واحكام .. وعندما تخاذل الوفد عن تنفيذ دوره فى الخطة ، لم نحاول تفسير هذا التخاذل بأكثر من أنه .. خوف

ولكنه لم يكن خوفا ، وكان شيئا آخر سيظهر جليا عندما يقرأ القارىء قصتنا مع الوفد !

ان قصـــة الثورة ، قد اتصلت فى فصول منها بالاخوان المســـلمين ، واتصلت فى فصول منها بالوفد ..

وقال البعض ان الثورة قد أصبحت فى حضانة الوفد ...

وقلنا أنها ثورة مصرية لمصر ..

أما لماذا اتصلت بالوفد .. ولماذا اتصلت بالاخوان .. وكيف كانت هذه الاتصالات ، فهذا ما تتضمنه الفصول القادمة من هذا الكتاب .

فكرة الإعمر

- نار على جبل الشريف ...
- السلطان عبد الحميد فى منقباد ..
- اشود علينا عبيد للانجليز ...
- برقية من تشمبرلين
- رفضنا تسليم سلاحنا للانجليز ...
- انقلاب عسكرى فى مرسى مطروح ..

يظن كثير من الناس ان هذه الثورة ، دبر لها تشكيل من الضباط اثر حادث معين جمعهم على هدف وتدبير ...

وفى اجواء الظنون ، تجد الاشاعات كثيرا من نقط الارتكاز . تجد النقطة الاولى فى حرب فلسطين .. بين اشلاء الضحايا وخيانات فاروق وعصابته ..

وتجد النقطة الثانية ، فى تحقيقات الاسلحة الفاسدة وتدخل الملك لحفظ الدعوى بالنسبة لحاشيته ..

وتجد النقطة الثالثة ، فى تصرفات قيادة الجيش وكبار ضباطه الذين وضعوا انفسهم فى احذية فاروق

ولقد كانت كل هذه الاحداث فعلا ، من الاحداث التى شغلت اهتمام الضباط الاحرار ، واستحثت خطاهم ولكن نشأة الثورة والتمهيد لها لم يستمد من حادث من الاحداث ...

فقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية ، ونما التمهيد لها نموا طبيعيا لانها كانت فى كل مراحلها ، تفاعلا طبيعيا قويا بين ضمير جيش مصر ، وضمير شعب مصر ..

متى نشأت اذن ... واين نشأت ؟ .

لنرجع الى الوراء ...

الى عام ١٩٣٨

ولنذهب الى منقباد ... !

فى هذه البيئة المصرية الخالصة ، حيث يشعر المصرى . بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه ..

وفى الشتاء .. حين يقسو الجو ، وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بين الاصدقاء ، يقاومون بها قسوة الطبيعة وينتصرون بها على عواء الرياح .

هناك حول نار فى معسكر المناورات بتباب الشريف ، كنا نقضى طرفا من كل ليلة .. أصدقاء كلهم صغار السن ، صغار المناصب ، كبار الآمال وافرو الشباب ...

ضباط لم تزد رتبة احدنا عن الملازم ثان .. نتحرق طول النهار فى الجبل ، فكانما الجبل مرآة تعكس نار القلوب .. !

ـ وكانت فى القلوب نار ... نار تنطفىء لان وقودها يتجدد فى كل لحظة من احساساتنا الشابة المرهفة .. ومما يقع امام اعيننا كل يوم من الصباح الى المساء ...

كانت آمالنا الكبيرة ، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الاحداث ..

فقد كنا ضباطا صغارا ...

وكان لنا قواد ....

وكان هناك ايضا ... انجليز .. !

وكان قوادنا المصريون لاعمل لهم الا اذلالنا .. والا الانحناء امـــام الانجليز ...

وكنا نرى هذا الوضع الكريه ، فنحترق .. ونسخط .. ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم ...

وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل فى داخل النظام العسـكرى وفى تلك الاوضاع الرهيبة الا أن يسكت ، ويكظم الغيظ ، ويدفن النار فى حشاه ..

هكذا كانت أيامنا ...

ولكن ليالينا كانت تختلف اختلافا كبيرا .

ففى جو من الصداقة والالفة ، كنا نجلس فنمزح ، ونذيب فى هـــذا المرح ، شقاء اليوم الطويل .. شقاء الجسد ، وشقاء النفس وشقاء الغربة فى جبل بعيد ...

ولا ندرى لماذا كان يتوسطنا دائما شاب رقيق وديع ، عامر النفس بالصفا لم يكبرنا سنا ، ولا رتبة ... فقد كنا جميعا أبناء « دفعة » !

ولكنه كان الملتقى الذى جمع صداقتنا جميعا ... كنا نمرح ، فنضحك عاليا ، ونسخر من كل شىء .. و لاترحم السنتنا أحدا .. وأحيانا نغنى .!

وكان يصنع كل ما نصنع ، ولكنه كان مع ذلك أيضا ، يفكر ... يفكر بقلبه ، ويفكر بوعيه .. ولا نكاد ننطلق فى المرح ، حتى نجد موضوعا هادئا .. يثيره بيننا جمال عبد الناصر ..

وربما كان موضوعا شخصيا ، وربما كان موضوعا عاما .. وربما كان ذكريات عابرة تمر به من حياته ، فلا يلبث أن يستنبط منها فكرة أو رأيا ، يثير بيننا مناقشة طويلة ... هادئة ...

وكان جمال يطوى نفسه على كثير من الآلام الشخصية .. آلام يذكرها منذ توفيت والدته وهو صغير ، فأثرت وفاتها فى حياته تأثيرا كبيرا . .

لعل من أظهر عناصره شدة الحياء التى طبعت حياته حتى اليوم ...

وكان الى حيائه وهدوئه ، يمثل الشخصية الكاملة لابناء الصعيد . . فهو يكيف الحياة بمثله « الصعيدية » الخاصة ، فتجده وديعا رقيقا ملىء الصدر بالحنين ، اذا لمست نفسه لمسة عاطفية قد لا تحرك أحدا من الناس .. ولكنه ينقلب أسدا هصورا ، فى اللحظة التى يشعر فيها بأن أحدا ، فكر مجرد تفكير فى الاعتداء عليه ...

كان هذا الصديق بيننا ، صورة حلوة للاخاء ، والصداقة والاتزان ، والهدوء والكرامة .. فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا جميعا فكأنه فى سكونه وهدوئه وطابعه الخاص ، معنى مجسم حى ، لكل المعانى والانفعالات التى يمكن استخلاصها ، من تفاعل العواطف الانسانية المتضاربة ، فى انسان .. قست عليه الحياة ...

وهكذا .. وحول هذا الرجل ، التأمت مجموعة من الضباط الصغار الاصدقاء ... لم يكن أحد يدرى أنها ستكون نواة لمجموعة أكبر وأكبر ، وان اجتماعها فى تلك التباب البعيدة لن يكون مجرد صدفة تمر . ويتشتت من بعدها شمل الاصدقاء وانما سيكون البدء الحقيقى لجهاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير

وان كنا قد اخذنا حياة قوادنا الكبار فى ذلك الوقت بالسخرية العنيفة نطلقها فى ساعات المرح فقد جاء اليوم الذى لم تعد فيه السخرية تغنى عن آلامنا شيئا ..

فقد ألقى علينا القدر بقائد جديد للمنطقة لم يكد يصل اليها حتى شعرنا بأن الذى وصل غاز من غزاة الترك !

كان يرى نفسه بيننا مثلما يرى السلطان عبد الحميد نفسه بين معالم اسطنبول الآمر الناهى الفظ الذى لا يناقش ...

وأصبحت الحياة كريهة منذ اللحظة التى وصل فيها اللواء محمود سيف الى منقباد .

كان هذا هو اسمه .. ولكننا كنا نسميه السلطان عبد الحميد .. لانه كان يفرض علينا تقاليد السلاطين .

وبدأنا نيأس من خدمة الجيش . واعد بعضنا استقالته فعلا من هـذا الجيش الذى يضم بين قواده .. السلطان عبد الحميد !

ولكننا نرى صبر جمـال فنعجب .. ونرى هدوءه وصموده لهذا الذل الطويل فتسكن نفوسنا ، فقـد كان جمال يعيش بأمل لم نحلم نحن به فى تلك الفترة السحيقة من حياتنا فى منقباد ...

واشتدت الصلات بين كل منا ، وبين المجموعة الكاملة .. حتى اصبح كل منا يفكر بعقلية الكل واصبح من حق كل منا ان يتصرف باسم الجماعة واصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا ، لان كل عمل يأتيه فرد منها سينسب الى الجماعة شاءت أم لم تشأ .. علمت بالامر أم لم تعلم .. !

وانى لاذكر تلك الايام والليالى ، أذكر مرحنا وآلامنا وأيام صـداقتنا الجميلة الاولى .. والسلطان عبد الحميد الذى أراد ان يذل رقابنا ، كما ذل رقبته لصغار الانجليز ، وراح يتجـول فى صورة شرسة مضحكة مبكية معا فى منقبـاد .

اذكر كل هذا ، واذكر اننا فى خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب .. بدأنا نفكر ذات ليلة ..

وقـال جمـال :

انهم الانجليز أصل بلائنا كله ..

وكانت مفتاح تفكير طويل ... لم يلبث أن اصبح خطى عملية متتابعة ...

كنا جميعا نعلم ان الانجليز هم أصل بلائنا كله .. وكنا جميعا نكره الانجليز ... ولكن هذه الكلمة قالها جمال ، وكأنه يحدد لنا رسـالة كبرى ، لاينبغى أن يتخلى عنها احد .

وشهدت تباب الشريف ، والنار الموقدة عليها عهدا مقدسا . . . ربط مجموعة صغيرة من الشباب الصغار .

لم يربطهم بعمل معين ،ولا بزمن محدد،. ولكن ربطهم ..بفكرة الحياة

وبدأنا نجمع حولنا انصارا لفكرة الحياة ، كل منـا يختبر عـددا من الضباط الآخرين .. ويكون فى محيطه خلية صغيرة يثير فيها هـذه الفكرة ، ويرى مدى استعـدادها للعمـل يوم يأتى وقت العمل ...

وبدأنا نخطو الخطوة الاولى فنحسب لها حسابا ونلقى الكلمة فنفكر قبل القائها مرتين ...

بدأنا ننزع من اعماقنا زهو الشباب ، ونحل فيها الشعور بالمسئولية والاقتصاد فى الامل

لقد قتل جمال فينا المرح ، وكنا فى شرخ الشباب ! !

وجاء الدرس الاول الذى افدناه بعد ذلك فاصبح درس حياتنا ...

فقد مرت أيام قليلة .. كنا فيها لانزال فى فترة تكويننا الآولى ...

واذا بالشيء الذى نسيناه جميعا يقع .. وكنا خليقين بتوقعه

فان ضابط الجيش لايستقر فى مكان واحد طويلا .. وان هى الا لحظة مفاجئة ، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا .. واحد فى الاسكندرية والثانى فى طنطا ، والثالث فى القاهرة ... والرابع فى مرسى مطروح ...

وكانت الحرب اذ ذاك قد بدأت . والأعصاب توترت ورأينا حلمنا الكبير يذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندى عالقة بزهرة أو تذوب فى شعاع الصباح

وافترقنا . . .

ولكن الحلم لم يذب .... والفرقة لم تستطع ان تكون حاجزا بين هذه المجموعة فى اقسى الظروف التى حلت بها

وفهمنا مع الأيام هذا الدرس وهو ان الصداقة القوية عند ما تقوم على نقاء وطهر وعندما تتركز ايضا حول فكرة فانها قادرة على الحياة مهما فرقت الحياة بين الاصدقاء . بل هى اكثر من ذلك تستطيع وحدها صنع المعجزات .

والذى وقع بعد تلك الايام ، هو الاثر القوى لهذه الصداقة النقية التى ربطتنا .. فقد فرقت بيننا الظروف كثيرا ، وجمعت بيننا بعد ذلك كثيرا ..

وكنا اذ نفترق لاتفارقنا الفكرة ولا عهد الجماعة ، وكل ما هنالك ان أحدنا كان يجد الفرصة للعمل ، فيعمل ... يعمل مستقلا بارادته فى ظاهر الامر ، ولكنه فى حقيقته يكون مقيدا بارادة الجماعة المتمثلة فى فكرتها الكبيرة .. وعهدها المقدس .

وقد تختفى من بيننا اسماء فى كثير من الاوقات كما اختفى اسم جمال عبد الناصر عامين كاملين ، بين ديسمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٤١ . اذ كان فى هذه الفترة قد نقل الى السودان

ولكن الذى كان يبقى فى ميدان العمل .. كان يعمل .. يعمل بارادته ولكن باسم هذه الجماعة وفكرتها الاصيلة ويعمل بارادته ولكنه يرجع الى من يستطيع الرجوع اليه من جماعتنا .. فى كل فرصة تواتيه لذلك ...

ولم تعد الايام تمر هينة ولا رفيقة فقد بدات احداث كثيرة تقع ... بدات بالحادث الاول عام ١٩٤٠ .. وكان ميدانه ميدان القتال فى مرسى مطروح

كنا قد نقلنا جميعا من منقباد . وتفرقت جماعتنا بين وحدات الجيش فى مختلف انحاء البلاد .. وبين السودان العزيز ...

وقد كان السودان من نصيب جمال عبد الناصر فقد نقل من منقباد الى امبابة .. وبعد شهر واحد نقل الى العلمين ، وقضى هناك أربعة شهور ، ثم نقل مرة أخرى الى أبى زعبل ، ومنها الى السودان ...

وفى فترة تنقلات جمال جمع على الفكرة عددا آخر من الضباط ...

وكنا نحن ايضا نصنع مثل هذا ...

ولم نكن نعرف على وجه التحديد ماذا سوف نعمل . لقد كان هدفنا أن نقوم بدورنا فى تخليص البلاد من جنود الانجليز ولم تكن الفرصة لذلك تسنح أثناء الحرب ، وقد سيطر الانجليز على كل مرفق من مرافقنا .. واحتلوا جميع قواعدنا وطرق مواصلاتنا ... بل لقد كنا نحارب الى جانبهم أيضا ...

وسنحت أول فرصة لنا فى مرسى مطروح .. ولكنها كانت فرصة مفاجئة لم نستطع أن نحقق منها هدفا كبيرا ... واستطاعت هى أن تكشف للانجليز عن وجود اتجاه عملى ضدهم فى جيش مصر ...

كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من أرضنا العزيزة .. فقد بدأت جيوش ايطاليا تغزو منطقة مرسى مطروح ..

وكان الدفاع عن هذه المنطقة منقسما بين ثلاثة قطاعات :

قطاعين بريين ، يحتلهما الجيش المصرى . وقطاع بحرى يدافع عنه الانجليز .. كنا نحارب .. رغم ان مصر لم تكن قد أعلنت الحرب.

وكانت سياط العذاب التى تلفعنا نحن الجنود والضباط ، تتلاحق علينا مع الليل والنهار ومع الاحداث المتعاقبة التى تمر بها البلاد .

كان موقف مصر من هـذه الحـرب موقفـا مائعا ... ولم يكن من السهل تحديده فى صورة مفهومة واضحة .

وكان من المؤكد أن هذا الموقف ان تحدد ، فلن تكون مصر هى التى تحدده على التأكيد ...

كانت سياسة مصر التى أعلنها رئيس حكومتها عنـد اعـلان الحرب هى سياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب »

ولم تكن مصر تستطيع ان ترسم لنفسها سياسة اوضح من هذه أو اكثر جسما وتحديدا .. فقد كانت هناك المعاهدة .. وكانت جنود الاحتلال تملأ بلادنا ، وطائراتهم تجثم على صدور مطاراتنا وتنطلق منها الى الميادين القريبة الحافلة بالموت ... ودباباتهم تختال فى شوارعنا ومن فوقهـا جنود حمـر الوجوه ... ومخازن ذخيرتهم ترصـع ارجاء الوادى بالبـارود والقنابل وأسلحة الدمار ... وكانت أرضنا فوق ذلك حقـلا كبيرا يشرب حبـات العرق من جباه آبائنا وأخوتنا ليخرجها قمحا للغاصبين ..

وكان موقفنا نحن ضـباط الجيش وجنوده ، هو الموقف الضـنك .. فسياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب » لم يكن معناها اننا لن نحارب فعلا .. وكان الذى يشقينا هو ان نسأل أنفسنا : نحارب من اجل من ؟ !

فهل كانت سياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب » تحمل هـذا المعنى واضحا وترسم خطته كاملة الى نهايتها !

لقد كانت تشير الى شىء ، أو ترنو الى امل .. وهذا الشىء وهذا الامل هو الذى فهمته مصر منها .. وفهمه الانجليز أيضا



فهمته مصر ، فحاولت ان تستبشر به وفهمه الانجليز فأبرق رئيس وزرائهم « تشمبرلين » الى سفير انجلترا « كيلرن » برقية قصيرة حاسمة :

أى : يجب ان تستقيل حكومة على ماهر . .

وكانت هذه البرقية كأنها القضاء الذى لايرد . . فاستقالت فعلا حكومة على ماهر ، لانها أشارت بسياستها الى شىء ورنت الى أمل ، وفهم الانجليز الشىء والامل !

لم يكن امر مصر اذن فى يدها ، بل كان فى أيدى الانجليز . . . وكنا ننظر الى المستقبل على هذا الوجه ، فلا يلبث ان يرتد الى الماضى . . الى الحرب العالمية الاولى التى سيقت فيها مواكب آبائنا مسخرين الى ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا فى أحشائها ، ويحملون الروث ليدفنوا تحت أكوامه ، ويلعقون العرق ليوفروا كؤوس الشراب للانجليز !

ويجلب الماضى صور بعضه بعضا ، فلا يشير الى بارقة امل فى مستقبل البلاد تحت هذه الأوضاع . . .



يجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشعب عام ١٩١٩ فأطفأها زعماؤه يوم وصلوا الى الحكم واصبحوا احزابا . . . مطايا للانجليز . . .

ويجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشباب عام ١٩٣٥ ليجمع الاحزاب فى حزب واحد لمصر ، فاجتمعت الاحزاب فى حزب واحد ليوقع معاهدة الصداقة والتحالف مع الانجليز !

ويجلب صور شقاء كثير ! فقر ، وعرى ، وانقسامات وتضحيات ودماء . . يتحالف فوق أنقاضها الزعماء والانجليز !

وما تغير الزعماء

ولا خرج الانجليز . . .

ولكن قامت الحرب . . وبدأت بوادر شقاء جديد .

ماض كله حسرات ، ومستقبل كله مخاوف ، وحرب قائمة لا بد أن نصلاها ، حتى فى ظل « سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب »

وفجأة علمنا أن أوامر من قيادتنا ستصدر لنا . . وعلمنا هذه الاوامر ايضا

وكانت هذه الاوامر ، تقضى بأن تنسحب الفرقتان المصريتان اللتان تقومان بالدفاع فى القطاعين البريين لتحتلهما قوات بريطانية حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن المنطقة كلها .

والى هنا كانت الاوامر بسيطة يمكن قبولها ، ولكن الشق الاخير فيها كان يقضى بأن نترك سلاحنا ، ونسلمه للقوات البريطانية التى ستحتل القطاعين

وهاج الضباط وماجوا . . .

وتحرج الامر جدا . . .

وصممنا على الا نترك سلاحنا . ولو اقتضى ذلك أن نموت عن آخرنا . .

وكنت أجد فى هذا الاجراء فرصة مناسبة ، لتجعل من « فكرة الحياة » حقيقة مجسمة ، يشارك فى حمل اعبائها الجيش كله ، والشعب كله أيضا

وكنت اعتقد أن أى احتكاك منا بالانجليز سيقفز بفكرة الحياة مائة عام الى الامام . .

وبدأنا نضع خطة كان من زملائنا فيها البكباشى احمد حسن الملحق العسكرى الآن فى روما ، وجميع الضباط الصغار حتى رتبة يوزباشى بلا استثناء .

كانت قوتنا هناك قوة مختلطة ، تسمى « القوة الحقيقية » . . . وكانت

لتكون من خلاصة الجيش المصرى ، تضم زهرة ســــلاح المدفعية وبقيــة الاسلحة الاخرى ..

فوضعنا خطتنا على أساس ان تعود هذه القوات ، فتحتل وهى فى طريقها الى القاهرة كل المرافق العامة ، ثم تفرض حكومة عــلى ماهر مرة أخرى ، بعد استقالته المعروفة المدوية ..



كنا اذ ذاك فى شهر سبتمبر ، وكان على ماهر قد استقال فى شـــهر يوليو . وكان الشعور القومى ضد الانجليز قد بلغ أقصى مداه فى البلاد ...

وصدرت الاوامر لنا فعلا بالانسحاب وبترك أسلحتنا .. فرفضــنا ترك السلاح وتقدمنا الى القاهرة ...

ولاكثر من سبب تبين لنا ان تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا علينــا .. فقد أدركنا على أساس تقدير الموقف ، اننا لن نستطيــع ان ننجح فيهــا الى نهايتها ...

فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة .. واعتبرنا هذا نصرا كافيا لنا فى مرحلة جهادنا الاولى .

وعلى الرغم من كل الاحاديث التى دارت بشأن هذه الخطة والتمهيدات التى كنا قد بدأنا نقوم فعلا بها ، فان الانجليز لم يكتشفوا منها اى شىء .. ولكنهم فى الوقت نفســه ادركوا سيطرة روح العداء لهم على ضباط الجيش الصغار .. وايقنوا أن هذه الروح قد تلعب دورا اخطر من ذلك الدور فى يوم قريب

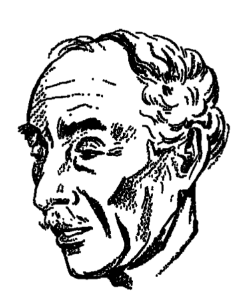
وبدأنا نحن نكون هدفا لعيون الانجليز حيثما كنا .. فى القاهرة أو فى أى سلاح من أسلحة الجيش ننقل اليه ...

والكسب الاكبر الذى كسبناه من هذه الحادثة ، هوعودتنا الى القاهرة فقد جمعتنى القاهرة فورا بجميع أصـدقاء منقباد ... ماعدا جمال الذى كان لا يزال فى السودان ...

وفى القاهرة بدأت اجتماعاتنا تتوالى وتتركز .. وأخذنا نفكر فى شىء نقوم به على اساس من الدراسـة الكاملة ، وبحيث يكون توقيته الـكامل فى أيدينا نحن لا فى ايدى الظروف وحدها

وكان فى خيالنا رجلان .. نريد ان نتصل بهما ، وان نشركهما معنـا فى عملنا الـكبير ...

على ماهر .. صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية .



وعزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وهو الرجل الذى وقع اختيارنا عليه عندئذ ، لكى يقود ثورتنا .

وحاولنا أن نتصل بعلى ماهر ، فلم نستطع ...

وحاولنا ان نتصل بعزيز المصرى ، فاستطعنا ... ولكنا اتصلنا فى طريقنا اليه ... بالاخوان المسلمين أيضا .. !

صدفة ورحلات ..

- الرجل ذو العباءة الحمراء ...
- أجازة اجبارية لعزيز المصري .
- لواءات يخونون جيش مصر .
- اذهب الى هناك واقطع تذكرة ..
- اتهام عزيز المصري بمحاولة قتل نازلي ..
- فاروق ينام تحت لندن بملابس السهرة !

الزمن : ليلة مولد الرسول من عام ١٩٤٠
والمكان : سلاح الاشارة فى المعادى

وكنت اذ ذاك ضابطا برتبة ملازم فى هذا السلاح ..

ومولد الرسول فى مصر ، موسم من مواسمها ، يعرف الاطفال فيه عرائس الحلوى ، والاحصنة الصغيرة الملونة يركبها فرسان العرب .. وتعرف فيه البيوت والدواوين والمجالس النيابية ودوائر السياسة وقصور الاغنياء ، الحلوى الحمصية والسمسمية .. ثم .. لا شىء بعد ذلك .. !

وعلى هذا الوجه مرت بمصر هذه الليلة ، كما مرت بها دائما ... ولكنها لم تمر بى كذلك ، فقد كانت ، من حيث لا أدرى ، ليلةالبدء لاحداث كثيرة متتابعة سمع المصريون اطرافا منها ، بعضها خافتا كالهمس ، وبعضها مدويا .. كالقنابل والمتفجرات !

كنا جلوسا فى احدى غرف السلاح ، نتناول العشاء ونتكلم ...

وكان جنود هذا السلاح ، واغلبهم بطبيعة عملهم فى سلاح الاشارة فنيون متطوعون قد اعتادوا منى كثيرا ان احاضرهم واعتادوا منى دائما أن أتناول طعامى معهم ، وأن أحدثهم بصراحة وأن يحدثونى بمثلها .

كنا فى اثناء استراحتنا وطعامنا ، اخوانا مصريين لا ضابطا وجنودا ..

ودخل علينا ونحن جلوس للعشاء فى ليلة مولد النبى جندى من جنود السلاح الفنيين ، لم يكن موجودا بيننا منذ بدء هذه الجلسة ، وقدم الينا صديقا له يلتحف بعباءة حمراء لا تكاد تظهر منه شيئا كثيرا ..

لم أكن أعرف هذا الرجل الى ذلك اليوم ، ولم يثر دخوله ولا ملبسه اهتمامى ، ولم يلفت نظرى .. وكل ما هنالك أنى صافحته ورحبت به ، ودعوته الى تناول العشاء معنا ، فجلس وتناول العشاء ...

وفرغنا من الطعام ، ولم أعرف عن الضيف شيئا الا بشاشة فى وجهه ورقة فى حديثه وتواضعا فى مظهره .

ولكنى عرفت بعد ذلك عنه شيئا كثيرا ...

فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثا طويلا عن ذكرى مولد الرسول .. كان هو اللقاء الحقيقى الاول بينى وبين هذه الذكرى ...

كان فى سمات هذا الرجل ، كثير مما يتسم به رجال الدين : عباءته ، ولحيته ، وتناوله شيئا من الدين بالحديث ...

فليس حديثه هو وعظ المتدينين .

ليس الكلام المرتب ، ولا العبارات المنمقة ، ولا الحشو الكثير ولا الاستشهاد المطروق ، ولا التزمت فى الفكرة ، ولا ادعاء العمق ، ولا ضحالة الهدف ، ولا احالة الى التواريخ والسير والاخبار . !


المرحوم حسن البنا

كان حديثه شيئا جديدا ...

كان حديث رجل يدخل الى موضوعه من زوايا بسيطة ويتجه الى هدفه من طريق واضح . . ويصل اليه بسهولة اخاذة ..

وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين ...

وانتحى الرجل بى ناحية ، وتجاذب معى حديثا قصيرا انهاه بدعوتى الى زيارته فى دار جمعية الاخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء ...

كانت الجمعية اذ ذاك لا تزال فى دارها القديمة التى تشغلها الان شعبة الجوالة التابعة لها ...

وذهبت يوم الثلاثاء .

لم اكد اضع قدمى فى مدخل الدار ، حتى شعرت بكثير من الرهبة ، وكثير من الغموض ...

دخلت من حجرة كبيرة جدا ، من هذه الحجرات التى عرفت بها الابنية المصرية القديمة ...

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لانفذ من باب صغير ..

ونفذت من هذا الباب ، لألقى أمامى شيئا كالحجرة ، أو شيئا كالممر الطويل بين حجرات ..

وانما كان مكتبة ..

كان صفوفا طويلة من الارفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط ، وقد صفت عليها مئات كثيرة من الكتب ملأت جو المكان برائحة الورق المخزون ...

وعلى بعد كبير فى آخر هذا الممر .. كانت هناك عينان فقط ترسلان بريقا قويا ، هما كل ما يظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه .. مرشد الاخوان .

وتحدثت مع الرجل طويلا فى ذلك اليوم ...

ولكنه لم يفتح لى كل نفسه ...

تحدث معى كثيرا .. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين أبدا .

وحصر نفسه فى هذه الدائرة ، ولكنه جعل يتسع بمحيطها شيئا فشيئا حتى أصبحت افقا كبيرا مليئا بالمعانى ...

ورغم كل المحاولات التى بذلتها فقد فشلت ..

ورغم كل ماتطرق اليه الحديث من شئون الجيش ، فقد ظل الرجل ملتزما ناحية الدين ، واهمال الناس له ورسالة الايمان التى يجب أن يرتكز عليها جهادنا ، ووجوب نشر هذه الرسالة فى صفوف الجيش .

وتكررت زياراتى بعد ذلك للرجل

وبدأنا نتحدث فى كثير من الشئون العامة .. وبدات اوقن ان الرجل يطوى صدره فعلا على مشاريع كبيرة وخطيرة ... لايريد أن يفصح عنها .. كما ايقن الرجل ايضا انى لا انتوى الانضمام الى جمعيته ، ولعله شعر أو ادرك انى اعمل شيئا ، وانى لست اعمله وحدى ...

ولم يرد الرجل أن يعرض على الانضمام الى جمعيته ، كما انه لم يحاول أن يسألنى عن أى صلة لى بآخرين .. ولكنى فهمت انه كان يدرك اشياء كثيرة من الحقيقة فى مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام ...

وفى يوم تقابلت معه ، وكنت ثائرا مكتئبا تملأنى المرارة والالم ...

فقد صدرت الاوامر فى ذلك اليوم باعطاء الفريق عزيز المصرى اجازة اجبارية من رياسة اركان حرب الجيش .

وكان معلوما لنا ان وراء هذه الفعلة ايدى الانجليز ... وكان مجرد العلم بهذا كافيا لاثارة نفوسنا ، ودفعنا الى أى عمل قد يراه الكثيرون — فى مثل ظروفنا — من أعمال الجنون !

فقد كنا نعرف ما أراد عزيز المصرى لجيش مصر من قوة ومنعة ...

وكنا قد بدانا ننتعش بالنهضة الفعلية التى بعثها الرجل فى الجيش.

وكنا نسمع كثيرا من القصص التى تروى عن محاولات عزيز المصرى الاصلاحية ، والمشاكل والعقبات التى توضع أمامه ، والاحابيل والشراك التى تنصب له ، والتى عرفت بعد ذلك للاسف الشديد ان الذى كان ينصبها له هم كبار ضباط الجيش المصرى نفسه !!

وكنا قد تحققنا من الشرك الاخير ، شرك الخيانة الحقيقية تنبع من ضباط كبار ...

فقد جمع الفريق عزيز المصرى لواءات الجيش ليسألهم عن مدى حاجتهم فى أسلحتهم الى جهود البعثة الانجليزية ، ومدى ما حققته هذه البعثة فعلا من الاصلاح ...

وكان الجيش كله ، ما عدا هذه الفئة يتمنى اليوم الذى تزول فيه وصمة البعثة الانجليزية من وحداته وأسلحته

وتكلم عزيز المصرى مع الضباط الكبار كلام مصرى لمصريين وكلام قائد لضباطه ...

ولكنهم خرجوا من هذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا ولا ليسكتوا .. ولكن لكى يذهبوا الى السادة الانجليز ويقصوا عليهم حديث قائدهم ...

وعادوا اليه فرادى ...

عاد كل منهم ، وطلب مقابلته لكى ينهش فى لحم الآخرين

ولعل كلا منهم كان يرمى من وراء ذلك الى الظهور أمام الرجل بمظهر الوطنى ، نفيا للشبهة عن نفسه ، والصاقا بها فى الآخرين ، واذا حدث ان وقعت الواقعة وعلم الرجل حديث الخيانة ...

ولكن عزيز المصرى ، فهم كل شيء ، وأدرك أنه بين جماعة من اللواءات لا يفضل واحد منهم اخاه الا فى خسة النفس وبطلان الضمير ...

ولم تكن خيانة اللواءات هى كل ما أحاط بعزيز المصرى من الشراك ..

فقد كان الانجليز أحرص من الا يرصدوا عليــه كل حركة من حركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة أن يملأوا وظائف مكتبه بجماعة من الضباط الشبان الحاصلين على شهادات دراسية عليا ، والحاصلين على شهادة انجليزية فذة فى نوعها هى شهادة التخصص فى اعمال التجسس للانجليز . (١)

كل هذا كنا قد بدانا نسمع عنه .

وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك .

وجاءت الاجازة الاجبارية لعزيز المصرى كناقوس كبير يدوى فى آذاننا لكى نبدأ العمل ...

⁂

وطال الحديث عن عزيز المصرى ، ولاح منى شدة اهتمامى بهذا الموضوع ، وأبديت رغبة شديدة فى ضرورة لقاء هذا الرجل الذى كان موقفه محور تفكيرنا . .

وهنا شعرت بان المقابلة قد آذنت على الانتهاء ، حين قدم لى المرحوم حسن البنا وريقة ...

واخذت الوريقة اقرؤها بشغف شديد .. بينما قال لى حسن البنا ، والابتسامة على شفتيه :

ـ واقطع تذكرة عند الدخول كما يفعل الداخلون . !

وخرجت من دار الاخوان المسلمين .. اخطو خطواتى الاولى الى مستقبل ... مجهول ...

---

(١) نؤكد ان سليمان محمود الذى شغل فى وقت من الاوقات منصب مدير مكتب عزيز المصرى ، لم يكن مطلقا من بين من شملتهم هذه الاشارة

اتهام عزيز المصري بدس السم للنازي

- عزيز المصري يمنح اجازة اجبارية ..
- فاروق ينام في لندن بملابس السهرة !
- ماذا تنتظرون من الشيوخ .. ؟
- كان نابليون في السابعة والعشرين ..
- احمد حسنين ومحمد فتحي تآمرا على فاروق .
- لابد من انقلاب على أيدي العسكريين .

قال لى المرحـوم حسن البنـا أنى سألتقى فى اليوم التالى بالفريق عزيز المصرى ..

وحدد لى موعد اللقاء ومكانه . . .

وكنت أعلم أن مقـابلتى له فى ذلك الوقت قد تثير كثيرا من الشكوك والشبهات ..

فعلى الرغم من الطمانينة التى كانت تبدو على وجه المرحوم البنا وهو يحدد ذلك الموعد ، فقد كنت انا على يقين من أن مخابرات انجلترا لن تكون نائمة فى ذلك الموعد المضروب ...

وكان على أن أرجع الى تشكيل الأحرار قبـل المقابلة وكان على أن أعود اليهم بعد المقابلة ...

فلا بد اذن من الحذر .. ان أى شك يحـوم حولى قد يذهب بتشكيل الأحرار كله .. !

كنت اشعر فى كل خطوة أخطوهـا الى حى السيـدة زينب بأنى اخطو خطواتى الى بدء مستقبل حافل مجهول ، لابد أن تقع فيه أحداث جسام .
كنت أعرف انى ذاهب لاضع قدمى عـلى أول الطريق ، ولـكنى لم أكن أستطيع ان اتخيل الى اين سوف تقودنى قدماى ، أو الى أى مكان سوف يمضى بى الطريق ..

ولم اكن كذلك قد فكرت فى شيء من كل هذا . فلم يزد الامـر عنـدى عن انى ذاهب الى لقاء عزيز المصرى ، وأن هذا اللقاء لابد محدث اثـرا ..

واتجهت الى العنوان الذى كتبه لى المرحوم حسن البنا قبل ذلك بيوم .. ونظرت الى فوق فقرات اللافتة الموضوعة على عيادة الطبيب « الدكتور ابراهيم حسن »

وصعدت الدرج بخطى ثابتة ، ثم تذكرت انى « مريض » أو لابد أن أكون « مريضا » فربما كان البيت مراقبا ، بل من المؤكد انه مراقب ، اذا كانت المخابرات البريطانية قد علمت بوجود عزيز المصرى فى داخله ..

ولاول مرة قمت بدور تمثيلى صغير .. فصعـدت الدرج فى تثـاقل ، ولهثت بانفاسى مرتين !

وطرقت الباب وطلبت مقـابلة الطبيب ، واعطيت خادم العيـادة أجر الزيارة ، واخذت منه تذكرة !

وبعد قليل دعانى الخادم الى غرفة الطبيب .. ورايت لأول مرة وكيل جمعية الاخوان المسلمين ..

ولم يكن غريبا أن الدكتور ابراهيم حسن ينتظرنى .. فقد اخذنى من فورى الى مكتب ملحق بحجرة الكشف وأدخلنى اليه ..

وفى هذه الغرفة ، كان عزيز المصرى فى انتظارى .

ماذا تنتظرون ؟!

كنت بحاجة أن أقدم نفسى للفريق الذى آمنت بوطنيته .. وكنت أريد أن اقول له كلاما كثيرا ، وان اكسب ثقته .
لكن رغم كل شيء .. رغم الطريقة التى تم بها اللقاء بينى وبينه ، كنت

أشعر أن فى قلب الرجل ندوبا عميقة من خيانة الاصدقاء ؛ الكبار والشبان على السواء ..

ولكن النفس الصافية ، ابت أن تحملنى هذه المشقة ..

وفى الدقائق الاولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رفيق الجهاد ..

كان يائسا من الحكومات ، يائسا من الاحزاب ، يائسا من الملك ، يائسا من البرلمان ، ولكنه كان مؤمنا بالشباب ..

وقال لى :

ـ عيب هذا البلد انه ضعيف ، وانه لايجد العناصر التى تغذيه بالقوة ..

وسألته :

ـ وكيف نأتى بهذه القوة ..

فنظر الى وقال :

ـ انتم شباب الجيش .. ماذا تنتظرون ، ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبداون فى الاضطلاع بها ؟

وعدت أسأله :

ـ وهل تظن إننا فى داخل الاوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئا .

فأجاب وقد انتفض :

ـ تستطيعون كل شىء .. وغيركم لايستطيع شيئا .. ماذا تنتظرون .؟ تنتظرون توجيها منى ، من اولاءاتكم من حكام البلاد ؟ .

وسكت وهو يتمتم : **كلام فارغ !**

ثم نظر الى فى عزيمة شابة ؛ وقال :

ـ لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط .. كان مثلك هكذا شابا صغيرا .. ولكنه استطاع ان يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد . واستطاع ان يقود بلاده وجيشه ، ولم يكن يتلقى توجيها من احد .

وبعد لحظات قال فى عمق :

ـ التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته ، هو الايمان الذى كان ينبعث من نفسه .. فابحثوا عن الايمان ولا تعتمدوا ابدا على احد .. الا على انفسكم ..

الايمان .. والشباب

وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين خاص عميق .. فقد كنت انا أيضا أبحث عن الايمان ، وأومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها .. فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا .. تيئسهم الحسرات ؟ وترعبهم المخاوف ..

ورغم هذا ، فقد قلت له :

ـ لقد عشت انت مؤمنا بهدفك وعشت لاتعتمد على احد .. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد ان نعمل ..

فقاطعنى بقوله :

ـ اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم .. والذى يستطيع ان يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى يستطيع ان يقصيه عن توجيه الجيش ، لايستطيع ان يقصى شباب الجيش عنه ..

متى بدأ الفســاد ؟

وكان كلاما منطقيا حكيما .. وكان مع ذلك اشارة الى سلسلة الدسائس التى تعرض لها عزيز المصرى قبل هذه المرة .. فسألته :

ـ اذن فقد بدأت الدسائس من زمن ..

فقال :

ـ نعم ، منذ كنت فى انجلترا أشرف على تربية فاروق ..

وتنهد بمرارة وهو يقول :

ـ كنت احب ان تحسن تربيته ، لانه شاب ، سواء كنت انا الذى اربيه ام غيرى .. ولكن يد الخيانة والدسائس امتدت اليه .. وكانت اقرب الى قلبه من يدى ..

وسألته :

ـ اتقصد احمد حسنين ؟

فقال :

ـ احمد حسنين ، وعمر فتحى .. هذان الاثنان تآمرا على فاروق .

فتآمرا بذلك على شعب مصر فى شخص ملكه ..

وبعد قليل عاد ليتكلم :

ـ هل تتصور انى كنت ادخل غرفته صباحا ، فاجـده نائما بمـلابس السهرة .. والخمر تفوح من فمه ؟!

هذا الشاب الذى كنت اريدله الصلاح والتقوى والوطنية كانا هما يريدان له الفساد والتهتك والاستهتار .. كانا يقودانه الى دون الفساد ، فلا يعود الا فى الرابعة صباحا ، ويعود مخمورا .. فينام .. و يلقى بنفسه القاء على اقرب مقعد .. أو وسادة ..

وكنت احاول ان انهاه عن ذلك فيخجل .. ولكنهما ينفـردان به مـن بعدى ، فيزيلا كل اثر لنصائحى ..

وتمهل قليلا .. ثم اردف :

فاروق يكره اباه !

ـ هل تريد ان تعرف سرا خطيرا ..

ولم ينتظر منى اجابة فقال :

ـ لقد القى هذان الاثنان فى وهم فاروق انى مدسوس عليه من ابيه ..


نازلى


فـؤاد

قلت :

ـ أبيه ؟ ..

قال :

ـ نعم ... فان فاروق كان يبغض اباه اشد البغض ... يبغضه من كل

قلبه ... وكان يقدس امه تقديسا شديدا .. فالتقى هؤلاء فى وهمه انى انا عزيز المصرى اشيع الاقاويل عن أمه ، وانى أريد ازيلها من الوجود لكى ينفرد ابوه بحبه .. وانى أعمل الآن على دس السم لها ..

وسألته :

ـ وعرفت أنت كل ذلك ؟ ..

فأجاب :

ـ نعم عرفته . . عرفته يوم أرسل فاروق الى ابيه خطابا باكيا يهدده فيه ان لم يسحبنى فورا من مهمتى ..

وبعد هنيهة قال :

ـ وقد سحبنى ابوه فعلا .. وتركه لهذين المفسدين .. يفسدانه على نفسه ، ويفسدانه أيضا على وطنه ..

ثم تلاحقت الدسائس ، والمؤامرات لتقصينى عن كل مكان استطيع فيه ان اوجه الشباب ، لأن فاروق يعرف كيف أوجه انا الشباب ..

لابد من انقلاب

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء .. ولكنه عاد الى طبيعته الواثقة .. وقال لى :

ـ ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين ، فانى على استعداد اليوم أن احمل طبنجتى ، واتقدمكم لاى عمل لانقاذ البلد ..

وعندما هممت بالانصراف ، شعر عزيز المصرى بالمسئولية التى وضعها فوق كتفى .. فقال مؤكدا :

ـ لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب على أيدى العسكريين ..

ونظر فى عينى طويلا ، وانا أصافحه . . ولم يقل بعد ذلك شيئا . .

ولكنى عندما خرجت من عنده ، كانت رسالتنا قد تحددت ، كهدف بعيد نستطيع أن نراه باعيننا ، وان كنا لا نتبين الطريق اليه ..

من هم زملاءك ؟ !

وفى اليوم التالى التقيت بالمرحوم حسن البنــا وسالنى عن أثر زيارتى لعزيز المصرى فى نفسى .. وكأنه كان يعلم ما جرى فيها .. ولاحظت انه يريد ان يزداد علما بالمجموعة التى شعر انى واحد من افرادها .

فقد سألنى عندئذ :

ـ هل لديك زملاء فى الجيش يشتركون معك فى هدف معين ؟!

وكان السؤال فى ظاهره بريئا ولكنه كان يريد أن يعرف من ورائه ان كان هناك تشكيل معين يضمنى ويضم غيرى ..

ولم أخف الحقيقة عنه .. ولكنى لم ابح له باسماء اخوانى



الفريق عزيز المصرى

قلت :

ـ انى لست اعمل وحدى .. وأن هناك تشكيلا معينا موجودا ، واننا جميعا نؤمن بالكلام الذى قاله لى عزيز المصرى .. ونعرف أن البلد لن تخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكرى يقوم به رجال من الجيش ..

أسباب حادث ٤ فبراير

- حسن البنا يختزن السلاح ..!
- الانجليز يحاولون عزل الجيش عن الشعب ..
- كوكتيل مولوتوف لإبادة الانجليز ..!
- خطتنا وخطة القدر .
- جاسوسان ألمانيان يطلبان المساعدة ..
- البنك الأهلي والأوراق المالية المزيفة !

ـ فهم المرحوم حسن البنـا منى اننى لست اعمل وحدى ... وفهم اننا نريد ان نقيم حكومة عسكرية فى البـلاد تحـارب الانجليز الى جوار المحـوز .

وفهم أن الذى ينقصنا فعلا هو جماعة اخرى من الشـباب ، تستطيع خوض المعـركة باسم الشعب عندما يضرب تشكيلنا ضربتـه ، كعمل عسكرى ...

وبدأ المرحوم حسن البنـــا يتحدث الى حديثا طويلا عن تشـــكيلات الاخوان المسلمين ، واهدافه منها ، وكان واضحا فى حديثه ، انه يريد ان يعـــرض على الانضمام الى جماعة الاخوان المســـلمين ، أنا ، واخوانى فى تشكيلنا ، حتى تتوحد جهودنا ، العسكرية والشعبية ، فى هذه المعركة .

وكنت أنا مستعدا للاجابة على هذا الطلب اذا وجهه الى ، فلمـــا رايته يكتفى بالتلميح ، اوضحت له من جانبى ايضا ، انه ليس من وسائلنا ابدا إن ندخل كجماعة ولا كأفراد فى أى تشكيل خارج نطاق الجيش .

واطرق المرحوم قليلا ثم قال ، وعلى وجهه ابتسامة تغطى تفكيرا عميقا :

ــ من الخير لنا اذن لنجاحنا ونجاحكم أن نتشاور وإن نتكلم معا فى كل شىء .. كما أننا على استعداد لكى نعاونكم عندما تطلبون ذلك الينا .

تعـــاون ... وأسرار !

وبدأ بيننا تعاون كنت أنا الصـــلة فيه . . تعاون بدأ فى تحفظ واستمر فى تحفظ ..

وفى خلال هذا التعاون تكشفت لى أشياء كثيرة من الاسرار الداخليـــة لجماعة الاخوان رغم انه رحمه الله لم يحاول أن يكشـــف لى شيئا منهـــا ، ولا أن يطلعنى على أى سر من أسرارهم الداخلية ..

المرشـــد وحده يعـــلم !

واكان اهم هذه الاسرار ، ان حسن البنا وحده كان الرجل الذى يعد العدة لحركة الاخوان ، ويرسم لها سياستها ثم يحتفظ بها فى نفسه . . وأن أقرب المقربين اليه لم يكن يعرف من خططه شـــيئا ، ولا من أهدافه شيئا ..

حتى لقد كان حسن البنا فى ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح ، ويشتريه ويخزنه ، ولكنه لم يكن يطلع أقرب الناس اليه من كبار الاخوان انفسهم على اى شىء من كل هذا ...

وكان على العكس من ذلك يستعين فى هذه العمليات باخوان من الشبان الصغار .. وكان منهم الجندى المتطوع الذى جاءنى به فى ســـلاح الاشارة اول مرة ...

وكان اعوانه الصغار هؤلاء يعرفون ان ما بينهم وبينه سر على الناس جميعا بما فيهم الاخوان الكبار ...

فقد أدركت هذا فى يوم من الايام ، كنت جالسا معه ، عندما دخل علينا هذا الجندى المتطوع يحمل فى يديه صندوقين مغلقين .

ورآنى الجندى جالسا ، فأجفل ، ولكن حسن البنا ، قال له افتح الصناديق ، ولا تخف ...

ونظر الجندى الى بابتسامة الاخ فى الجهاد ، ثم فتح صندوقيه ، وكان ما فيهما عينات من أنواع المسدسات .

وتأكدت فى ذلك اليوم من أن الرجل يشترى سلاحا ويخزنه ، ويخفيه حتى عن الاخوان ..

وفرحت فى نفسى بذلك ...

فسيأتى اليوم الذى نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين ...

وسيكون من أهم ما نستعين به ان نجد قوة شعبية تقف فى الصف الثانى ، مسلحة مدربة ...

ولكن ، متى يكون هذا اليوم ؟ ..

ان الامر بحاجة الى اعداد كامل طويل ..

ونحن نستعد ، ونستعد ، ونستعد

ودعوتنا تجد انصارها ببطء ، ولكن فى وثوق

وكل شيء يجرى على وجه نطمئن اليه ..

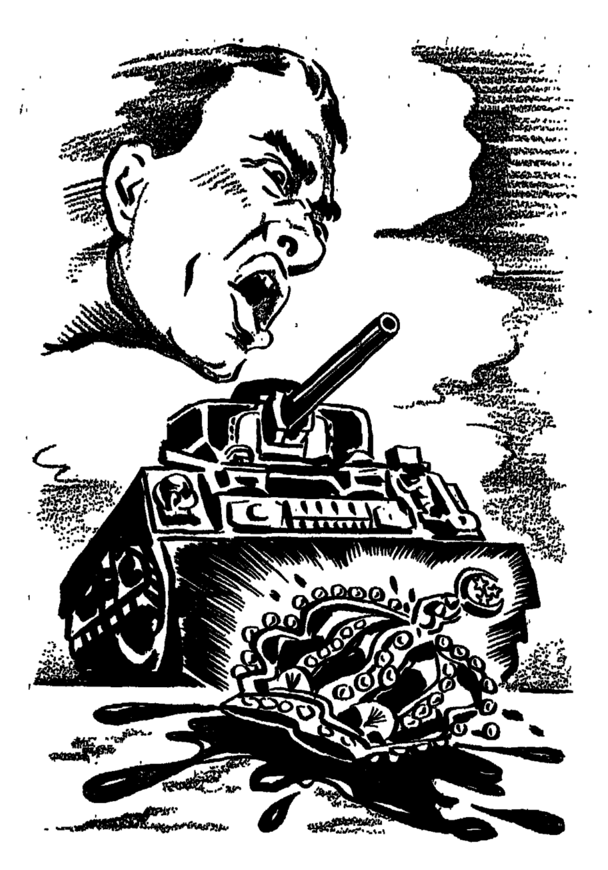
وفجاة ...

كان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فقلب خطتنا رأسا على عقب ، وبدأنا السير فى طريق خطير ...

٤ فبراير ...

واحب ان اعرض هنا لبعض الحقائق والملابسات التى اكتنفت حادث ٤ فبراير ..

فعلى كثرة ماكتب عن هذا الحادث فان هناك حقيقة لم تنشر ابدا ، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا ، ولا الذين سمعوا ..



وطاش صواب ضباط الجيش لانهم كعسكريين شعروا بأن حادث ٤ فبراير هو
في الواقع ضربة عسكرية لا يردها سواهم

فقد اخذ الناس هذا الحادث بالمأخذ السطحى ، فقالوا ان مظاهرات سارت فى البلاد تهتف : « الى الامام يارومل » فتحركت دبابات الانجليز تفرض النحاس على الملك ، رئيسا لمجلس وزراء البلاد ..

ولو قلت اليوم ان هذه المظاهرات قد رسمت رسما ودبرت تدبيرا ، لما جاوزت الصواب ..

ولو قلت انها رسمت ودبرت لتبرر هذه الجريمة التى ارتكبها الانجليز . لما جاوزت الصواب أيضا ..

وبقى ان تعرف بعد ذلك اليد التى حركت هذه المظاهرات بليل ..
يد المدبر ، والمحرك ، وناصب الشرك ..

اين التحقيق ؟..

لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرفى ، والذين يقودون مظاهرات كهذه ـ ان كانوا من الوطنيين فعلا ـ لابد أن يقدروا خطورة تظاهرهم ، ودعائهم لروميل فى بلاد يحتلها جيش الانجليز ..

ومع ذلك فقد سارت المظاهرات بليل ... ولم نعرف أشخاص قادتها ، ولا قبض رجال البوليس عليهم ، ولا تحرش بهم جيش الانجليز المقيم فى العاصمة ، والذى لم يجد حرجا فى مهاجمة قصر الملك !

فاذا بحثنا عن الدافع الذى صورته انجلترا لهذه المظاهرات ، لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية وأعوانها فى مصر ، ان تلعب فى فترات الحرج ، بعقول العامة من اهل هذه البلاد . فاذا بالاكذوبة تصبح حقيقة تتناولها صحف مصر اثنى عشر عاما كاملا .. ثم تترددها قاعات المجالس النيابية ، وقاعات المحاكم أيضا فى قضايا السياسة الكبرى !!

أحقا ، هذه المظاهرات قد سارت فى شوارع القاهرة ، لتلعب دورا فى هزيمة الانجليز ؟!

انها اذن مظاهرات خطرة ، من ورائها تدبير وطنى فاهم لما يعمل ..

فأين المدبرون والمحركون ، وأين قصاص الانجليز منهم ، أو قصاص الذين حكموا مصر بأمر الانجليز ؟!

فان لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية على كيان الانجليز فى ايام محنتهم ، ففيم اذن هذا الاجراء العنيف ، وقد كان أيسر اجراء فى تلك الايام كفيلا بقمع مظاهرات ، لاهى بالخطيرة ، ولا وراءها تدبير ؟!

ولكن هناك هدفا .. وقد تحقق هذا الهدف ..

والهدف هو ايجاد مبرر تستند اليه الدعاية البريطانية ، عندما يتخذ الانجليز هذا الاجراء الاجرامى الشاذ فى نوعه ..



كليرن ...



مصطفى النحاس

وقد تحقق هذا الهدف ، واستطاعت انجلترا ان تفرض على الملك حكومة النحاس ..

الهدف الكبير

ويبقى السؤال الذى لايزال ينتظر الجواب ..

لماذا اراد الانجليز هذا ، وما الذى كلفهم كل هذا التدبير ، وكل هذه الجريمة ، وكل هذه الدعاية التى اضطروا اليها اضطرارا لتبرير فعلتهم ؟ !

لم تكن المسألة مسألة السخط الذى كان يعم مصر وقتئذ .. ولم تكن مسألة الخوف من فورة الشعور الشعبى المضاد للانجليز فى وقت يقف فيه الانجليز فى احرج موقف من مواقف الحرب العالمية الثانية ..

فما كان حادث ٤ فبراير ليستطيع ازالة السخط ، ولا وقف الشعور الشعبى المضاد للانجليز ، وانما هوجدير بزيادةالسخط والكراهية ، وكشف العداء سافرا بين شعب مصر ، وبين حليفه المفروض عليه فرضا .. جند الاحتلال ..

فصحيح كان هناك سخط ، وكان فى البلاد توثب لانتهاز الفرصة وضرب الانجليز من الخلف ، بينما تشتد عليهم نيران روميل من امام ..

ولكن هذا ، لم يكن كل شيء .. ولم يكن يستحق الموضع الذى وضعت انجلترا نفسها فيه، يوم ٤ فبراير المشئوم ...

الجيش ... والشعب

كانت انجلترا ترى أن هناك تقاربا بين الملك وبين الشعب من ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الاخرى .. فقد كان الملك فى نظر الشعب وفى نظر الجيش أيضا . شابا وطنيا ، وكان محبوبا .. ورأت انجلترا ان هذا التقارب سيوجد جبهة متحدة من الجيش والشعب ، فأرادت ان تحطم هذه الجبهة ، وان تعزل الجيش عن الشعب ، وكان يوم ٤ فبراير هو الوسيلة لذلك .. فقد صممت انجلترا فيه على تكليف النحاس — زعيم الشعب — بتشكيل الوزارة ، فأصبح الشعب بذلك فى ناحية ، والملك والجيش فى الناحية الاخرى .. وبدأت انجلترا بعد هذا تقيم سياستها على أساس عزل الجيش عزلا كاملا عن الشعب بتبغيضه اليه ، واشعار الشعب بان جيشه هو السوط الذى سيلهب ظهره باسم الملك .

فى نادى الضباط

وكان يوم ٤ فبراير .. الذى تحدثت مصر عنه عشرة أعوام كاملة .. ولا تزال تتحدث ! ..

وكحقيقة نذكرها ، لم يكن تشكيلنا قد توقع هذا الحادث ، بل وأكثر من هذا ، لم يشعر تشكيلنا بهذا الحادث عندما وقع ..

ولكننا أحسسنا به بعد ذلك ، وفهمناه من تحليلنا ومن تحرياتنا ، وبينما كانت البلاد فى ذهول من الحادث ، طاش صواب ضباط الجيش وبدأنا نحن فى تشكيلنا .. نفكر ..

أما البلاد فقد ذهلت لان الاحداث كانت أغرب من كل ماتصوره خيال هذا الشعب .. وأذهلها بعد ذلك عنه أو شغلها عنه ، ماتقاذف به السياسيون من سباب واتهامات وما أثير من قصص الاجتماعات التى تمت فى قصر الملك ، والمواقف المثيرة التى رأتها قاعاته من الزعماء ..

وطاش صواب ضباط الجيش ، لانهم كعسكريين شعروا بانها ضربة عسكرية لايردها سواهم .. وفى فورة الحماسة وعنف الشباب . بدأت

الاجتماعات تعقد علناً فى نادى الضباط لمناقشة الموقف ، وتقرير الخطة بصورة مفتوحة ، لايمكن ان تؤدى الى خير .

أما نحن فقد انتهينا حينئذ الى قرار أولى ..

استعداد وتأجيل

فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز ، قررنا تأجيل هذا الرد ، لان ذلك الجو المفتوح الذى نوقشت فيه المسائل بنادى الضباط كان يوجب عدم القيام بأى شىء فى خلاله ..

كنا قد درسنا الامر من كل وجوهه على طريقة العسكريين عندمايقومون بما يسمونه « تقدير الموقف » ..

ولم نضع فى حسابنا عندئذ ان نحدد موعد ضربتنا ، فقد اتفقنا على عدم الاهتمام بالتفكير فى الموعد ، بعدما حدث ، وما فوجئنا به على غير استعداد أو ترقب ..

ولكننا وضعنا فى حسابنا ان ندرس كيف تكون ضربتنا لامتى تكون ، وصممنا على ان نضع خطتنا لكى تأتى ضربتنا للانجليز محكمة ، ودامية فى الوقت نفسه ..

وقررنا كذلك ان تنأى خطتنا فى هذه المرة عن اى صلة بالاخوانالمسلمين .. وان تقوم على توسيع تنظيمنا الداخلى فى الجيش ، وتكتيل قوتنا فى كل الاسلحة ، واعداد أنفسنا بما تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية ..

وقت العمل

ومرت الايام من ٤ فبراير حتى وقع حادث العلمين ، أو مأزق العلمين .

وكانت هذه المدة كفيلة بان تضاعف قوتنا داخل الجيش اكثر من مائة ضعف .

فقد كنا : عندما وقع مأزق العلمين قد وصلنا فى استعداداتنا الى تجهيز مائة الف زجاجة من الزجاجات المعروفة بكوكتيل مولوتوف ..

وكنا قد استطعنا انشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات وبدأت تخرج السلاح فعلا ..

وكنا أيضا قد استوردنا من ريف مصر ، كميات كبيرة من البارود الذى

يصنعه الفلاحون من زمن بعيد ، واستطعنا ان نحضره تحضيرا علميا ، بحيث يمكن الاعتماد عليه ..

وكان هذا هو الشق الاول من خطتنا بعد ٤ فبراير .. أن نعد انفسنا بما يلزم لعمل كبير

أما الشق الثانى الذى يحدد نوع العمل ، فقد كان مقررا تركه للخطة التى يتقرر فيها العمل نفسه ..

كنا مرة أخرى ننتظر الوقت المناسب .. وجاء هذا الوقت .. يوم وصل الالمان الى العلمين ...

وبدانا نرقب الاحداث لحظة بلحظة لنتبين نوع العمل الحاسم الذى نستطيع ان نقوم به .

وقالت الاحداث كلماتها سريعة متلاحقة ..

قالت أن روميل يضرب ضرباته القاضية ..

وقالت ان الانجليز ايقنوا بالهزيمة ..

وقالت انهم فى هلع افقدهم صوابهم ..



وقالت انهم قرروا الانسحاب فورا ، وبأسرع مايمكن الى الجنوب ..

هذا كان صوت الاحداث الواقعة التى رأيناها بأعيننا ورآها العالم بأسره معنا ..

وكان يجب علينا أن نضع الخطة التى تناسب منطق الاحداث ..

فلم يكن هذا المنطق يحتمل حربا نظاميا ، ولا انقلابا عسكريا ، ولكنه كان يوجب اتجاها اخر ..يوجب خطة سريعة واحدة توضع لابادة الانجليز افرادا وجماعات عند انسحابهم .

خطتنا .. وخطة القـدر !

وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين ..

وكان جانب منها يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى ...

والجانب الاخر يرسم خطة الاتصال بالالمان ..

ولكن خطة اخرى كان القدر يضعهافى الوقت نفسه .. وقد لانستطيع أن نحكم على فعال القدر عندما تحدث ولكن بعـد مرور وقت طويل ، تستطيع دائما أن تنظر الى الماضى ، فتجد أن الايمان حق .. هو دائما .. اقوى من القدر !

وبدأت قصة القدر ..

بدات بطرقات خفيفة على باب بيت صديقى الصاغ حسن عزت .. دخل فى اثرها رجلان من الالمان ، يصحبهما صـديق له ، هو الاسـتاذ عبد المغنى سعيد الذى يعمل اليوم مفتشا فى مصلحة العمل .. ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن اتى بثلاثتهم الى ..

هكذا بدات قصة القدر بالنسبة الينا ..

ولكنها بالنسبة الى هذين الالمانيين فقد بدات قبل ذلك ..

بدات على رمال الصحراء الغربية الصفراء..عندما دعا قلم المخابرات الالمانية رجلين من رجاله .. أحدهما يدعى هانز ابلر .. والثانى يدعى ساندى ..

وكان ابلر يعرف مصر من قبل ، كما يعرفها كل ابنائها ..

فقـــد كانت أمه الالمـانية ، قد تزوجت فى ألمـانيا من المرحوم صالح بك جعفر المستشار ، ثم حضرت معــه الى مصر ، وفى يدها ولدها من زوجها الاول ..

وكان ولدها هذا ، هو « هانز ابلر » .

وأراد الزوج المصرى ، أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فى مصر ، فيسر له كل سبل التعليم والنجاح ، وأعطاه اسما مصريا ، وأعطاه فوق ذلك لقب اسرته ، فأصبح هانز ابلر يعرف فى مصر ، باسم حسين جعفر .

وعاش « حسين » فى مصر ، ولكنه لم يكن الولد الصالح الذى ارتجاه زوج امه ، فقد انحرف عن الطريق الذى رسمه له الرجل .. واصبح بعد فترة وجيزة شوكة فى قلبه ، ووصمة فى سمعته ..

وفشل المستشار المصرى ، فى اقناع ربيبه بالعدول عن مخادنة الاوغاد وحياة الليل بين المراقص والحانات ، ونساء الطريق ..

وفشل فى اقناعه بأن يجد لنفسه عملا يعيش منه ، أو يشغل به بعض وقته .

ولما أيقن بالا سبيل الى اصلاحه ، ولا اتقاء شره فى مصر ، طرده من حياته قبيل الحرب .. فما كاد يعود الى وطنه حتى جندوه هناك .. ثم اصبح من رجال روميل .. ومن رجال مخابراته فى شئون مصر بالذات ..

تجسس

واصدر روميل لرجليه ابلر وساندى أمرا بالتسلل الى مصر ، وكلفهما بعمل معين ، وسلمهما جهازا لاسلكيا دقيقا .. وزودهما بعشرات كثيرة من الآلاف من الجنيهات الانجليزية المزيفة المطبوعة فى اليونان وبسيارة من سيارات الجيش الانجليزى التى استولى عليها روميل أثناء معركة العلمين وفرار الانجليز تاركين خلفهم كل شىء ..

وتحركت السيارة بالرجلين ، وقد ارتديا ملابس ضباط فى الجيش الانجليزى ، وحملا معهما جهاز اللاسلكى ، والثروة الطائلة ..

واخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة تقع الى جنوب سيوه ، ثم انحرفا من سيوه الى الواحات الخارجة .. واستراحا فيها من رمال الطريق ، وتزودا بما يحتاجان اليه ، ثم اتجها صوب اسيوط فى الطريق المرصوفة الفاخرة المؤدية اليها ..

وكانت هذه المرحلة هى أخطر مراحل الرحلة بالنسبة اليهما اذ الطريق

طريق عسكرى ، تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية ، ونقط التفتيش والحراسة ، وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد ..

وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت فى كل لحظة ، ونفد منها الوقود فى منتصف الطريق .. اذا بقائدها آبلر ينثنى بكل جراة الى أحد المعسكرات البريطانية ، فتفتح له الابواب ، ويدخل الى محطة البنزين بالمعسكر ، ويقدم اوراقه ، ويعبىء سيارته بالبنزين ، ثم يخرج مودعا بتحية الجنود ..

ووصلا الى اسيوط .. ثم انحرفا فى الطريق الى القاهرة .. ودخلاها ضابطين انجليزين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد فى ذلك الزمان .

طلبات

وقال لنا الاستاذ عبد المغنى سعيد انه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة ابلر .

واخرج الرجلان اوراقهما ، واثبتا بما يقطع كل شك ، حقيقة جنسيتهما الالمانية وحقيقة مهمتيهما .

وطلب الالمانيان منا أن نقدمهما الى الفريق عزيز المصرى ، وكانا يطلقان عليه كلمة « الزعيم » .

وقال ابلر أن جهاز اللاسلكى الذى جاءا به قد تعطل ، وانه يرجو ان يعتمد فى اصلاحه علينا ..

كما طلبا أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصى بروميل فى مكانه بالعلمين ..

وقابلهما عزيز المصرى ، وتفاهم معهما على أشياء كثيرة ، ثم أصدر امره الينا بتسهيل طلبيهما الاخرين .

وقمت انا بالناحية التى تتصل بعملى فى سلاح الاشارة ، فحددت معهما موعدا لزيارتهما وفحص الجهاز اللاسلكى المعطل ..

وكان أول ما فوجئت به من أمرهما ، أنهما يقطنان فى عوامة خاصة للراقصة المشهورة حكمت فهمى .. ويبدو أن المفاجأة قد ظهرت على آثارها ، فقد ضحك ابلر ، وقال :

— أتريدنا ان نقيم فى معسكرات الانجليز ؟ !

ومضى يروى لى ما يعرفه من اخلاص حكمت فهمى له منذ كان فى مصر قبل الحرب ، ثم روى لى طرفا من حياته التى يحياها ، منذ عاد الى القاهرة ، وكان قد مضى عليه أكثر من شهر يقيم فيها ..

البنك الاهلى

وفهمت أنهما منذ نزلا ضيفين على هذه الراقصة قد خلعا ثيابهما الرسمية « الانجليزية » وارتديا ثيابا مدنية عادية ، ثم راحا يعيشان كانجليزيين بصورة لا تثير الشبهات حولهما .

كانا ينفقان عن سعة .. ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان يمكن أن تكون له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية .

ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عن مجرد السهر ليلا فى الكيت كات ، والعودة مخمورين قرب الصباح الى العوامة التى اتخذا منها محطة للاذاعة يتصلان عن طريقها بقيادة مخابراتهم

وقالا لى وهما يضحكان أن البنك الاهلى قد بدل لهما ما يزيد عن أربعين ألفا من الجنيهات الانجليزية المزيفة بجنيهات مصرية .

ثم قالا :

وكان الوسيط يهوديا ، قبل أن يتحمل المسئولية مقابل ٣٠٪ من قيمة ما يبدله من النقود .

ولم أدهش أنا لليهودى الذى يعرف انه يؤدى خدمة لجواسيس النازى ، فلا يتردد ما دام كل شىء بثمنه ولكنى مع ذلك أشفقت عليهما من قيام صلة بينهما وبين اليهود .

وسألنى ابلر :

ـ متى تجىء ؟

فحددت له موعدا يوم الجمعة ..

وفى يوم الجمعة ، كنت واقفا على شاطىء النيل ، من خلفى مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية .. ومن امامى عوامة الراقصة حكمت فهمى !

محطة اذاعة تحت أقدام الراقصات

- خمر ونساء وغناء !
- عندما تظهر الحقيقة عارية ..
- دبلوماسي أجنبي يسرق من مفوضية سويسرا
- أين ذهبت اموال البنك الاهلي ..؟
- متاعب في الطريق ...
- خرافة المخابرات ..!

كنت على موعد مع الجاسوسين الالمانيين ابلر ، وساندى فى عوامة حكمت فهمى ..

وكان هذا الموعد لاصلاح جهاز ارسال لاسلكى ، يملكه الجاسوسان ، ويذيعـان منه ، من داخل العوامة ..

ووقفت امام العوامة افكر قليلا قبل أن المس زر الجرس .. فقد كنت أشعر ، انى أمام مغامرة .

ونظرت الى أعلا العوامة ، فوجـدت أربع ساريات من ساريات السلك الهوائى الذى يستعمل للارسال اللاسلكى والاستقبال .. فاعترتنى رجفة مفاجئة .. فان وجود سلكين هوائيين فوق سطح عوامة ، قد يثير بعضا من الشـكوك .

ثم تتابعت على الافكار فى سرعة متلاحقة ، وأصبحت بعد ذلك أسـئلة لا أجد جوابا عليها :

هل يعرف اليهودى الذى يبدل لهما الاموال حقيقتهما فعلا .. واذا كان يعرفها ، فهـل تكفيه العمولة الكبيرة التى يتقاضاها ، لكى يسكت .. ولا يخون ؟

وما حقيقة موقف حكمت فهمى من هذه المغامرة ؟.

وما مدى استعدادها للسير فيها الى آخر الطريق ؟

وهل هى تستطيع أن تقدر خقيقة هذا الطريق ، والنتائج الخطيرة التى قد ينتهى بها اليها ..

وكان لا بد أن أجد جوابا لهذا .. ولذلك ، كان لا بد أن أدخل..!

ووضعت يدى على زر الجرس ...

... وفتحت لى الباب ، حكمت فهمى .. وبعـد لحظات كان أمامى الالمانيان ابلر ، وساندى .. يرحبان بمقدمى بينمـا تدور عيناى فى أرجاء العوامة ، أحاول أن استشف نوع الحياة التى تجرى بداخلها ..

ولم يكن عسيرا على أن أحدد هذه الحياة فى دقائق قليلة ...

فقد كانت جميع المظاهر تدل على أن صاحبة العوامة قد تركت للالمانيين حرية التصرف فى عوامتها كما يشاءان وأنهمـا تصرفا فى عوامتها فعـلا ، فاتخذا منها وكرا للترف والنعومة وحياة الليل والتهتك ..

وكان واضحا انهما ألقيا عن ظهريهما كل مسئوليات العمل الخطير الذى جاءا لكى يقوما به ، وانغمسا الى آذانهما فى الحياة التى تتناسب مع عوامة تملكها راقصة ، ويعيش فيهـا رجلان فى عمر الورد ، فى جيوبهما عشرات كثيرة من آلاف الجنيهات

أين الجهـاز

وسألتهما عن جهاز اللاسلكى المعطل .. فضحك ابلر ، وهو يقول :

ـ أتستطيع أن تجده لو بحثت عنه ؟ ..

وخيل الى أنى أستطيع ، فقمت أطوف غرف العوامة ، وأهبط درجاتها ، وأصعد الى أعلاها .. فاذا بها لا تحتوى الا على وسائل الحياة الناعمة ، وأدوات الترف والزينة .. وكؤوس الشراب ، وصناديق الويسكى ..

وفجأة عاد بى ابلر الى حيث كنا فى بهو العوامة .. ومد يده الى جهاز الراديو الكبير الموضوع فى صدر المكان .. وكنت قد فحصته ، فى دورتى ، فلم أجد فيه أكثر من جهاز راديو ((موبيليا)) أنيق فى أعلاه بيك أب مغطى بغطاء خشبى دقيق الصنع ، وفى جوانبه دواليب صغيرة مقسمة لحفظ الاسطوانات .

وأمسك ابلر بالجزء الخاص بالبيك أب ، ثم حركه حركة بسيطة ، فانفتح الى أعلى .. وقال لى : أنظر .. فنظرت لاجد أمامى تجويفا كبيرا ساقطا فى جوف الجهاز العجيب ، يكفى لكى يهبط فيه رجل ، فيجد كرسيا صغيرا يجلس اليه ، ويجد أمامه جهاز اللاسلكى الذى يعملان عليه ..

وقال ابلر وهو يشير بيده داخل التجويف :

ـ تستطيع أن تجلس هنا على هذا الكرسى وأن تضىء النور الداخلى ، ثم أغلق عليك الجهاز من فوق ، وأدير أنا اسطوانة للرقص ..

وقال زميله ساندى :

ـ اننا دائما نصنع هذا ، نرقص على الموسيقى مع الضيوف ، بينما يباشر أحدنا عمله داخل الجهاز فى هدوء ..

ووجدتها فكرة جميلة .. فلن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصور أن تحت هذا البيك أب ، محطة اذاعة كاملة ، ورجل يذيع !

ونزلت الى الفجوة ، لافحص الجهاز .

شكوك

وكان شعورى ساعة جلست أمامه ، وأخذت أدير فى مفاتيحه ، أن هذا الجهاز لا يمكن أن يتعطل هكذا من تلقاء نفسه ، فهو كما بدا لى جهاز دقيق متين الصنع ، كما انه بوضعه الذى كان فيه لم يكن معرضا لاى مؤثرات خارجية يمكن أن تؤدى الى تعطله ..

وفتحته من الداخل ، فوجدت جميع صماماته سليمة ، وحاولت أن اكتشف مكان العطب فيه ، فلم استطع ، فقد كان الجهاز جديدا على فى كل

شيء .. وكان من التعقيد بحيث لا يسهل اكتشاف سبب تعطله ، ان لم يكن فاحصه خبيرا به وبالنظرية التي اسس عليها .

وخرجت يائسا .. أو بادي اليأس ، وفي رأسي دوامة من الافكار ، وشكوك كثيرة ...

وصدر مني سؤال مفاجيء لم اكن أحمله اكثر من معناه الظاهري :

ـ هل هذا الجهاز معطل حقا ؟!

واضطرب ابلر لهذا السؤال بينما أجاب ساندي بسرعة فائقة ، والكلمات تتزاحم على شفتيه :

ـ انه معطل .. معطل فعلا .. هل تستطيع اصلاحه ؟

وقبل ان أجيبه بالنفي ، كان هو يسألني سؤالا آخر :

ـ انك بلا شك تسمع عن الهر هوارد ..

جهاز جديد

وكنت اعرف أن هوارد هذا ، ديبلوماسي في مفوضية السويد في مصر ، وانه كان يقوم برعاية شئون الرعايا الالمان في مصر ، بعد اغلاق المفوضية الالمانية عند اعلان الحرب ..

قلت : اعرفه ..

فقال : اننا على اتصال به ايضا ، وهو يعلم أن هذا الجهاز معطل ، وهو الذي قال لنا أن نحاول الاتصال بك .

وقاطعته قائلا :

ـ ولكني آسف جدا ، لاني لا استطيع اصلاح هذا الجهاز ، فلم يسبق لي أنّ استعملت أجهزة ارسال المانية أبدا ..

وبدأ ابلر الكلام فقال :

ـ ان الهر هوارد طلب منا أن نتصل بك ..

وسكت قليلا ثم عاد يقول :

ـ انه يعرف كل شيء عنا ، ونحن نستعين به دائما عندما نحتاج لاي شيء .. وهو ايضا ، يساعدنا ...

واكمل ساندي قائلا :

ـ وقد قلنا له ان هذا الجهاز قد تعطل ، فجاءنا بجهاز آخر .. ولكننا لا نعرف كيف يعمل ..

وسألتهما أنا :

ـ وهل الجهاز الآخر هنا الآن ..

فأجاب ساندى :

ـ نعم ، انه فى الطابق الاسفل لقد سرقه لنا هوارد من المفوضية السويسرية ، وأعطاه لنا لنواصل به عملنا ، ولكننا حتى اليوم لم نستطع تشغيله ...

وأمسك بى من يدى وقال : هيا معى .. ساريك الجهاز الآخر .. وقد قال لنا هوارد أنك أنت وجميع ضباط سلاح الاشارة فى مصر ، تستعملون مثله ..

ونزلت معه الى الطابق الاسفل وقد أخذت منى الظنون كثيرا ...

لم تعد شكوكا

وفى الطابق الاسفل ، وجدت جهاز ارسال من النوع المعروف بالهاليكرافتر .. وفحصت الجهاز فوجدته جديدا لم يستعمل قط ، ودهشت لقولهما انهما لا يستطيعان استعماله ، لسهولة استعمال هذا النوع من أجهزة الارسال

وقلت لهما :

ان هذا الجهاز من أبسط الاجهزة استعمالا ، وانى أستطيع أن أدلهما على كيفية استعماله فى لحظات قصيرة

وفجأة خطرت لى فكرة .. وانطلق بها لسانى فى التو واللحظة ...

فقد كانت شكوكى فى الرجلين قد بدأت تعلو الى مرتبة اليقين .. كنت قد اقتنعت فى نفسى تماما ، ان جهازهم الالمانى اما ان يكون سليما ، واما أن يكون هما قد عطلاه بنفسيهما .. وخطر لى انى لو تركت لهما الجهاز الآخر فسوف يتلفانه أيضا .. ولم أكن أعرف السبب فى هذه الشكوك ، ولكنها كانت قد سيطرت على ..

وقلت لايلر ، وانا آخذ بذراعه على سلم العوامة :

ـ أريد أن آخذ هذا الجهاز الامريكى معى يوما ، لاختبره اختبارا دقيقا ، ثم أعيده اليك ..

وانتظرت من ايلر أن يمانع فى هذا ، ولكنه أسرع يقول :

ـ بكل سرور .. يوم أو أكثر كما تشاء .. !



لن يستطيع احد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصـــور أن تحت هذا البيك آب ، محطة اذاعة كاملة ، ورجل يذيع بينما الضيوف يرقصون على الموسيقى .

نساء .. وخمر

وكنا قد وصلنا الى البهو الذى كنا فيه من قبل .. وهناك كانت فتاتان صغيرتان تجلسان وقد وضعت امام كل منهما كاس من الويسكى .

ولاحظت أن الفتاتين قد اتينا لزيارة الالمانيين ..

ولاحظت أيضا انهما لا يعرفان الالمانيين من قبل ، فقد قامت حكمت فهمى بتقديمهما اليهما ..

ورايت الالمانيين وقد استخفتهما النشوة ، والمرح ، وعلمت انهما سوف يقصدان الى جروبى لتناول الغداء ، وأنهما سيعودان بعد ذلك الى العوامة بصحبة الفتاتين ..

وكان لا بد أن انسحب . . فاعتذرت عن قبول دعوتهما للغداء . . لآخذ معى الجهاز !..

وبدات شكوكى تجد اسبابا ترتكز اليها ، ثم تحققت بعد ذلك من أن شكوكى لم تكن عبثا ..

يسرق من سويسرا

فقد علمت أن الالمانيين قد استطابا الحياة الناعمة ، التى وفرتها لهما آلاف الجنيهات التى بدلوها عن طريق اليهودى من البنك الاهلى ، وتعرفا على عدد من الراقصات ، ومن بائعات الهوى .. وأرادا ان يطيلا مكثهما فى القاهرة ، وان يلقيا عن كاهليهما عبء المسئولية والمخاطرة .. فادعيا ان الجهاز الذى معهما قد تعطل ، واخبرا بذلك ((هوارد)) وكان من ناحيته متصلا بقيادتهم ، واستطاع ((هوارد)) ان يزودهما بهذا الجهاز الامريكى ، فادعيا أنهما لا يستطيعان تشغيله .. واتصلا بنا ..

وبهذه الوسيلة استطاعا أن يغطيا أنفسهما فى قضاء الايام والليالى بين سهر فى المراقص ليلا ، ولهو مع الغوانى نهارا ... فقد كانت حجتهما أن الجهاز معطل ، وانهما لا يستطيعان العمل بالجهاز الجديد !!

وبدأت المتاعب !

عرفت هذا .. ولكنى عرفته بعد فوات الاوان ..

وفى يوم الاحد ، ذهبت الى العوامة ، واوقفت التاكسى خارجا ..

واخذت الجهاز ، وخرجت تاركا خلفى ابلر وساندى ، ومعهما فتاتان .. جديدتان !!

ومر الاحد ، والاثنين ...

وفى يوم الثلاثاء ، قبض عليهما ..

وفى اليوم نفسه عرفت انا بنبأ القبض على هـذين الرجلين ، فبدأت مخاوفى ، فقد كنت حتى ذلك الوقت ، اعتقد فى وجود الخرافة الكبرى التى عرفت فى مصر ، باسم « قلم المخابرات البريطانية » ..

وكنت على يقين حتى ذلك اليوم من أن هذه المخابرات هى التى أمسكت بخيوط المغامرة التى جاءا ليقوما بها ، وأنها هى التى قبضت عليهمـا ، وأنه ليس من المسـتبعد ابدا ان تكون عيون المخابرات قد وقعت على فى الزيارتين اللتين قمت بهما للعوامة ، وانى بهذا بت فى خطر انا ومن معى فى تشكيل الضباط .

وبدأت أعد نفسى لكل احتمـال وانبأت اصدقائى بالقبض على هـذين الرجلين ، وأبلغت الفريق عزيز المصرى أيضا ..

ولم اقف عند هذا ، فقد كان على ان اعرف كيف قبض عليهما ، وهـل اكتشفت المخابرات ما كان بينى وبينهما من صلة ، وهل هناك مراقبـة موضوعة علينا ...

وبدأت سلسلة من التحريات على نطاق ضـيق ، مأمون .. فعلمت أن المخابرات البريطانية قد علمت بوجودهما منـذ شهر ، وان الرقابة كانت مفروضة عليهما طوال ذلك الشهر ليلا ونهارا ، وان هم المراقبة كان معرفة أعوانهما فى القاهرة والعمل الذى يقومان به فعلا ..

خرافات المخابرات

وعرفت بعـــد ذلك أن هذه المراقبة لم تكتشف صلتى بهمـــا ، ولم تقع أعينها على داخلا الى العوامة ولا خارجا منها .. وأنها حتى بعـــد القبض عليهما ، لم تكن تعرف عنى شيئا ..

وتكشفت لى المخابرات البريطانية على حقيقتهـــا خرافة كبيرة ، ملآنة الجيوب بالذهب .. فقد عرفت بعد ذلك كيف قبض عليهما ، ويوم عرفت ذلك .. عرفت قصـــة من القصص التى تلعب فيها المرأة ، ويلعب فيهـــا الذهب ، وتنام فيها عيون المخابرات ..

وعرفت فى ذلك اليوم شيئا آخر أيضا .. عرفت حياة جديدة لم تـــكن لى بها خبرة من قبل ...

دخلت السجن بسبب شهرزاد!

- عذارى شهريار ...
- في عوامة الراقصة ..!
- النحاس وحمدي سيف النصر يسلطان علينا الإنجليز
- حسن البنا يهرب معي من وكيل الإخوان المسلمين
- حتى لو كان مصطفى النحاس!
- هل كان حسن البنا .. معنا ؟

قبض البوليس على ابلر وساندى يوم الاحد ، ومر بى يوم الاثنين وانا احاول ان اعرف ان كانت صلتى بهما قد اكتشفت ام لا ..

فعلى الاجابة عن هذا السؤال يتوقف مصيرى، كضابط فى الجيش .

وكمصرى حر يعيش حياته طليقـا كما يعيش المصريون ..

وقد يذهب الامر الى اكثر من هذا ، فتتوقف على الاجابة على هذا السؤال : حياتى وموتى .

واكثر من هذا .. ان نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية لصلتى بهذين الرجلين ، كان يمكن أن تكون المفتـاح الكبير الذى يفتح امامها البـاب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش ، هذا الذى ترامت أنباؤه الى انجلترا منـذ شهور كثيرة ، فادت بها الى افتعال حادث ٤ فبراير ، ومجابهـة هذا التشكيل بقوة الوفد الشعبية فى ذلك الوقت.

ولم اكن اتوقع ان يقبض على سريعا ، فقد كنت ارجح ان المخـابرات البريطانية، وان كانت قد اكتشفت صلتى بالجاسوسين الالمانيين ، فهى لا بد ان تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت ، لتتمكن بهذا من وضـع يدها على سر تشكيل الضباط كله ..

كان هذا ماعتقدته ، ولكنى فوجئت فى يوم الثلاثاء التالى ، اى بعـد يومين اثنين من القبض على الجاسوسـين ، بالقبض على وعلى زميـلى حسن عـزت .

ودهشت لهذه السرعة ، وخيل الى ان المخابرات البريطانية الساهرة ، لم تكن غافلة عنا ، وانها قد وضعت يدها فعلا على كل اسرارنا والا لتركتنى طليقا كطعم يوقع لها الصيد الثمين فى الشرك ..

ولكنى بعد ذلك ، قابلت ابلر ، وساندى ، اثناء التحقيق ، واخـذ ابلر يشرح لى تفاصيل مثيرة ، سمعتها بشغف ، وتنفست بعدها الصعداء ..

بـلاد شـــهر زاد !

كان ساندى شأن اكثر الالمان ولوعا بالموسيقى الكلاسيكية الاوربية ... ولم يكن ابلر كذلك ، فقد كان على النقيض منه لايحب الا موسيقى الجاز .. تمتزج طرقاتها العنيفة بالخمر التى تدور برأســه ، فتحيـله كائنا عجيبا ، نصفه انسان ، ونصفه حيوان .. !

وفى احدى الامسيات ، جلس ساندى فى عوامة الراقصة حكمت فهمى ، يستمع الى موسيقى «شهر زاد» للموسيقار الروسى ديمسكى كورساكوف .. وكان ابلر مغيظا محنقا ، يحاول اغراء صديقه للقيام معه الى موعـد حافل ضربه مع بعض الغوانى فى ملهى الكيت كات .. واصر سندى على سماع الموسيقى الخالدة حتى نهايتها ، فوضـع امامه كأسا من الخمـر ، واخذ يسمع ويحلم ، ويتمثل فى خياله آخر مرة شاهد فيها هذه الباليه على مسرح من مسارح برلين ..

ورويدا رويدا اندمج ابلر معه فى الاستماع الى الموسيقى .

ولكنه لم يسلم نفسـه لانغام الموسيقى بقدر ما اسلم نفســه لهمسات شيطان اخذ يراوده ..

وفجاة صاح بصديقه صيحة مخمورة :

ـ ماكان أسعده هذا الملك .. شهريار ..

وضحكساندى ، وهو مسترسل فى أحلامه وقال :

ـ كان يأتى كل ليلة بعذراء طاهرة .. يبيت معها ليلته .. ثم يذبحها فى الصباح

وصاح ابلر ، والخمر فى رأسه :

ـ هكذا الحياة . ماذا ينقصنا نحن ، لنكون مثله .؟! انا شهريار الثانى ، وانت شهريار الثالث ...

السنا فى بلاد الف ليلة وليلة !! ؟

ـ أكنت تقرأ مثلى قصص الف ليلة وليلة ايام الشباب ..

فأجاب ابلر :

ـ لقد كدت أطرد من المدرسة وانا اقرؤها يوما فقد كانت معى الترجمة الحقيقية لها ، بكل مافيها من كلام لذيذ !!

وسأله ساندى بخبث :

ـ وهل تحب أن تذبح النساء ..

فأجاب ابلر ..

ـ ولماذا أذبحهن .. اعطيهن مالا .. مالا من البنك الاهلى .. كم يكون لذيذا ان تعيش كل ليلة فى احضان عذراء !

وانتهت الموسيقى وخرج العربيدان الى الكيت كات يقضيان سهرتهما ..

ولكن خيال الف ليلة وليلة لم يبرح ذهن ابلر وساندى فى تلك الليلة .. فكانا كلما سكتت الموسيقى رفعا عقيرتهما بألحان شهر زاد ، فتضج القاعة بالضحك على هذين « الانجليزيين » ـ كما كانت تظن الراقصة ! ـ اللذين ذهب بعقلهما الشراب ..

عذارى شهريار

ولم تمر الليلة على خير ..

فقد أسر ابلر بأحلامه الحيوانية الى احدى صديقاته .. فضحكت الصديقة بخبث ، ودخلت معهما فى مفاوضات ، اصبح ابلر بعدها شهريار الثانى ، واصبح ساندى شهريار الثالث ايضا ...

وبدات العوامة تستقبل كل صباح فتاتين جديدتين من بائعات الهوى ، فى ثياب كثياب الطالبات .. يدخلان على استحياء ..

ويخرجان وقد امتلأت حقيبة كل منهما بمائتى جنيه !!

اخذتاهما من الرجلين باعتبارهما من العذارى !!

واشتهر امر ابلر وساندى بين مجموعة من فتيات اليهود ، اللواتى كن يقمن بهذه التمثيلية العاطفية الفذة ...

حتى كان يوم السبت السابق للقبض عليهما ..

وكانت فى العوامة يهوديتان جاءتا لتمثل كل منهما دور عروس من عذارى شهريار ...

وانتهى التمثيل .. والرجلان فى نشوة بالغة ، من السكر الشديد ، والخيال المنطاق . .

وتهيات الفتاتان للخروج .. ثم وقفتا فى انتظار الاربعمائة جنيه ..

ودخل ابلر الى غرفته ، ليأتى بالنقود ، ولكنه لم يجد سوى سبعين جنيها فقط ، هى كل ماكان لديه من أوراق مالية مصرية ..

ومد ابلر يده بالنقود الى احداهما فأخذاتها ،وعدتها، ثم قذفت بهسا فى وجهه وهى تصيح :

ـ أتسلبنى اعز ما املك ، بثلاثين جنيها ؟ . اين باقى المبلغ ؟.

وصاح فيها ابلر ، وقد اغاظه منها تطاولها عليه .. وقال :

ـ ليس معى غير هذا .. هيا اخرجي قبل ان اذبحك كما كان يفعل شهريار . . .

وارتجفت الفتاتان ، وقد سمعتا كلمة ((اذبحك)) وخيل اليهما ان هذين ((الانجليزين)) قد يصنعان أى شىء دون ان يخشيا عاقبة أو حسابا .

وراى الالمانيان هذا الهلع على وجه الفتاتين ، فاستبدت بهما نشوة الخمر والانتصار ..

وانطلق احدهما يغنى نشيد ((المانيا فوق الجميع)) ثم شاركه الآخر ، فكونا معا ثنائيا فريدا فى نوعه ، ينشد نشيد هتلر ..!

ولم يكن هذا النشيد مجهولا .... خصوصا فى اوساط اليهود ..

فهزت احدى الفتاتين رأسها ، وجذبت الاخرى ، ومضيتا ، من العوامة الى قلم المخابرات البريطانى .

وبعد ساعات قليلة .. كان ابلر وساندى فى طريقهما الى السجن ..!

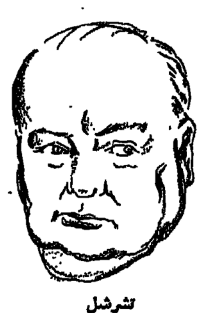
امـــام تشرشـــل . !

قص على ابلر هذه القصة التى تكشف عن خرافة المخابرات البريطانية فتظهرها على حقيقتها : ذهب كثير واعتماد على اغراء هذا الذهب للنفوس الضعيفة التى تخون وطنها فى سبيله .. فليست المخابرات اذن هى التى اكتشفت سر الجاسوسين .. ولكن الفتاة اليهودية التى اشرت على ان تأخذ ثمن جسدها مائتى جنيه ، وسيان عندها ان تأخذ المبلغ من ابلر .. او من مخابرات الانجليز .. !

وسألت ابلر بعد ذلك ، على السبب فى القبض على ـ انا وعزت ـ

وكنت قد بدأت اشك فى ان الفتى المجنون قد اعترف بالصلة التى قامت بينى وبينه .. فأطرق الالمانى الى الارض ، ولم يجب ، وكدت انا انفجر غيظا ، واهوى عليه بقبضة يدى ...

ولكنى كظمت غيظى .. وانتظرت .



تشرشل

وظهرت لى الحقيقة كاملة عند ما علمت بعد ذلك ، ان الجاسوسين قد امسكا عن الكلام يوما كاملا .. ثم حملتهما المخابرات البريطانية حملا الى مستر تشرشل وكان يزور مصر فى ذلك الوقت ، فلما مثلا امامه ، وعدهما بحياتهما ان اعترفا بكل شىء ..

واختار الجاسوسان بين الموت والحياة .. فاعترفا اعترافا كاملا .. وجاءا بى وبحسن عزت الى السجن !!

حتى لو كان مصطفى النحاس

وبدأنا نرقب النهاية المحتـومة لضابطين فى الجيش المصرى ، يقبض عليهما بتهمة الاتصال بجواسيس الاعـداء .. وقد كان الالمـان فى ذلك الوقت هم أعداء مصر .. !

ثمَّ جاء اليوم الذى يتقرر فيه المصير .. فقد صـدر أمـر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا ، ودعينا للمثول امامه .

ولم نكد ندخل حتى فوجئنا بما افقدنا الصواب ..

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية ، وانجليزيين .

احدهما برتبة ميجر ، واسمه جنكنز ..

والثانى برتبة كابتن واسمه سمبسون ..

وضابط من البوليس المصرى كان اسمه كمال رياض ..

وكان يبدو من تصرفاته وحركاته واسئلته ، انجليزيا صميما لايمت الى المصرية بشىء ..

وقد لا تهم القارىء تفاصيل المحاكمة .

فقد كان أهم مافيها اعتراضنا على ان نحاكم كضباط مصريين ، امام ضباط انجليز ، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف النصر ، ومن رئيس الحكومة نفسه ، مصطفى النحاس ..!

بل لقـد كان هـذا التصرف من وزير الدفاع المصرى ، ومن رئيس الحكومة المصرية ، هو الخنجر الاول الذى طعنا به فى ذلك اليوم ..

ولم يستطع المجلس العسـكرى ان يحصـل منـا على شىء .. لا اعترافات ولا اجابات ..

لا شىء غير الاحتجاج العنيف .. ونظرات الاحتقار ..

وتقرر وضعنا تحت الايقاف .. ثمَّ طردنا من الجيش فى ٨ اكتوبر ١٩٤٢ اى بعد حادث ٤ فبراير بثمانية اشهر فقط ..

ولم نكد نبرح مكاننا من الجيش ، حتى تسلمتنا السلطات المدنيـة ، فحملتنا الى سجن الاجانب ثم رحلتنا الى معتقل المنيا .

حلقــة الاتصــال بالاخــوان

كان هذا الحادث ، الذى انتهى بطردنا من الجيش واعتقالنا ، نذيرا آخر بتأجيل العمل الجاسم الذى كنا نفكر فيه ..

وكان كذلك بدءا لتطورات اخرى فى تشكيل الضباط الذى لم يتأثر موقفه بخروجنا من الجيش ، ولم يتأثر بذلك موقفنا منه نحن ايضا .

وكان نهاية صلات مع الاخوان المسلمين ، وبدء صلات جديدة معهم فقد كنت انا حتى ذلك الوقت حلقة الاتصال الوحيدة بين تشكيل الضباط وبين الاخوان المسلمين

فلما انتهى الأمر باعتقالى ، بدات حلقة اخرى عملها ..

وكنت حين قبض على ، قد اجريت فعلا آخر اتصالاتى فى تلك الفترة معهم ..

وكانت هذه الاتصالات فى نفس الفترة التى تم فيها اتصالى بالجاسوسين الالمانيين ..

فقد كانت خطتنا اذ ذاك لابادة الجنود الانجليز العائدين من العلمين ، قد تمت من الناحية العسكرية ، وكانت استعداداتنا كافية فعلا ..

وكنا قد بدانا نفكر فى التنفيذ العملى .. فكان لابد لنا من ان نعاود الاتصال بالاخوان المسلمين لكى يكونوا هم القوة الشعبية التى تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير ..

واذا قلت ((الاتصال بالاخوان المسلمين)) فانما اعنى الاتصال بالمرحوم حسن البنا ، فلم تكن لى صلة عملية بغيره .. او هكذا اراد حسن البنا نفسه .. فقد كان كما قلت من قبل ، احرص ما يكون على ان يظل مابيننا وبينه سرا خافيا على الجميع ، حتى على كبار الاخوان انفسهم ..

وعند ما بدات الاتصال به للقيام بالعمل الفعلى الذى كان يعرف اننا ننتويه . تكتم الامر ايضا بينه وبين نفسه ..

فقد ذهبت اليه حينئذ فى دار الاخوان وطلبت مقابلته لامر هام ، وكان الاستاذ السكرى وكيل الاخوان المسلمين موجودا معه ، فاذا به يشير

بأن ادخل الى غرفة فى مدخل الدار ، كانت مخصصة الشركة المعاملات الاسلامية .

وبذل رحمه الله جهدا كبيرا لكى لا يشعر الاستاذ السكرى بأى حركة غير عادية ، ثم تسلل الى فى الغرفة من باب آخر لها ، واخذنى من يدى فخرجنا متلصصين ، الى عربة نقلتنا الى بيته بالقرب من دار الجماعة ..

.. واغلق البنا باب غرفته ، واوصد الشبابيك ، ثم مال على براسه لكى يسمع ما اردت أن انهيه اليه ..

دور الاخوان

وفى تلك الليلة بسطت للمرحوم البنا كل التفاصيل ، وتوسعت معه فى شرح دقائق الخطة العسكرية الموضوعة ، وافهمته حقيقة الدور الذى نريد أن يقوم الاخوان به ، وحدود هذا الدور ..

واطرق البنا طويلا وهو يستمع لى ثم سكت فترة طويلة اخرى قبل ان يتكلم .. وعند ما تكلم اجهش فى البكاء . !!

ومرت فترة وهو يتكلم ..

كنت انا خلالها ذاهلا كالمسحور .

قال كلاما كثيرا .. كلاما مثيرا امتزج بالايمان الشديد .. وكان واضحا جدا من كلامه انه يؤثر مصلحة البلاد ..

ولكننى عند ما خرجت من عنده ، سألت نفسى :

هل وعد الرجل بشىء . ؟

هل احتضن خطتنا . ؟

هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الإخوان منها . ؟

وحرت فى الاجابة على كل سؤال من هذه الاسئلة .. فالواقع ان الرجل تكلم كثيرا واثر فى نفسى كثيرا ، وبكى من اجل مصر كثيرا .. ولكنه لم يعد بشىء ولا احتضن خطتنا

ولا افهمنى انه مقبل على تنفيذ نصيب الاخوان من الخطة .. !!

هل كان معنا ! ؟

ولكنك لو سألتني حينئذ سؤالا من هذه الاسئلة، لما استطعت ان اجيب عليه اجابة قاطعة كما استطيع ان افعل اليوم .. فقد كان تأثيره الشديد على قد ابعد عن ذهنى كل شك .

انه رغم عدم تقيده بأى وعد فهو معنا .. بقلبه ووجدانه وتفكيره ... وروحه ايضا .

وكان اخطر ما اردت معرفته منه فى تلك الجلسة ، هو ان اعرف شيئا عن استعداداته من حيث الاسلحة .. فقد كنت على يقين ان الرجل يملك سلاحا ، وانه يختزنه ويعرف كيف يخفيه ..

وكانت مباراة بينى وبينه .. انا اريد ان اعلم واطمئن ، وهو يباعد بينى وبين ما اريد مباعدة لبقة لا تكاد تشعر بها ابدا ..

وفى جو الغموض والاسرار الذى كان يحوط نفسه به ، ويحوط كل اعماله وكل جماعته ، كان سهلا عليه ان يقنعك بأنه يملك سلاحا ، وان يقنعك بالا تسأل عنه ابدا ..

وان يقنعك بانه اعد فعلا جماعته للكفاح ، وان يقنعك بان تحفظ هذا سرا بينك وبين نفسك ..

وان يقنعك بانه معتمد على قوة كبيرة مخيفة مجهولة ، وان يقنعك ايضا بان تؤمن بهذه القوة ، دون ان تعرف عنها اى شىء ..

وكان هذا هو اخر اتصال لى بحسن البنا قبل اعتقالى .

ولكن اتصالات جديدة بدأت عقب ذلك ..

اتصالات بينه وبين ضابط آخر من ضباط تشكيلنا . واتصالات بينه وبينى اثناء هربى من المعتقل ..

وكانت هذه الاتصالات الجديدة ، صورة اخرى من صور الفصل الكبير الذى اشترك الاخوان معنا فى صفحاته

عزيز المصري يتوقع هزيمة رشيد عالي الكيلاني

- تاريخ الخيانة في سياسة البلاد العربية ..
- اخترنا مطار « الخطاطبة » وكلت ..
- خبرة البارون الثابتة في الصحراء .!
- كيف ادعيت انني مريض بقلبي .؟
- الحظ الملعون يتربص عند الهرم ..
- سقوط طائرة عزيز المصري .!

كان اعتقالى خاتمة لفترة من فترات الكفاح الذى بدأناه يوم استقر عزمنا عليه فوق تباب الشريف .. الى جوار منقباد..

ولم يكن هذا الكفاح يستطيع ان يتصل طول الوقت ، فقد قلت ان جمال عبد الناصر كان قد نقل الى السودان ، وان تشكيلنا الاول كان قد تشتت هنا وهناك ..

وكانت الاحداث قد دفعت بعضنا لكى يعمل ، فعمل بروح التشكيل ، وفكرته .. واتصل فى ذلك بمن استطاع الاتصال بهم ، وتصرف وحده حين اعوزته المشورة ...

وقد تلا هذا الاعتقال احداث .. وسبقته أيضا — غير ما ذكرت — احداث ..

وكانت كل هذه الاحداث ، وثيقة الصلة بالتمهيد للثورة الذى كنا نقوم به ، وبالعمل الفعلى الذى كانت الاحداث تدفعها الى القيام به ...

ولكى يتم اليوم ما نستطيع سرده من تفاصيل هذه الثورة وتمهيداتها سأروى قصة الدور الفعلى الذى قام به عزيز المصرى ، الذى ادى الى اعتقاله ومحاكمته ...

كنا قد عدنا من الصحـراء الغربيــة ، عقب رفضنـا أوامـر تسليـم السلاح الى القوات البريطانية .

وكنا كما اسلفت ، قد عقدنا العزم على الاتصال ، بعزيز المصرى ، وعلى ماهر ..

ولم يتم اتصالى بعلى ماهر ، ولكنى اتصلت بعزيز المصرى ، على النحو الذى ذكرته ..

ورغم التحفظ والحذر الشديد اللذين كنت التزمهما كلما ذهبت اليه الا اننى فوجئت ذات يوم بالقائمقام موسى لطفى ، مدير المخابرات المصرية وقتذاك ، وهو يقول لى اننى التقى بعزيز المصرى هنا وهناك .

وان المخابرات البريطانية التى تراقبــه ، قد وضعتنى انا أيضـا تحت المراقبة !! .

وسألت القائمقام موسى لطفى عما يريده منى ..

فسكت ثم قال :

ـ انى فقط احذرك ..

.. وفهمت ان تحركاتى كانت مكشوفة وذكرت لهذا الرجل احسانه الى بكشف هذا السر لى ..

اللحظة الحاسمة

وبدات ازيد من حذرى ، ولكنى لم أقف اتصالى ، لابعزيز المصرى ، ولا بالجماعة التى كنت القاها من تشكيلنا ...

وكان شغلنا الشاغل فى تلك الفترة ، هو مراقبة تطورات هجوم المحور فى الصحراء الغربية .. كنا نتتبعه ساعة بساعة ، ونحن نستعد ونتكتل انتظارا للحظة الحاسمة ..

.. وكان يوم من ايام الصيف فى عام ١٩٤١ ..

.. كنت عائدا الى منزلى . عقب نزهة قصيرة أعفيت فيها نفسى من متاعب التفكير وتوتر الاعصاب . ولم اكد ادخل البيت ، حتى اخـبرت بأن عزيز المصرى قد مر بى ، فلما لم يجدنى طلب ان اتوجه اليه فور حضورى ..

وكانت هذه الزيارة من عزيز المصرى ، وهذا الطلب ايضـا ، يحمـلان فى طياتهما بالنسبة الى شيئا خطيرا .

فلا بد ان شيئا قد وقع ، واننا على وشك ان نخوض احدى المعارك !!

وغادرت منزلي فورا .. واسرعت الى عزيز المصري .

وجلس عزيز يروى لى تفاصيل مثيرة ، الهبت حواسي ، وجعلتني اعتقد أن ساعة البدء ، قد تحددت . .

واننا فى الطريق اليها . .

قال لى عزيز المصرى ان الالمان قد اتصلوا به عن طريق بعض اعوانهم .. وانهم يرحبون بخبرته فى شئون الشرق الاوسط والعرب ، وانهم على اتم استعداد الاختطافه ، ونقله الى قيادتهم، حيث تستطيع خبرته ان تلعب دورا عمليا كبيرا ..

اذن فقد بدات نذر المخاطرة .. ولن يكون العمل داخليا فقط ، وانما سيكون هناك تنسيق لخطة من الداخل مع خطة اخرى مع الالمان ..

وكان يجب ان نقرر هل نقوم بهذه المخاطر ، ام نرفض القيام بها .. وكان علينا ان ندرس كل ذلك على اساس الاعتبارات والظروف المختلفة المحيطة بنا .. فى القاهرة ..

ففى هذا الوقت كانت الحكومة ومن خلفها مخابرات الانجليز تشك فى نوايا عزيز المصرى ، وتتوقع منه أن يهرب الى الخارج ومن اجل هذا سحبت منه جواز سفره ، ووضعت عليه رقابة شديدة ..

ولم يقابل عزيز المصرى هذا الاجراء بالرضى ، بل توجه الى المسئولين ، وطلب منهم ان يسمحوا له بالسفر الى الخارج فعلا . فرفضوا هذا الطلب ...

ومعنى هذا ، ان كل حركة من حركات عزيز المصرى كانت تسجل وتحسب عليه ..

واكثر من هذا ان حكومة مصر، ومخابرات الانجليز كانتا تتوقعان سفره هذا من ناحية ..

اما من الناحية الاخرى التى جعلت عزيز المصرى يشعر كأنه سبع قد حبس فى قفص من حديد .. فهى قيام ثورة رشيد عالى الكيلانى فى ذلك الوقت بالعراق .. !!

الساسة العرب !

كانت هذه الثورة ، هي المتنفس الحقيقي الوحيد لنا ، هنا فى مصر .. وكنا نتابع انباء هذه الثورة ، فى حماسة بالغة ، ونعلق عليها آمالا واسعة . .

ولكن نظرتنا الى هذه الثورة ، كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة عزيز المصرى ..

كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل ..

وكانت نظرتنا مليئة بالضيق والتشاؤم ..

فقد كنا فى شبابنا وحماستنا ، نريد ان نصنع ما صنعه رشيد عالى الكيلانى ..

ننقض على الانجليز ونعلنها عليهم فى ازمتهم ثورة مسلحة ..

وكانت هذه البداية من رشيد عالى هى المفتاح الذى رايناه يفتح لنا الطريق ، ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها ..

ولكن عزيز المصرى ، كان يسمع انباء هذه الثورة فينتابه الضيق والعصبية ، ويملأه التشاؤم ..

وكنا نساله فى ذلك .. فيقول :

ـ انتم لاتعرفون رجال السياسة فى العراق مثلما اعرفهم ..

وكان يسترسل فى حديثه فيروى لى قصصا من خيانات الساسة العرب او أكثر الساسة العرب على الاصح ، منذ اتصل بالاحداث فى عهد الدولة العثمانية ، وكان اذ ذاك يرعى الحركة العربية .

وكان يسمع انباء هذه الثورة ، ثورة رشيد عالى ، فيتوقع الخيانة ، وتتجسم له الخناجر التى لابد ان يطعن بها رشيد فى ظهره ...

وكان يتصور هذا المصير ، لتلك الثورة المخلصة ، فيكاد ينفجر غيظا ، وكمدا ..

هروب عزيز المصرى

ولم نكن نحن .. حتى آخر لحظة ، نشاركه هذا الشعور ، أو نقبل منه هذا الكمد ..

هذان الظرفان : المراقبة الشديدة المفروضة عليه من الحكومة والانجليز .. وثورة رشيد عالى التى كا نيتوقع لها ان تطفئها الخيانة .. كانا هما العاملين الرئيسيين فى تكييف الموقف عندما عرض الالمان عرضهم عليه ، ان يختطفوه ليستفيدوا من خبرته فى وضع خططهم ..

وفكر عزيز المصرى طويلا .. وفكرت معه .. ثم استقر رأينا على وجوب سفره .. وعدم إفلات هذه الفرصة ..

وفى اليوم التالى ، عاد عملاء الالمان الى عـزيز المصرى ، فأبلغهـم قراره بالقبول ..

ووضع الالمان خطة الاختطاف ..

طلبوا منا أن نحدد لهم مكانا خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات .. وقالوا انهم بمجرد معرفة هذا المكان ، سيرسلون طائرة تحمل العلامات الانجليزية لتهبط فيه .. ويكون عزيز المصرى فى انتظار الطائرة .

وعلى الفور تناولنا الخرائط ، وأخذنا نحن الاثنين ، ومعنا زميلى عبد المنعم عبد الرؤوف ندرس جميع الاماكن ، وندرس ايضا كل الاحتمالات .

اخترنا مطار الخطاطبة .. ولم يكن مطارا بالمعنى المفهوم ، وانمـا كان مجرد أرض صالحة لهبوط طائرة . !

وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى ، ثم حددنا مكانه عـلى الخريطة بالطريقة الطوبوغرافية العسكرية .. وارسلناه الى الالمان . !

وبدأنا نحن ننتظر الموعـد الذى سـيحدده الالمـان لهبـوط طائرتهم « الانجليزية » فى أرض الخطاطبة ..

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد من الالمان ، يرفضون فيـه فكرة « الخطاطبة » ويعينون منطقـة « جبل رزة » عـلى طـريق الواحات البحرية ، مكانا للقاء ..

البارون التـائه

واخذنا ندرس اسباب هذا التغيير .. فوجدنا ان الالمان كانوا على حق وانهم على دراية تامة بصحرائنا ، ومعرفة حقيقية بوسائل الهروب من مصر .. ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق الرحلات التى قام بهـا كشافوهم ورحالوهم قبيل الحرب والتى تاه فى احداها احـد باروناتهم فى صحرائنا ..

لهذا قبلنا هذا التغيير ، وحددنا يوم السفر ..

كنا اذ ذاك فى يوم أربعاء ، وكان سفر عزيز المصرى قد تحـدد له يوم السبت التالى على الفور ..

ولا أدري كيف توقعت مخابرات الانجليز ، اننا على وشك اتخاذ خطوة خاصة ..

فقد صدرت الى فى نفس اليـوم ـ يوم الاربعـاء ـ أوامر بالنقـل الى الصحراء الغربية فورا ، وانبانى مديرالسلاح ، وهو يصدر الى أمره ،وجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة .. يوم الخميس .. ! !

ولم يـكن لهـذا النقـل أسـباب .. وانمـا كان امرا واجب التنفيـذ فحسب ..

ووقفت حائرا امام مدير السلاح اللواء احمد الصاوى ، وهو يصدر الى امره .. وكان على أن أختار ، اما ان أسافر فى الموعد المحدد واما ان أرفض السفر ، ومعنى هذا اعلان عصيانى لأوامر الجيش فى ظروف حرب ..

وهى اخطر تهمة يمكن ان توجه الى ضابط فى الجيش ..

وخرجت من عند مدير السلاح ، وتوجهت الى عزيز المصرى ، لأعرض امرى عليه ..

ولكنه رفض ان يشير بشىء على وفوض لى الامر كله .. والشىءالوحيد الذى اتفقنا عليه هو وجوب سفر عزيز المصرى فى الموعد الذى تحـدد فعلا .. وأن يكون عبد المنعم عبد الرؤوف فى صـحبته .. حتى تطير به طائرة الالمـان ..

وقد تركت الامر لهما ، وتوجهت انا الى المستشفى العسـكرى صـباح الخميس .. وادعيت انى اشعر بآلام مترتبة على مرض فى القلب اصبت به اثر حادث تصادم كان قدوقع لى ..

ولم يكن صعبا أن أحصل على اجازة مرضية من المستشفى العسكرى وان أبطل بذلك ، ـ ولو مؤقتا ـ امر النقل الى الصحراء ..

وقضيت يومين فى المستشفى اترقب يوم السبت ، واتعجله .

سوء الحـظ

وجاء يوم السبت . . وزارنى فى نهايته عبد المنعم وكان حزينا مبتئسا . ! !

ان الرحلة لم تتم ، ولم يستطع عزيز المصرى ان يصل الى « جبل رزة » ولم يكن السبب انكشاف امر هذه الرحلة ، ولا رقابة البوليس ، ولالأى شىء من كل الاسباب التى تطوف بالذهن لاول وهلة ..

ولـكنه كان القدر ..

فقد خرج عزيز وعبد المنعم بسيارة جديدة اشتريت خصيصا لهذا الغرض .. وسارت بهما السيارة شوطا ، واذا بها تتوقف عن السير فجاة على مقربة من الهرم ، وقبل أن يدخلا بها طريق الواحة البحرية ، الذى كانت الطائرة الالمانية ستهبط فيه .



وكان الاتفاق أن تهبط الطائرة عند الغروب ، وأن يصعد اليها عزيز بمفرده ، ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكى فور وصوله الى خطوط الالمان .

وقال لى عبد المنعم ، انهما لم يتمكنا من اصلاح العطب الذى اصاب السيارة ، فتركاها فى مكانها بعد أن فات الوقت المحدد لهبوط الطائرة .. وعادا ..!

وقال لى ايضا : ان عزيز المصرى فى حالة عصبية شديدة بسبب هذا الحادث .

ومضى بعد ذلك يومان ، ثم اتصل احد رجال الالمان بعزيز المصرى ،

وابلغه أن الطائرة قد أتت فى موعدها ، وانهـا حومت حول المـكان ، ولم تجد الاشارة المتفق عليها ، فعادت ..

ثم مرت أيام كثيرة ، دون أن يجدد الالمان اتصالهم بعزيز المصرى ..

وكان لابد لاجازتى المرضية أن تنتهى ..

وكان لابد أن ارحل الى الصحراء الغربية ..

ورحلت فعلا ، تاركا كل شيء لعزيز المصرى وعبد المنعم عبد الرؤوف

المحاولة الثـــانية

وأكاد أتصور الان الايام التى مرت بعزيز المصرى بعد ذلك ، على ضوء ما أعرفه عنه ، وما لمسته من أنه اذا صمم على شيء لم تستطع قوة ان توقفه عن المضى فيه ..

فقد كان عزيز قد صمم على الذهاب الى خطوط الالمان ، وكانت هذه الفكرة قد اختمرت فى راسه ، واصبحت مسيطرة على تفكيره وآماله .. وكان من الصعب بعد ذلك انتزاع هذه الفكرة من راس الرجل ..

ومرت أيام قليلة ، واذا به يكلف عبـد المنعم بأن يبحث له موضـوع سفره ، على متن طائرة مصرية ..

وبدأ عبد المنعم دراسته ، ثم اتصل بقـائد الفرقة الجوية حسـين ذو الفقار ، واتفق معه على ان يعد خطة السفر .. وأن يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى الى الالمان .

وتحدد موعد السفر ، فى ليلة كان فيها ذو الفقـار هو الضـابط العظيم بالمطار .

وحمل ذو الفقـار عزيز المصرى فى احـدى الطائرات .. وطـارت الطائرة بهما ..

ولـكن القدر كان بالمرصاد أيضا .. فقد سقطت الطائرة .. وقبض على الرجلين ووضعا فى السجن ..

وبعد أن قضى عزيز المصرى عاما ونصــفا فى الســجن ، نقل الى ((ميس)) الضباط تخفيفا عنه .. ثم افرج عنه بعد ذلك فى مارس١٩٤٢.

فى نفس الفترة التى بدأ فيها الالمانيان آبلر وساندى اتصالاتهما بى .. وبعزيز المصرى ..

كان القدر دائما ضدنا فى هذه الفترة .. ولكننا كنا نستفيد من القدر وجاءت الفترة التى أعقبت اعتقالى .. وتغير كل شىء ..

كيف أقيلت وزارة النحاس

- محمد ماهر ينفذ رغبات الانجليز ..
- فاروق يقول ليوسف رشاد .. " حسن البنا ضحك علينا !
- ضممنا " الملك " الى صفوف الاعداء ..!
- اخلاص حسن البنا ..!
- العملاق الذي لا يقهر ..!
- الملك يخشى وكيل الوزارة !

فى الساعة الخامسة تماما من مساء ٨ اكتوبر ١٩٤٤ ، انقطع صوت الاذاعـــة المصرية فجاة ، وكانت تذيع احدى الاغانى .. ثم عادت تصدر صـــوتا كان مالوفا لدى المصريين طـوال فترة الحرب هو صوت الاستاذ محمد سـعيد لطفى ، الذى كان مستشارا للاذاعة فى ذلك الوقت ...

كان يحمل امر الاقالة التى وجهها فاروق الى النحاس لينهى بها عهدا بدا بدبابات الانجليز ..

وكان واضحا فى صوت مستشارالاذاعة ، وفى القائه لهذه الاقالة : انه طروب بها مستبشر .. شمتان !

وكان سهلا على المدركين لحقائق الامور أن يعرفوا الاسباب التى تدعو مستشار الاذاعة الى الفرح الشديد بهذه الاقالة ، فقد كانت هذه الاقالة بشرى — من السماء ! — هبطت على ذلك الرجل ، لتنقذه من عـــذابه طويل ، وضـــيق وحرج لا مثيـــل لهما ، عاش فيهما أكثر من عامين ونصف عام ..

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تتحدى القصر وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لاقالتها ...

ولو كان الخـــلاف قائمـــا على أساس دســـتورى ، لـــكان خلافا فى سبيل مصر .

رأس الملـــك !

ولـــكن النحاس كان يتحدى الملك ، باسم الانجليز ، لا باسم الشعب ، ولا باسم الدستور .

والملك كان يحنى راســـه ، لانه كان يعلم انه لايســـتطيع شيئا غير الانحناء ، حتى تحين الفرصة ، ليبطش بهـــذه الحكومة التى جاءت رغم انفه ، لتذل كبرياءه ، وتهدر كرامته !



مصطفى النحاس

وكان الملك قد جرب حظه مرة خلال حكم الوفد .. فارسل حسنين يفاوض كيلرن ليسمح الانجليز بتغيير وزارة النحاس ، فكان الرد الذى تلقاه على ذلك ، هو برقية من تشرشل يقول فيها :

— لاتغيير ..

وسكت الملك ، وسكت حسنين ، وعلم الوفدبالامر ، فازدادت حكومته صلفا ، وبطشا ....

والمهم أن هذا الخلاف والتحـــدى بين الحكومة وبين ((الملك)) كان مصدر متاعب وحرج شديد لرجل الاذاعة المسئول ....

كان الملك مثلا يامر باذاعة القرآن الكريم من القصر ، فترسل الاذاعة رجالها وآلاتها لاعداد مايلزم للملك .. وتسمع الحكومة بالامر فترسـل رجالها لسحب آلات الاذاعة

ويبدأ الحرج ، وتبدأ المتاعب ، للاذاعة ورجال الاذاعة ...

وكان الوفد يقرر القيام برحلات فى الاقاليم ، فيامر الاذاعة باذاعتها ، ويسمع الملك الهتافات والدعايات ، فيغضب ، ويبلغ غضبه بطريقتـــه المعروفة ، لرجل الاذاعة المسكين ..

وهكذا ، كان على الاذاعـــة ان ترضى الانجليز ، وان ترضى الحكومة ، وان ترضى الملك ، وكان هذا أمرا ، لاسبيل اليه !

فاذا أقال الملك حكومة النحاس ، فقد كان من الطبيعى أن يفرح رجل الاذاعة ويستبشر .

وسمعنا هذه الاقالة من الاستاذ محمد سعيد لطفى ، وسمعنا بعدها مباشرة الامر الملكى الصادر بتكليف احمد ماهر بتشكيل الوزارة .. وكنا فى المعتقل ، اقد استطعنا ان نحصل على جهاز راديو يسمح لنا باستعماله كلما رضيت عنا ادارة المعتقل .

ولا أخفى على القارىء انى أنا أيضا طربت لهذه الاقالة .. فقد كانت ــ عندى ــ الرد الاول على انذار ٤ فبراير المشئوم ..

وفى غمرة هذا الطرب ، غفلت عن تحليلها ، والتعمق فى مدلولها .

فان الامر لم يكن بعد قد ترك للملك يتصرف فيه كيف يشاء ... ولابد من مصدر لهذه القوة التى لبسته ، حتى اقال وزارة النحاس ... ولابد من اتفاق سابق ، وأن التغيير آت من الانجليز ، لا من الارادة الحرة للملك !

تجاربنـــــا

غفلت عن هذا التحليل ، فى غمار النشوة التى بعثتها فينا هذه الاقالة . .

وغفلت عنه فى غمار النشوة التى تلتها . اذ اصدر الرئيس الجديد امره بالافراج عن جميع المعتقلين . . . وبدات اعد نفسى للحرية . . .

وكل من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الامل فى الحرية ، وكيف تتزاحم مشروعاتها على الراس ، وتتواثب صورها امام الخيال . . . .

ولكنى افقت بعد ذلك بقليل . . افقت من الامال ، وافقت من الخيالات وافقت من هذا الطرب الذى غمرنى عندما سمعت اقالة النحاس

فقد راى احمد ماهر ان يفرج عن جميع المعتقلين . . . ولكنه راى ان فينا خطرا داهما يهدد النظام العام !

وبدانا التحليل ، وتعمقنا فى سر الاقالة ، وتكفلت الايام بعد ذلك بافشاء الاسرار !

وبدات اضيق ذرعا بالمعتقل واصبح وجودى فيه بعد ذلك ضربا من المستحيل . . . فوضعت خطة هربى وهربت فعلا ، هربت فى الشهر التالى لأقالة النحاس ، اى فى شهر نوفمبر ١٩٤٤ . . .

وبدأت اتصل سرا باخوانى فى تشكيل الجيش ، واتصل سرا بالمرحوم حسن البنا ، واعمل سرا فى سبيل الحصول على ضرورات الحياة . . .

انها فترة طويلة على قصرها ، لانها كانت مغامرة كاملة . . . ولعل القراء قد قراوا طرفا منها بقلم غير هذا القلم . . . واعلى اعود الى ذكرها يوما من الايام بالتفصيل .

ولكنى لا افعل اليوم ، وقد حددت لهذه الصفحات المجهولة ، خطا تسير عليه ، يستهدف الكشف عن الاسرار التى يمكن كشفها من تاريخ التمهيد لهذه الثورة ، وتاريخ تجاربنا خلال ذلك التمهيد . . .

خرجت من المعتقل لاكتشف عددا من الحقائق الجديدة ، ولا عرف عددا من الاسرار . . .

خرجت لاسمع حديث الملك ، عندما ذهب يزور تشرشل فى السفارة البريطانية ...

وكان حديثا عجيبا ... فالرجل الذى ضربه الانجليز ، او ضربوا مصر كلها فى شخصه ، لم يكن يخلق به ، ولا بكرامة عرشه ، ولا بكرامة البلد التى « يملكها » ان يذهب بنفسه لزيارة رئيس وزراء الانجليز ، الذى اصدر امره بتحرك الدبابات الى قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية ..

ولكن ... متى كانت لفاروق كرامة ، ومتى كان يعرف كرامة لعرشه وبلده ...

القوة التى فى الميدان

لقد ظننا هذا يوما ... وكنا فى ظنوننا مخطئين ... فالضربة التى اصابت كبرياء مصر من اجل الملك ، لم تصب ابدا كبرياء الملك من اجل مصر ... لانه لم تكن له كبرياء .

وخرجت لارى قصر راس التين ، القصر الرسمى الثانى فى البلاد ، وقد امر الملك بتحويله الى مستشفى عسكرى ، لا لجنود مصر وضباطها ، الذين حاولوا الموت فى سبيل عرشه يوم هوجم عرشه ، ولكن لجنود الانجليز وضباطهم الذين تحركوا بالدبابات يحطمون بها باب قصره الاول ، فى قلب العاصمة !

وخرجت لارى فاروق قد ترك كل ما كنا نرجوه فيه من معانى الشباب والوطنية ، وارتمى بين احضان جنود امريكا ، وضباط امريكا ... يلعب معهم ، ويسهر معهم ، ويقوم برحلاته معهم ، ويلهو فى لياليه معهم ... وكانه راى فيهم الجدار القوى الذى يستطيع الاستناد اليه ، ان تخلى عنه الانجليز !

وخرجت لأعرف السر فى كل هذا ... فقد سيطرت على الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى اقتحم فيه قصره بالدبابات والمدافع . . ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان بالشرر !

أصبح الملك يخاف ... يخاف على حياته ، ويخاف ضياع العرش منه ، حتى لقد كان يتتبع أنباء التحركات الداخلية لجنود الانجليز ، فلا يكاد يسمع عن أى تحرك من تحركاتهم ، حتى يؤوله بأنهم يقصدونه به ، وانهم يعتزمون ازاحته عن العرش مثلما ازاحوا من قبل بعض أسلافه .. !

وكان تصرفه الواحد فى كل مرة من هذه المرات ، هو أن يترك قصره ، ويهرب الى انشاص ... وكأن انشاص كانت بعيدة عن دبابات الانجليز !!

واذن فقد اصبح الملك ألعوبة فى ايدى الانجليز ، ولم يعد فى استطاعتنا أن نعول عليه فى شىء من خططنا ... بل لعل الأسلم كان أن نعتبره .. من الأعداء . . .

وهكذا ، ذهبت مع الأعداء ، صفوف الوفد وصفوف السعديين ، وقوة الملك

ولم يبق فى الميدان الا قوة الاخوان .

هل نستعين بهم ... وهل نعول عليهم ؟

عاودت اتصالى بالمرحوم حسن البنا ، وانا هارب من المعتقل ...

وتبسط معى حسن البنا بصورة لم تسبق له من قبل ... فرغم كل الصلات التى قامت بينى وبينه كنت اشعر دائما انه يقول شيئا ، ويخفى فى نفسه أشياء ..

ولكنه فى تلك المرة ، تبسط كثيرا وشرح كثيرا ، وافاض كثيرا ... ثم ... ثم كلفنى بأمر !

شرح لى حسن البنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين :

ناحية الملك ... وناحية الأجانب ...

وقال لى ان الملك قد بدأ يشعر شعورا قويا بخطورة دعوة الاخوان ، لما كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على أن يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة.

وقال لى ان الملك يدبر امره ليبطش بهذه الحركة ، وانه يخشى ان يضرب الملك ضربته ، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها ...

العملاق الذى لايقهر

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن البنا عن شعوره بعدم وصول دعوته الى ذروة القوة والمناعة ... فقد كان دائما يعطى سامعه صورة للجماعة ، اشبه بصورة العملاق الذى لايقهر ولا يخشى عليه ...

واستطرد بعد ذلك الى ذكر طرف آخر من متاعبه ، وكان هذا الطرف ، هو موقف الأجانب من الدعوة ...

فقد بدا يشعر بأن الأجانب أيضا يرهبون دعوته ، ويعتقدون انها اذ تقوم على وجوب الأخذ بشريعة الاسلام ستتعرض حتما لاعمالهم وأموالهم ، وحرياتهم الممنوحة لهم بمقتضى القانون السائد ، والدستور..

وقال لى ان هذه النظرة الموحدة الى دعوته ، من جانب الملك ، ومن جانب الأجانب ، تجعل الدعوة فى خطر جسيم ، فما ايسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة الى تحالف عملى للقضاء على الدعوة ، وعلى الجماعة التى تدعو اليها ... ويومئذ لايعرف من أين تصوب اليه الضربات !

واستمعت اليه ، منصتا ، ومناقشا ... ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة ، يريد ان يبدا بها حديثا جديدا ...

وبدأ حديثه الجديد ...

قال لى انه يريد ان يضع حدا لهذه المتاعب ، وانه يعتقد ان الأجانب يمكن ان يطمئنوا الى الدعوة ، لو اطمأن اليها الملك ...

ونظر فى عينى طويلا وهو يقول :

انا استطيع ان اكسب طمأنينة الملك ، لو تقابلت معه ...

وكان وجهه ينبىء فعلا عن الثقة الكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك .

وظهرت هذه الثقة أكثر وأكثر ، وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفسه جميع الأوهام والشكوك لو تيسرت له مقابلته ... مرة واحدة !

ثم أوضح لى انه لايريد ان يبدأ مع الملك سياسة وفاق ، أو تعاون ... ولكنه يريد أن يشيع جوا من الطمأنينة فى نفس الملك ، يجنب به سفينة الاخوان أية عقبات تعترض الطريق .

وقصد ــ رحمه الله الى هدفه بعد ذلك مباشرة ، فقال لى : انت تعرف يوسف رشاد ...

قلت له : نعم ... أعرفه ، وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة .

فقال : ويوسف اليوم ذو حظوة ، فلو استطعت ان تشرح له هدفى .. وان تفهمه أنى لست خطرا على الملك ، ولا اريد ان اكون خطرا ، لامكنه اقناع الملك بمقابلتى ...

وأجبته انا : أحاول ... !

ومضيت فى تلك الليلة ، ابحث الأمر بينى وبين نفسى ... هل أقوم بهذه الوساطة ، وكيف اقوم بها .. وما مدى مايمكن أن يترتب عليها . وكنت اذ ذاك لا ازال هاربا إعيش متنكرا ، واتحاشى الظهور فى أى مكان

ولكنى مع ذلك .. ذهبت الى يوسف رشاد ... وابلغته رسالة حسن البنا ، فناقشنى فيها ، ثم وافق على أن يلعب هذا الدور .

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى : لقد فاتحت الملك فى هذا الامر ، فى محادثة تليفونية بينى وبينه واذا به يقطع حديثى قطعا ويوجهه وجهة اخرى ... وقابلته بعد ذلك فقال لى :

ـ كيف تكلمنى تليفونيا فى أمر كهذا ، الا تعلم أن حسن رفعت يراقب التليفونات ؟ !

ودهشت انا عند سماع هذه الكلمة .. فقد فهمت منها انه يخشى المراقبة ، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية المصرية !

وعاودت الالحاح على يوسف رشاد بعد ذلك وفى هذه المرة ، استطاع يوسف ان يحصل على اذن من الملك ، بان يقابل هو اولا حسن البنا ، ويستمع اليه ... وينقل حديثه الى الملك ليرى ان كان يقابله ...

وكدنا نحدد موعد المقابلة بين حسن البنا ويوسف رشاد ... وفى احد الايام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم ... واستمع يوسف لحظات قصيرة ... ثم قال حاضر ... وانتهت المكالمة .. ونظر الى يوسف وقال لى : ان الملك يقول :

ـ الغ كل ماقلته لك بشان حسن البنا ..

ويئست انا من المحاولة ، وخصوصا انى كنت اقوم بها فى حالة تنكرى واختفائى . . . وابلغت حسن البنا بيأسى ...

ومرت ايام ... وسقطت الاحكام العرفية ، وبدات اظهر من جديد .

اتحــاد الكلمة

وكنت فى بيتى بعزبة النخل فى احدى الليالى ، عندما أقبل حسن البنا ، ومعه المرحوم محمود لبيب ، فتناولا معى طعام العشاء ..

واخذ حسن البنا يتحدث عما يمكن ان تجنيه البلاد اذا ما اتحدت الكلمة ، وهدات شكوك الملك فى الاخوان ... ولكنه كان فى هذه المرة شديد التحفظ يكتفى بالتلميح عن التصريح ، لوجود المرحوم محمود لبيب ...

وفهمت انا انه يريد منى ان اعاود الكرة ، والح فى تدبير مقابلة له مع الملك ... فلمحت له بدورى ، بانى سافعل ...

وفى اليوم التالى ، قصدت الى الاسكندرية ، فقد كان الملك هناك

فى تلك الايام ، وكان يوسف رشاد الى جانبه ، وتحدثت مع يوسف رشاد فى الامر واقنعته بمعاودة المحاولة

وبذل يوسف رشاد جهدا كبيرا مع الملك ...

وضحى فى سبيل ذلك تضحية .. كانت كبيرة فى ذلك الوقت !

فقد غضب منه الملك ، واقصاه عن صحبته عشرة ايام طوال .. وعندما عاد يقربه ، قال له : اياك ان تفاتحنى مرة اخرى فى هذا الموضوع !

اخلاص حسن البنا !

وللتاريخ بعد ذلك أذكر ، ان الملك فى يوم من الايام ، قد دعا اليه يوسف رشاد ، وطلب منه ان يتصل بحسن البنا ، وان يستمع الى ماكان حسن البنا يريد أن يقوله له ..

والتقى يوسف رشاد بحسن البنا وتحدث معه ثلاث ساعات ..

وقال لى يوسف رشاد ، انه خرج من هذه المقابلة ، مقتنعا تماما بخلوص نية حسن البنا نحو الملك .. وانه ذهب الى الملك فنقل اليه كل شىء ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له : حسن البنا ضحك عليك !!

وحاول يوسف رشاد ان يدافع عن نفسه ، وان يقنع الملك بانه ليس الساذج الذى يضحك عليه الناس ... ولكن الملك ضحك ضحكته المشهورة . واعاد جملته : **حسن البنا ضحك عليك ..**

هذا ماقاله لى يوسف رشاد ...

وقال لى أيضا بعد ذلك بأعوام ، أن الملك فى أواخر عهد ابراهيم عبد الهادى قال له :

ـ احنا غلطنا فى ضربة الاخوان . وحقنا نرجع لسياستنا القديمة ..

الله أعلم !

وسألت يوسف رشاد ، وما هى السياسة القديمة ؟ .. فقال :

صدقنى ... انا لا أدرى ... ولكن يبدو ان صلة أخرى قد حدثت بين حسن البنا وبين الملك عن طريق غير طريقى .. وان الملك قد اتخذ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦ موقفا معينا من الاخوان ... ثم عدل عنه بعد حرب فلسطين ...

قال لى ذلك ... ثم قال : **والله أعلم ...**

هذه هى العناصر التى كانت فى الاجواء خلال الفترة بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ وفى هذه الفترة ، كان جمال عبد الناصر قد بدا خططه الجديدة .

حاولنا الهرب إلى استانبول

- صداقة .. وصديق ...
- عشرة جنيهات فقط ...
- لماذا لم ننسف السفارة البريطانية
- فدائيون في الجيش .. وفدائيون في الشعب!
- متى نضعف .. ؟
- جمال يعود ...

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبى طويلة ، فعلى الرغم من عودة جمال عبد الناصر من السودان ، الا انه وجد من الخير للتشكيل وللثورة ، الا يعاود العمل المنظم الفعلى الا بعد أن تستكمل لهذا العمل اسباب النجاح ، وكل وسائله ..

وقد جاءت هذه الاسباب واكتملت الوسائل بعد بضع سنوات .. وعندما بدأت اعمال وخطط منظمة وصلت الى غايتها يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

ومع ذلك ، فقد كانت هناك اتصالات ، وكانت هناك الوان من النشاط فى نفس الفترة التى تلت اعتقالى ، وسبقت نقطة البدء التى حددها جمال ..

مدة كانت فترة ركود ، ولكنها لم تخل من عمل .. ومن تفكير فى عمل ..

عندما اتذكر اليوم تلك السنوات التى اتصلت فيهـا بحسن البنـا ، قبل اعتقالى ، يأخذنى كثير من العجب للفتات كان ــ رحمه الله ــ يلتفتها فى وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال .

لقد كان الرجل بعيد النظر ، وكان يتوقع كل شيء ..

وانا اتذكر اليوم ، كم الح على حسن البنا ان اذكر له اسما واحدا من اسماء زملائى ، ليتصل به ان حدث ان عاقنى شيء عن الاتصال به .

وكنت انزعج لهذا السؤال ، وكنت أتهرب من الاجابة عليه ، فقد كان متفقا بينى وبين اخوانى أن اظل انا وحدى ، الضابط الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الاخوان .

ولكنه الح .. والح كثيرا ...

وفى مرة احرجنى ، فاطلت التفكير .. ثم اخترت ان اذكر له اسم عبد المنعم عبد الرؤوف ..

ولا اذكر على التحديد لماذا اخترت عبد المنعم .. وكل ما استطيع اليوم أن اذكره من افكار ذلك الماضى البعيد الحافل بالمثيرات ، هو انى اخترت هذا الزميـــل ، ربما لانه كان أول من انضم الى تشكيلنا عقب عودتنا الى القاهرة فى عام ١٩٤٩ .

ولم يعلق حسن البنا بشيء عندما ذكرت له اسم عبد المنعم . وانمـا لزم الصمت والحرص اللذين لونا حياته حتى فارق هذه الدنيا ، بحـادث اغتياله المشهور ..

ولـكنى عندما قابلته اول مرة بعد ذلك ، ذكر لى اسم عبد المنعـــم واثنى عليه طويلا .. ثم اخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة عن تاريخ عائلة عبـد المنعم وحياته وبيته ..

وفهمت أن صلة ما قد وجدت بين اسرة عبد المنعم ، وبين مرشـــد الاخوان ، وانها صلة قديمة ، وانها صلة معرفة وصداقة وبيئة ، فقـد كان جد عبد المنعم شيخا للازهر . كما ان عائلته كلها كانت معروفة بالدين والتقـــوى ..

وامسك حسن البنا عن ذكر عبدالمنعم بعد ذلك ، حتى ظننته نسيه !.

ثم كان القبض على عزيز المصرى وكان الافراج عنه ، ولم يشر حســـن البنا اليـــه ابدا ..

صداقة .. وصديق

وعندما افرج عن عبد المنعم وكنت أنا اذ ذاك طليقا لم يقبض على فقد افرج عنه مع الفريق عزيز المصرى فى مارس عام ١٩٤٢ ، ولم يقبض على أنا الا فى اغسطس من ذلك العام .. عندما افرج عنه ، لم أشأ أنا أن اتصل به فى شىء ، كنت أخشى عليه أن تثور حوله شكوك جديدة .. وكنت اريد له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والاعتقال ..

ولكن يبدو أن عبد المنعم اساء فهمى حينذاك ، فقد غضب فى نفسه وتضايق .. وعرفت ذلك فيما بعد

وجاء اليوم الذى قبض فيه على وقبض فيه على عزيز المصرى مرة اخرى .. ولم أكن اذ ذاك على صلة بعبد المنعم ، ولا على شبه صلة به . وكان آخر شىء افكر فيه هو أن ينشط عبد المنعم بمجرد اعتقالى ليقوم بما قمت به ، لفكرتنا ، وليقوم بواجبات اخرى يكلف بها نفسه .. لشخصى ...

انها الصداقة التى آمنت بها دائما ... هى التى دفعته أن ينهض فورا بعبء كنت انهض به .. ثم ان يفاجئنى مفاجأة اخرى ..

عشرة جنيهات

كنت قد نقلت الى معتقل المنيا .. وكنت اذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى ، بالقراءة الكثيرة اقطع بها وقتى ..

وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هما ثقيلا ، مثيرا للنفس باعثا للكآبة ... والجنون .

فمثلى فقير لا يملك غير عمله .. وذو زوج واولاد .. يعيش فى المعتقل لا يعرف لاهله معينا ، غير الذى خلفه واخلتهم .

وفى طريقى اليومى الى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد يوزباشى محمد وجيه خليل ، الذى استشهد فى حرب فلسطين ، وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبد الرؤوف .

وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى اذنى ان التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر ، وانه جاء لكى يطمئننى بعد ان عزت على الجميع زيارتى ..

متى نضعف ؟

وكانت هذه العاطفة الصادقة من زملائى هى اسمى ما يمكن ان يشعر به مثلى فى ظلمة الاعتقال .

فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من اجل فكرة انهم لا يضعفون امام الموت ولا يضعفون امام السجن ولا يضعفون امام التعذيب ، وقد يخيل اليهم فى لحظات الحماس والانفعال انهم لن يضعفوا امام شىء فى الوجود .. ولكنهم فى هذا واهمون .. فهناك الشىء الذى يضعفون امامه ، والذى لا يملكون حياله شيئا الا الفرار .. الفرار من الواقع ، والفرار من التفكير فيه .. الفرار من هذه المطارق التى تطرق الرأس والقلب والضمير ... وتحيل الجبار وهما ضعيفا يكاد يستسلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح ، ويقظة الفكرة المتاصلة فى نفسه ومثالية الهدف ..

ولعلك عرفت الان ، ما هو هذا الشىء الذى يضعف امامه المجاهدون ... وانه الولد ، الطفل .. العيال !

هؤلاء الصغار الودعاء ، الذين تدفعهم دفعا الى مرارة الكفاح ، وتاخذهم اخذا على الصبر والحرمان والتقشف ، ولما يبرحوا بعد مهاد الطفولة ، ولما يعرفوا بعد مراح الصبا ...

هؤلاء هم نقطة الضعف فينا ... وهى نقطة ضعف اعترف بها ، ولا تخجلنى ... لاننى انسان !

وقد كنت احتمل ان يحرم اطفالنا من رعاية ابيهم ... ولكننى ما كنت اصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة

وكانت هذه الجنيهات العشرة ، هى العون الوحيد الذى اقبله لاطفالى لانها لم تصدر عن عطف ولا اشفاق ؛ وانما صدرت عن فكرة مشتركة ، وتكافل بين مكافحين ...

وبدات انسى هم الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل ... وبدات افكر فى خطوط المستقبل ، وخطوات الجهاد .

وكان مجرد تفكير نظرى ، تنقصه حكمة الواقع ، ودراسة الطبيعة .

وكان اهم ما يشغلنى هو ان اخرج من هذا المعتقل ، ولكننى لم اكن قد حددت بعد ، لماذا اخرج ، او ماذا استطيع ان اصنع وانا مطارد شريد !

الى تركيا ...

ويبدو انى لم اكن وحدى الذى فكر فى هذا الامر .. فقد فكر فيه عبد المنعم عبد الرؤوف فى نفس الوقت الذى كنت أنا أفكر فيه ...

وفى جلسات متعاقبة مع بعض أعضاء التشكيل من سلاح الطيران ، وكانوا من أكثر أعضاء تشكيلنا حماسة واندفاعا ... اخذ عبد المنعم يضع خطة لتهريبنا .. عزيز المصرى وأنا ...

وكانت خطته تعتمد على عدد من المجازفات ، ولم تكن خطة عملية على اى حال ...

كانت خطته تقوم على الهجوم على المعتقل الذى يقيم فيه عزيز المصرى واختطافه اختطافا مسلحا من حرسه ليهرب عزيز من معتقله فيجد عربة فى انتظاره تحمله الى المنيا .

وكان الشق الثانى من الخطة مماثلا للشق الاول فهو قائم على الهجوم على معتقل المنيا واختطافى من هناك بالقوة لاهرب فاجد عبدالمنعم فى انتظارى .

اما الشق الثالث .. فكان قائما على أن تقوم طائرة من القاهرة لتهبط فى المنيا فى نفس الوقت الذى يصل فيه عزيز المصرى اليها ، واخرج انا من المعتقل .

وكان الاتفاق أن تحملنا الطائرة فورا الى سوريا .. أو الى اسطنبول

وكانت كفة الاراضى التركية هى الراجحة فى هذه الخطة ، للموقف الذى كانت تركيا تتخذه من الحرب .

ولـكنها ــ كما قلت ــ لم تـكن خطة عملية .. فلو قـــدر لهذين الهجومين المسلحين أن ينجحا ، لمـا كان من السهل ضـــبط التوقيت فى العمليتين معا ، بحيث لاتزيد مدة بقائى خارج المعتقل عن دقائق معدودة تحلق بنا الطائرة بعدها الى خارج الحدود .

لم يكن هذا سهلا .. ولعل اسهل ماكان فى هـــذه الخطة هو الدور الخاص بسلاح الطيران .. فقد كان زملاؤنا الطيـــارون ، اكثرنا اندفاعا وحماسا فى كل شىء .. وكنا نرجع ذلك دائما الى طبيعة عملهم كطيارين كل حياتهم مغامرة مستمرة والى قوة أعصابهم التى تعتبر شرطا أساسيا فيمن يقبل فى هذا السلاح .

كان الجزء الخاص بالطائرة .. هو الجزء العملى الوحيد فى هـــذه الخطة ، أما القسمان الاخران منها فـكانا يحتويان على كثير من الثغرات الـكافية لخلق متاعب جديدة لنا ، كنا فى غنى عنها .

وكانت هذه الخطة هى خطة عبد المنعم وحده .. فقد كان التشكيل ــ كما قلت ــ فى فترة من فترات الركود

تطورات .. بالجمـلة !

ولـكن هذه الفترة كانت تحوى تطورات كثيرة فى الحيـــاة المصرية ، وفى موقف العناصر المختلفة التى كانت ذات تأثير فى سياسة البلاد .

فقد اصبح للملك ــ مثـــلا ــ موقف جـديد وتطورت نظرته الى عرشه ، والى شعبه والى مستقبله والى الانجليز تطورا كبيرا ..

هذا الملك الذى كان يمثل عنصرا من العناصر الوطنية حتى ٤ فبراير ١٩٤٢ والذى اعتبرناه فعلا رمزا لمصر .. واعتبرنا الاعتــداء على قصره اعتداء على مصر .. واردنا ان نثـــأر له بابادة الانجليز .. قد تطور أو تغير .. ووضح لنا هذا التطور والتغير بصورة جعلتنا نضعه فى الصف الاول من صفوف الاعداء ...

واحمد ماهر .. الذى مــلأ قـلوبنا يوم ان وقف وقفته امام الانذار البريطانى فى عام ١٩٤٢ والذى علقنـــا عليه أملا كبيرا يوم عاد الى الحكم فى عام ١٩٤٤

لم يكد يستقر فى مقعد رئيس الوزراء حتى أصدر أمره بالافراج عن جميع المنقلين فورا .. الا نحن .. فقـد أصدر أمره بإبقائنا فى الاعتقال وكان هذا الامر بناء على ((أمر)) من الانجليز ، ولا اقول بناء على طلب او رغبة او تفاهم !

وحسن البنا ، الذى كان قد أصبح قوة رهيبةيخشاها الملك ، ويعلن عن مخاوفه منها ، بدأ يضع لنفسه سـياسة جديدة يضمن بها القفز بحركة الاخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر او غدره .. وكان رحمه الله قديرا على اقناعنا بخطتـه ، وعلى الامسـاك بطرفى حبلين فى قبضـته .

جمـال يعـود ...

وفى هذا الوقت هربت انا من المعتقـل .. هربت فى نوفمبر ١٩٤٤ اى بعد تأليف وزارة احمد ماهر بشهر ..

وكانت ظروف كثيرة متعاقبة ..

ففى الوقت الذى انصرف فيه عبد المنعم عبد الرؤوف الى الاخوان المسلمين انصرافا كليا . وفى الوقت الذى هربت انا فيه من المعتقل ، وبدأت أكافح لأعيش هاربا شريدا أقتات من عـدد من الاعمال الغريبة هنا وهناك متنكرا مستترا حتى ألغيت الاحكام العرفية عام ١٩٤٥ فبدأت اظهر بوجهى

فى هذا الوقت..كان جمال عبد الناصر قد بدأ يتولى بنفسه أمر التشغيل داخل الجيش ، لينظمه تنظيما جديدا وليضع له خطة بعيدة المـدى طويلة الأمد قائمة على فلسفة مدروسة واقعية .

وبدأت حركتنا تتخذ صورتين ..

صورة داخل الجيش يرسمها ويكون عناصرها جمال عبدالناصر

وصورة خارج الجيش توليت انا أمرها ..

وكان الغالب على الصورتين ، روح فدائية ، وكانت بين الصـورتين صـلات ...

كنا قد بدأنا نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد اثر احداث واحداث .

وكنا قد رسمنا خطتنا القريبةعلى أن ننشىء تشكيلاشعبيا وتشكيلا عسكريا ، يعملان جنبا الى جنب ، كل بوسائله وكل بخططه ، ولايرتبط احدهما بالآخر أى ارتباط ظاهر حتى تأتى اللحظة المناسبة لذلك .

ومر بنا تاريخ طويل .. ووقعت أماماعيننا هزات عنيفة

نسف السفارة ...

وكنت أتعجل الخطى .. وكان جمال يتريث ..

حتى اتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشىعقب مصرع المرحوم احمد ماهر .. وذهب النقراشى الى السفارة البريطانية فقابله كيلرن .. على سلم السفارة ..

وكانت هذه القصة حديث مصر ..

فقد كانت قصة بغيضة فاضحة .. ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها ، دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنون .. فقد كانت خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكد يشير الى مطالب مصر ، حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية ، وقال للنقراشى ، دعك من هذا الكلام .. فان حديث الجلاء والوحدة ليس الا حديث خرافة .

وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها

وذهبت الى جمال .. وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى ، لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها .

واستمع لى جمال طويلا . وناقش خطتى مناقشة كاملة . واقر كل اطرافها وعناصرها ..

ولكنه فى آخر الامر .. هز رأسه وقال : لا ..

كان يستعرض فى ذهنه الاجراءات التى يستطيع الانجليز اتخاذها عقب نسف سفارتهم وكان يستحضر فى ذهنه مصرع « لى ستاك » سردار السودان ..

وقال : لا .. نحن لانريد أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين عاما ..

وكان على حق .. فعشرون عاما فى عمر أمة مكافحة ، ينبغى لها أن تغير من أساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس ..

ولم تتم هذه الخطة .. ولكن بدأ صراع من نوع آخر جديد ..

هذا اجمال لفترة طويلة .. ولكن هل يكتفى القارىء منى باجمال ؟! ..

ان للقارىء أن يسأل عن موقف الملك وكيف تطور ..

وله أن يسأل عن موقف الاحزاب وكيف تطورت ..

وله أن يسأل عن موقف حسن البنا وكيف تطور وكيف تعاونا معه وكيف تعاون معنا .

وله أن يسأل عن جمال عبد الناصر كيف بدأ خطوطه الجديدة

وله أن يسأل عن سر التشكيلين الفدائيين .. تشكيل الجيش وتشكيل الشعب وله أن يسأل عن دور الاحرار فى معركة القتال ...

وله أن يسأل عن ثورة الاحرار فى نادى الضباط ...

وله أن يسأل عن خطة الاحرار التى اتبعوها بين صفوف الشعب ...

وله أن يسأل عن الترتيبات والظروف التى أخرت موعد قيام الحركة ! ؟

له أن يسأل عن كل هذا ؟

جمال عبد الناصر يرسم خطوط الثورة

- يوم السلام وسلطان الظلام..
- الجيش والشعب مظلومان !
- الملك والأحزاب في خدمة الاستعمار
- من الذي تقدم لحماية الملك ..؟
- الفساد والرجعية والحزبية لبعضهم.!
- لابد من قوة تقضي على الاقطاع..

يستطيع قارىء هذه الصفحات ان يبدأ من هنا فصلا جديدا كاملا من تاريخ هذه الثورة .

وهو فصل يختلف فى كثير عما تضمنته الصفحات السابقة ... فحيث قام التمهيد الاول ، للثورة ، على اساس اكثره عاطفى ، وحيث استطاعت الظروف والاحداث والتقلبات السياسية ان تكون عاملا اساسيا فى دفع خطواتنا الاولى وتوجيهها .. واملاء اعمال واتصالات معينة علينا .. فان الشطر الثانى من هذا التمهيد الطويل للثورة ، او الفصل الثانى الذى نبدأ تاريخه اليوم يتميزاول مايتميز بسيطرة العقل على كل خطواته ، التى بدأت تقوم على اساس معين مدروس ، واهدف محدد مدروس .. وفى تتابع منطقى ، لا صلة للاحداث الوقتية به ، اللهم الا صلة العوامل المساعدة على زيادة الوعى بين عناصر الشعب والجيش ، وبعث اليقظة الحقيقية ، واشعار الافراد بان القضية قضية كل منهم .. واشعارهم .. بضرورة الثورة ..

وان كانت الصفحات السابقة ، قد حوت اعمالا ، واتصالات ، اساسها انفعالات فردية اوشبه فردية بالاحداث .. فلن تضم الصفحات التالية سوى أعمال ، تنظيمية ، تختفى منها الروح الفردية ، ويسيطر عليها عقل التشكيل المنظم ، ونتائج المناقشات والابحاث بين العناصر التى اجتمعت وتآلفت ، وحددت أهدافها .

لقد آن وقت العمل الجماعى المنظم ... وبدا جمال عبد الناصر يخرج من صمت المراقب ، الى حركة القائد الذى يعد العدة لاكبر معركة تنتظرها مصر منذ غلبت على امرها تحت اقدام الطغاة ...

يوم السلام

لو قدر لهذا الفصل ان يوضع تاريخ لبدئه .. لامكن ان يقال انه بدا فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، نحدد هذا التاريخ ، ولا نقصد به ان اعمالا معينة بدات فى هذا اليوم بالذات .. وانما نعنى فقط ان هذا اليوم ، قد وضع حدا لفترة من تاريخ العالم ، تبدا بعدها فترة اخرى .. ومصر ، كجزء من العالم ، تتاثر حتى باحداثه الكبرى كما ان ظروفها الداخلية ، كانت لابد ان تتاثر ، بهذا اليوم ايضا .

انه يوم انتهاء الحرب فى اوربا ..

اليوم الذى انتظره العالم طويلا ، وخدع به العالم كثيرا .

فقد سمى يوم السلام !

وقد سمى يوم النصر !

واعتقد الناس ، او هكذا ضللهم سادة الغرب ، ان العالم قد بدا حقبة حقيقية من السلام .. وان قوى الخير قد انتصرت فعلا على سلطان الظلام ، وان هذا الخير سيعم جميع الامصار والشعوب ، وان المواثيق والعهود التى كانت تبرم وتقطع خلال فترة الحرب ، ستصبح منذ اليوم حقائق بارزة فى تاريخ الانسانية .

ولم يقل احد لهم ابدا ، ان سلطان الظلام قائم فى نفس القوى التى كانت تحاربه ، وان المواثيق والعهود ، قد اعدت لاحاديث الدعاية فى اذاعاتها ونشراتها وافلامها وصحفها ، وانها ستصبح تاريخا بمجرد انتهاء الحرب . الم نكن قد سمعنا بميثاق الاطلنطى والم نكن قد قرانا عنه فى مئات من الصور المختلفة ، والم تكن نشرات الدعاية واذاعاتها تقول حينئذ ان هذا الميثاق يجب ان تتضمنه محفوظات تلاميذ المدارس ، لانه دستور الحياة والكرامة والعدالة التى تمخضت عنها الانسانية بعد ابشع مجزرة شهدتها الحياة ..

الفرصــة المناسبة

كنا نسمع هــذا ، كما كان العــالم يسمعــه ، وكنا ننتظر اليوم الذى تضع فيه الحرب اوزارها ، لا ايمــانا منــا بصدق هذه الدعايات ، ولكن لنبــدا خطى جديدة على ارض واضحة المعالم .

فقد كان انتهاء الحرب عندنا يعنى اشياء كثيرة ...

يعنى تبلور الاوضــاع بصورة لا تسمح بالفروض ولا المخــادعات ولا الاحتمــالات .. وانمــا تسمح بشيئين اثنين .. لا وجــود لثالثهما العمل لمصر ... والعمل ضــد مصر .

ولــكل من العملين طريق واضــح ، ومظاهر لا تخــفى على احد ... وليس بين الطرفين طريق وسط ..

هذا هو اول ما كان انتهاء الحرب يعنيه بالنسبة الينا .

وكان يعنى شــيئا اخر ..

كان يعنى قرب انتهــاء الاحكام العرفيــة . . الــكابوس اللعين الذى وضع مصائر الاحرار تحت رحمة مخابرات الانجليز وجواسيسهم والذى كان يتهــدد كل من يحــاول ان يخطو خطوة وطنيــة واحدة خلال اعــلانها ..

وان لم تــكن هـــذه هى الفرصــة المناســبة لبدء العمل المنظم ، فليست هنــاك فرصة اخرى ..

تجارب السنين

ولمح جمال عبد الناصر هـــذه الفرصة التى كان قد فــكر فيهــا طــويلا خــلال الحرب .

ثم بدا ينظم خطوطه ، ويحدد اعوانه ، ويرسم خطواته لهدف اكبــر

وكان جمال الــذى يعمل ، هو جمال الناضــج الذى مرت به تجارب

السنوات الست الكثيرة ، سنوات الحرب ، وما تخللها من احداث داخلية وخارجية ، وما رآه فيها من هزات عنيفة ، ومن محاولات وطنية واخرى خائنة ... ومن بطولات زائفة ، واساليب خادعة ومن اوضاع غريبة حلت بالجيش ، او فرضت عليه ، ومن دعايات مثيرة ، غرق فيها الشعب وتهدف كلها الى تضليله لكي يكسب الاستعمار واذنابه من الخونة واصحاب المصالح والحكام الفاسدين .

وكان جمال يرى أن هذه الظروف والاحداث والصور قد مرت بغيره مثلما مرت به .. وان هذا الغير قد تاثر بها وانفعل ، واكتسب وعيا جديدا ، نشأ فى فترة الحرب وآن له أن يتجمع .. وان يعمل

وعيا فى كثير من عناصر الشعب . ووعيا فى كثير من عناصر الجيش . . وعيا لابد أن يحرك اصحابه الى عمل معين او اتجاه معين .. ولا بد لكى تنجح خطى اصحابه ، ان تتجمع وان تتوحد وأن تتحدد اهدافها :

الجيش والشعب

وكان ايضا يرى عقبات فى الطريق .

فعلى الرغم من ثقته بأن العناصر الواعية فى الجيش ، تسيطر عليها نفس الافكار والمبادىء التى تسيطر على العناصر الواعية فى الشعب ... وعلى الرغم من شعوره بأن مايسخط منه أفراد الشعب وجماعاتهم هو عين ما يسخط منه ضباط الجيش وجنوده .. وعلى الرغم من ثقته بأن المعركة التى يجب أن تبدأ هى معركة الجيش والشعب معا .. الا انه كان يشعر بانعدام ثقة الشعب فى الجيش وانعزال الجيش انعزالا ظاهرا عن قضايا الشعب ..

فقد كانت صورة الجيش فى ذلك الوقت هى صورة « الكرباج » الذى يلهب به الطغاة ظهور ابناء الشعب ، هو سيف التهديد الذى يملكه الحاكم ويملكان يسخره ضد هذا الشعب كلما ثار او سخط

انها الصورة التى رسمها الانجليز وشاركهم فى اظهارها ، ووضع الاطار حولها ، حلفاؤهم : القصر ، والاحزاب

وأصبح الشعب لايخشى الملك ، لا لانه مقدس ، أو لان القانون يحميه ، ولكن لانه القائد الاعلى للجيش ، والمسيطر على تحركاته ، والآمر فيه والناهى . . .

والجيش مظلوم . . .

والشعب مظلوم . . .

فلم يكن جيش مصر اجنبيا عن ابنائها ، لم يكن جيشا من المماليك او المرتزقة .. ولكنه كان جيشا من الشعب .. مشاكله هى نفس مشاكل الشعب ..

ولم يكن الشعب يجهل هذه الحقيقة ولكنه كان يضلل عنها باساليب كثيرة وفى مناسبات متعددة ، تجعله يخشى جيشه ، وكانه جيش احتلال .

كانت هذه هي الحقيقة الاولى فى الموقف .. ان الشعب يعتقد ان هذا الجيش هو جيش فاروق لا جيشه .. وانه يائس من امكان القيام بالثورة الكبرى ، لان الجيش عندئذ لن يثور فى صفوفه ، ولن يقاتل عن مطالبه . وانما سيقف فى وجه ابنائه يضربهم بالحديد والنار ، ويحطم معنوياتهم ، وينصر عليهم الظالم والطائفية والمحتل

وكان حاجزا ليس من اليسير تحطيمه ، فليس من اليسير ان تخلق ثقة وايمانا ، حيث لاثقة ولا ايمان .

الحلف الكبير

وكان هناك الى جانب هذا العامل حلف آخر كبير .. جمعت عناصره مصالح مشتركة كثيرة .

وكان هذا الحلف ، يجمع بين الملك والاحزاب ، والرجعية ، ويعمل بوحى الاستعمار ، او يعمل لصالحه .

وقد لا نذهب وراء الاستنتاجات كثيرا ..فنتهم عناصر هذا الحلف بالخيانة العامدة .. ولكن شيئا فى الوجود لا يستطيع ان ينفى عن هذه العناصر جميعا ، انها كانت تخدم الاستعمار ، ضالة .. او عامدة

فاما الملك .. فقد كان عامدا متعمدا فاهما لما يعمل حق الفهم كان الملك قد عرف تماما ان الهوة سحيقة بينه وبين هذا الشعب . . وكان الذين حوله ، من الحاشية الفاسدة والرواد الخائنين . . . قد أقنعوه تماما ، بأن كل تقرب من ناحيته الى الشعب ، سيزيد من نهم هذا الشعب فى مطالبه . . وان هذا الشعب ان لم يضرب بالسياط سيتغول ، ويتحول الى خطر داهم عليه وعلى اسرته وعلى عرشه ايضا .

من يحمى الملك ؟

وكان حسنين يقول بلسان الملك ، ((لقد عرض الملك عرشه فى الطريق ، فلم يتقدم لانقاذ هذا العرش احد من ابناء شعب مصر ..

وهو يعنى يوم ٤ فبراير ، حينما تحدى الانجليز . . فلما انتصر الانجليز عليه وعين النحاس رئيسا للوزراء ، هتف الشعب للنحاس ولم يلتقط عرشه الذى القى الانجليز به ... فى الطريق . !

وكان حسنين يبرر بهذا مسلك الملك ، الذى بدأ يبدو من تقربه للانجليز ، وخضوعه لاوامرهم وبيعه نفسه لهم .. فالملك بحاجة الى من يحميه .. وقد أثبت الشعب ، فى ٤ فبراير انه غير مستعد لحماية الملك.

أحزاب الاقلية

وكان فى هذا الحلف مع الملك . . أحزاب الاقلية ، التى لم تحلم يوما بالوصول الى مقاعد الحكم عن طريق انتخابات نزيهة بريئة من التزوير ، وكانت هذه الاحزاب منذ نشأت تعرف انطريقها الى الحكم هو الايقاع بين حزب الاغلبية وبين الملك ، والاعتماد على قوى السلطة المحتلة والسلطة الداخلية فى حكم البلاد .

وكانت لذلك تاتى الى الحكم بغيضة كريهة ، وتذهب عنه مشيعة بلعنات شعب مصر ..

ولكن الطريق قد دخلت عليه عوامل جديدة بعد ٤ فبراير .. وجدت هذه الاحزاب فرصتها لتضليل الشعب بما تزعمه من

وطنية الملـك ، ومن انها تاتى الى الحـكم ، لتنتقم للوطنية المصرية من قبول حزب الاغلبية الحكم على حراب الانجليز .

وبهـذا بدا الشعب يتعرض لحمـلة تضليل كبير مثيرة تشنها عليه احزاب الاقلية ، متحالفة مع القصر ... مع الملـك واعـوانه ورواده وحاشـيته .

الفســاد ...

اما حزب الاغلبيـة .. فقـد اغرق فى الفساد ، وداخلته شـياطين الشهوة فضم اليـه الاقطاعيين والسماسرة .. وربط بمصالحهم مصيره ، وبدا هو الاخـر ينعزل عن تمثيل الشعب . تمثيلا صحيحا يقوده به الى اهـدافه الحقيقية .

لقد تمثلت ديكتاتورية الاغلبية فى ابشـع صـورها واصبح مـن العبث التفكير فى اصلاح هـذا الحزب بعـد ان قوض بنفسـه الاساس الشعبى الذى يقوم عليه ..

... والرجعية

ولم يكن هـذا وحـده هو كل شىء فى الجانب الآخر ، كانت حملة الرجعية المتجرة بالقيم الروحية لشعب مصر .

وشعب مصر شعب مؤمن متـدين ولـكن الايمـان والتـدين شىء ، ومحـاولة استغلال هـذه الحقيقة العميقـة فى الشعب ، استغلالا يحولها عن الغـاية السامية منها تحويلا كاملا .. شىء اخر .

فالايمان والتدين خيران اصيلان فى طبيعة شعب مصر .

والاتجـار بالدين شر مستطير يخنق الدين اهـدافا غـير اهـدافـه ، ويجعـل منه عامـلا رجعيا يستتبع الجمود والتحجر ، ويفسد الجماعات

امراض الشعب

ولـكن هـذا هو الموج المتلاطم الذى كان يحوط سفينة الشعب .

استعمار قائم .. احلاف من القصر والاحزاب والرجعية .. ودعايات

تنصب انصباباً فوق رؤوس هـذا الشعب المسكين ، وكلهـا تحاول ان تنحرف به عن دوره الحقيقى فى المعركة الى ادوار كثيرة اخرى تخـدم اهداف الاستعمار وحلفائه المستترين والظاهرين .

وفوق هـذا كله .. فهناك جبهة الشعب ايضا ، وما تعانيه من أمراض

امراض وراثية بعيدة الفور متأصلة الجذور .

امراض اورثه اياها ذله الطويل تحت سياط الاقطاع والملوك والطغـاة وجيوش الاحتلال .

امراض منها التردد ، ومنها النفاق ومنها الاستسلام للواقع ، ومنهـا الخوف ... ومنها ، ومنها .. ومنها !

امراض لا سبيل الى بعث هـذا الشعب ، الا باستئصالها ، ولا سبيل الى استئصالها الا بازاحة اسبابها من الطريق

لابد من قـوة

فلابد اذن من قوة تعمل لازاحة هذه الاسباب ...

لابد من قوة تزيل من البلاد الملـكية الطاغية لتزيل بعد ذلك آثارها .

ولابد من قوة تقضى على الاقطاع قضاء مبرما لتستطيع بعد ذلك ان ترفع مستوى الشعب ، ومعنوياته ، وتزيل منها اثار الخضوع والخنـوع والاستسلام والخوف ...

ولا من قوة تقود الشعب كله للذود عن حقوقه وحريته المقدسة التى سلبها منه الاستعمار قرونا وقرونا حتى فقد الشعب الامل فى الخـلاص منه .. او كاد يفقد هذا الامل .

ولابد من قوة تستطيع ان تقف فى وجه الاحزاب التى تستغل الشعب لتخدم مصالحها ومصالح الانجليز ، وتقف فى وجه الرجعية التى تضلـل الشعب ، وتنحرف به عن طريقه الذى رسمته له فطرته السليمـة طوال القرون الماضيـة ، وتثبت اقدامه فى طريق التطور والنهوض .

لابد من قوة تصنع كل هذا ... لتصـل بالشعـب الى الامـل الذى

يراوده : ان يحكم نفسه بايدى ابنائه ، وان تكون له بنفسه الكلمة العليا فى مصيره .

ولم تكن هناك قوة تستطيع ان تقوم بهذا العمل .. غير الجيش .

الجيش الذى لا يثق به الشعب ، والذى يعتبره سوطا يلهب ظهره بامر الطغاة ، والذى استطاع الاستعمار واعوانه ان يعزلوه عزلا كاملا عن الشعب الذى ينبت منه .

هذا الجيش الذى كان يطمع الشعب فى معونته ، ولكنه طالما وجد نفسه بمنأى ومعزل عنه .

وبدأ جمال يرقب هذه الجبهات ، الاعداء ، والملك ، والاحزاب ، والرجعية ، والانحلال الذى بدأ ينخر فى عظام الامة ...

ووضع جمال عبد الناصر هذه العوامل والقوى جميعا امام ناظريه ... ثم بدأ ...

بدا يرسم الوسيلة ... ويضع الخطوط ، ويعدالتنظيم الذى يستطيع ان يقود الجيش الى معركته الكبرى باسم الشعب .

بدا يصنع ذلك ، فى الفترة التى تلت يوم ٨ مايو ١٩٤٥ .. يوم النصر كما اسماه الانجليز .

اللجان الخمس التي أوجدها جمال عبد الناصر

- الإدارة الاقتصادية .
- إدارة التشكيلات .
- إدارة الدعاية .
- كانت سلاحنا زجاجات مولوتوف .
- الذين "وصموا" بالكفاح الوطني .
- كانت الصداقة هي أساس التشكيلات .

بعد الدراسة المستفيضة التى قام بهـا جمال عام عام ١٩٤٥ للموقف ، وما يحيط به من ظروف وملابسات قرر ان يبدا العمل الداخلى فى الجيش.

والذين يعرفون ((جمال)) يعرفون انه رجل لا يبدا عملا حتى ينتهى تماما من بحث جميـــع تفاصيله ، ولا يخطو خطوة حتى يدرس الارض التى سيخطو عليها ، ويتبين جيدا معالم طريقــه. ويدرس قبل كل هذا ، ما سبقتها من خطى ...

ويوم قـــرر جمـــال ان يبـــدا عمـــله التنظيمى الجديد .. كان كمن يقف فى منتصف طـــريق متصل .. وراءه خطوات تتلاشى مع الليل ، وامامه خطوات تبدو مع النهار ..

وكان لا بد له أن يســـلط اضواءه القوية على الليل الطويل من خلفه ، ليدرس كل خطـــوة من الخطى السابقة. فقد تعود ان يستفيد من هـــذه الدراسات وان يكسب كثيرا من التامل فى افكاره السابقة ، وفى افكار الاخرين .

وقد كان هناك شبه تنظيم حركى لنا ، قبل عام ١٩٤٥ وكان هـــذا التنظيم المبدئى ، هـــو اول شىء اكب جمال على دراسته ، يوم اراد ان يبدا العمل الجـــديد .

كنا قبل عام ١٩٤٢ قد انتهينا فى تنظيم انفسنا ، الى تشكيل خمس ادارات رئيسية ، تنفرد كل منها بدور خاص فى خدمة التشكيل . .

وكانت هذه الادارات على التوالى هى :

١ ـ الادارة الاقتصادية

٢ ـ ادارة التشكيلات

٣ ـ ادارة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية

٤ ـ ادارة الارهاب

٥ ـ ادارة الامن

وكانت ظروف كثيرة قد اقتضتنا ان ننشىء هذه الادارات الخمس ، نحقق عن طريق كل منها هدفا معينا . .

وقد نجحنا فى بعض ما أملناه منها وفشلنا فى بعضه الاخر . .

ولكنها جميعا قد اقامت بواجبها فى ظروف الحرب القاسية ، واستطعنا عن طريقها ان نحقق كثيرا من الاعمال التى كنا نقررها .

وقد تبدو أسماء هذه الادارات اسماء ضخمة ، فيخيل لسامع كلمة « ادارة الاقتصاد » او « الادارة الاقتصادية » مثلا ، انها كانت ادارة منوطة ببحث المسائل الاقتصادية او المالية للبلاد او تصميم السياسة الاقتصادية المستقبلة عند نجاح فكرتنا .

قد يبدو شيء من ذلك . . وعندئذ تبدو مهمة هذه الادارة عندما نفصح عنها ضئيلة هزيلة . .

فقد وجدت هذه الادارات لتكون فى خدمة التشكيل وحده ، من حيث هو تشكيل عسكرى داخل الجيش .

وكانت لكل منها اهمية قصوى ، عند انشائها ، والى كل منها يرجع جانب من نجاح هذا التشكيل فى الاحتفاظ بكيانه خلال سنوات الحرب ، وما يحيط بالكفاح فيها من خطر .

وساضع امام القارىء هنا صورة لكل من هذه اللجان ، او الادارات ، ووظائفها واهدافها .

الادارة الاقتصـــادية

نشأت فكرة هذه الادارة نتيجة للواقع الذى درسناه فى ماضى المكافحين والذى توقعناه لانفسنا .

فالذى يدرس تاريخ الكفاح الوطنى فى مصر ، والذى يدرسه فى بقـاع الارض جميعا ، يعرف دون مشقة كبيرة ، ان من اهم العوامل التى تعوق المكافحين عن مواصلة الكفاح ، والتى تثبط همم المقبلين عليه لقمة العيش .. لقمة العيش التى لا يغرى الحصول عليها ، ولكن يرهب الحرمان منها

ولنحصر انفسنا فى تاريخ مصر لنرى صور المكافحين الذين سـبقونا ، وكيف جعل الاستعمار وحكوماته منهم عبرا ، ورموزا للشقاء ما ترهب كل من تحدثه نفسه بالكفاح .

فقد كان من « يوصم » بالكفاح الوطنى ، ينظر حوله فلا يجـد يدا تمتد اليه ..

لا يجـد عملا فى حـكومة ، ولا فى شركة من الشركات .. ولا رعاية من اصحاب الوطنية والمتجرين بالكفاح .

وانظر الى الذين حكم عليهم بالسجن سنوات كثيرة وصلت الى حـد الاشغال الشاقة المؤبدة فى عام ١٩١٩ وما تلاه من أعوام الثورة المصرية المجيـــدة ..

منهم من عفى عنه قبل أن تنقضى مدة عقوبته .. ومنهم من قضاها كاملة فى الشقاء ..

فانظر الى الفريق الاول ، تجده قد انقسم طائفتين : طائفة غنمت الغنم كله فاصبح منها الزعماء والحكام والثراة واعضاء مجالس الشركات الكبرى والمساهمون فيها وحملة الالقاب والرتب والنياشين ..

هذه طائفة ...

وطائفة غرمت الغرم كله .. خرجت من السجون لتجد تعاسة الحياة .. لتجد عقوق الوطن والاصدقاء وزملاء الكفاح .. لتعيش مشردة تسعى الى لقمة العيش ، فان لم تجدها ــ وما وجدتهــا ــ فى رعاية الوطن ، ذهبت تفتاتها فى معسكرات الانجليز !

واما اولئك الذين خرجوا من ظلام السجون بعد انقضاء مدة عقوبتهم .. فياويلهم ..! خرجوا للنسيان والتشرد ... خرجوا اشبه بفاقدى الرشد .. تزوغ أعينهم فى جنبات الوطن ... لترى الشباب يهتف للزعماء ، ويهتف للحرية ... ولو نظر أمام عينيه لرأى كيف يكون عقوق الزعماء ، والى أى مصير ينتهى رواد الحرية والمكافحون عنها ...

وكانت هذه الامثلة كلها أمام أعيننا فى تلك الفترة التى أقدمنا على اجتيازها بجرأة الشباب ، وحماسة الذين وهبوا للجهاد أنفسهم ..

وقلنا أننا بشر ...

واننا لا نريد ان يتعرض احدنا لمثل ما تعرض له هؤلاء المساكين .

وان علينا أن نتدبر أمر تمويل هذا التشكيل بحيث يصبح قادرا على اعالة أى فرد منه يتعرض لنكبة من هذه النكبات ..

ونشأت هذه اللجنة ... لجنة كل مهمتها جمع المال ، واختزانه، واستثماره ـ ان أمكن ـ بوسائل مامونة لاتكشف عن حقيقتها ، لكى لانسير فى طريقنا ، وظهرنا من هذه الناحية مكشوف .

وبدأت هذه اللجنة تكون لها رأس مال ..

وبدأته فى حقيقة الامر على حسابنا

فكلفتنا أن يضغط كل منا ميزانيته ضغطا شديدا ليرى كم جنيها ـ أو كم قرشا ! ـ يستطيع أن يقتطعه من مرتبه كل شهر لصالح التشكيل ..

وفعلنا ...

وكلفتنا بعد ذلك ، ان يستدين كل منا على مرتبه قيمة شهرين من أحد البنوك ، كما يفعل كثير من الموظفين .

وفعلنا ... أى فعل أعضاء التشكيل جميعا ، فقد أعفتنى أنا اللجنة من هذا التكليف لانى اذ ذاك كنت المتزوج الوحيد بين أعضاء التشكيل ، وكنت أنفق على أولادى وزوجى من مرتب « اليوزباشى » المعروف ... !

وعلمت اللجنة ان الفريق عزيز المصرى قد باع محصول حديقته من ثمار المانجو بخمسين جنيها فاستولت على هذه الجنيهات الخمسين !

ولم تجد وسيلة للتمويل السريع بعد ذلك ... فاكتفت !

وكان يمكن لرأس المال البسيط ، الذى جمعناه حينئذ أن يكـون نواة لا بأس بها لتمويلنا . ولكن عام ١٩٤٢ جاء بأحداثه التى قررنا خـلالها الاستعداد لابادة الانجليز العائدين من العلمين .. وكانت وسيلتنا الى ذلك الزجاجات المعروفة بكوكتيل « مولوتوف » والقنابل والمسدسات المصنوعة محليا ، والمفرقعـات .



وكانت المشكلة فى هذه الخطة ، هى مشكلة الحصـول على الزجاجات الفارغة .. فوظفنا لذلك رأس المال .. ثم فكرنا فى كيفية استخدامه .

وكان ان فتحنا « دكانا » لتجارة الزجاجات الفارغة ، واجلسنا فيـه رجلا امينا ، اخذ يتعرف ببائعى الزجاجات الفارغة المتجولين .. حتى عرفوه واعتادوا أن يعودوا اليه اخر كل نهار ، بما جمعوه من الزجاجات الفـارغة .

ولم يكن هذا الفيض يكفى ، فذهبنا الى سوق الزجاج بشارع كلوت بك وابتعنا منه ما يلزمنا .

كنا بحاجة الى عشرات الالوف من الزجاجات الفـارغة .. وكان رأس المال الصغير الذى جمعته لجنة الاقتصاد هو الذى مكننا من اتمام هـذه العمليــة .

وعلى الرغم من ان المال الذى جمعته هـذه اللجنـة لم يستثمر ، ولم يستعمل فيما جمع من أجله .. الا أن وجود هذه اللجنة كفكرة ، ظل ماثلا امام جمال عبدا الناصر وهو يعد عدته للتنظيم الجديد .

لجنـة التشـكيلات

واللجنة الثانية ، او الادارة الثانية كانت ادارة التشكيلات ..

وكانت لهذه الادارة اهمية خاصة نظرا للعمل الخطير الذى كانت منوطة بـه ..

فهى التى كانت تجمع العناصر التى يمكن ضمها الينا من ضباط الجيش فى مختلف الاسلحة ..

وهى التى كانت تبوب هذه العناصر باعتبار أسلحتها واختصاصاتها وتكون منهم الخلايا والتشكيلات المختلفة .

وهى التى كانت تراقب مدى تقـدم التشـكيل او تأخره بما لديها من المعلومات الدقيقة عن عدد الضباط الذين ينضمون الينا ، والذين يخرجون علينا .. ومعرفة أسباب زيادة الاقبال على التشكيل أو نقصه ..

وكانت هـذه اللجنـة هى وحـدها التى تعرف جميع الضباط الذين يناصروننا ، وهى وحدها التى تعرف ـ فعلا ـ مدى قوتنا ..

فعلى الرغم من اننا حرصنا منذ البدء على أن يضم تشكيلنا ضابط من كل سلاح يكون مسئولا عن صـلة سلاحه بالتشكيل الا ان هذا الضابط نفسه لم يكن فى أكثر الاحيـان يعرف اكثر ضباط سلاحه ، لانهم ليسوا من دفعته .. أو لانهم لم يخدموا معه فى مكان واحد ..

اما هذه اللجنة فكانت مهمتها ان تعرف الجميع .. وان تجمعهم لا على اساس اختبارات الجمعيات السرية المختلفة ولكن على أساس الصداقات القائمة بينهم وبين بعضهم .. فقد كان اساس تشكيلاتنا ، هو الصداقة التى تخلق الثقة وتنفى الشكوك .

وكان مفروضا أن تنتهى مهمة اللجنة عند هذا ، وان تحيل امر الضباط الذين يخرجون على التشكيل الى لجنة الأمن ..

ولكننا لم نكن قد تقدمنا فى اساليبنا فى الفترة الاولى الى هذا الحد ...

وكانت هذه الصورة للجنة التشكيلات هى التى وجدها جمال أمامه .. عند ما بدا تنظيمه الجديد ..

لجنــة الــدعاية

واللجنة الثالثة كانت لجنة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية ..

ولم تكن هذه اللجنــة تفتعل الدعاية ولا كانت تلجــأ الى الاساليب الشائعة فيها كطبع المنشورات أو مراسلة الصحف ..

وانما كانت تساير الأحداث لتثير مناقشات عارضة تستعرض فيهــا الحالة العامة ، فى جلسات الضباط فى « ميساتهم » أو بين الشلل المختلفة فى منــازلهم ..

وكانت الحوادث التى تقع فى تلك الفترة الكثيرة الأحداث ، هى التى تدفع بدعايتنا كثيرا الى الامام .

ومن أهم الحوادث التى استغلتها لجنة الدعاية حادث تسليم فرنسا عام ١٩٤٠ وما تبعه من انعزال انجلترا ووقوفها وحيدة امام العدو ، مما كان يثير حماسة الضباط لكل فكرة تقول بضرب انجلترا فى محنتهــا ، لانها لن تسلم بمطالبنا ، ولن تخرج من بلادنا الا وهى مرغمة صاغرة ..

ومن الأحداث التى دفعت بدعايتنا كثيرا الى الامام ايضا فى تلك الايام حادث الامر الذى صدر الينا بتسليم اسلحتنا للانجليز ، ورفضنا هــذا الأمر ، وحادث خروج على ماهر بعد بيانه المعروف .. ثم اخيرا حادث ٤ فبراير الذى غطى على كل ما عداه !

هذا من حيث الدعاية داخل الجيش أما الاتصال بالكتل الشعبية فقد كان هم هذه اللجنة ان تقوم بعملية موازية تماما لعمليتهــا الاولى داخل الجيش .. وهذه العملية الجديدة ، هى جس نبض الكتــل الشعبيــة ومعرفة اتجاهاتها ومدى تاثرها بالحوادث المختلفة . ونوع هذا التأثر ، ومدى استعدادها للمعركة ..

وعن طريق هذه اللجنة تعاونا حينا من الزمن مع بعض شباب الحزب الوطنى كما عرفنا عن طريقهــا الاستاذ عبــد العــزيز على وكان اذ ذاك لايزال مسيطرا على الجهاز السرى للحزب الوطنى الذى شكله بنفســه عام ١٩١٩ .. وقد ظل يتعاون معنــا بعــد ذلك لفترة طويلة . وأفدنا من معونتــه كثــيرا . .

وكان هذا هو كل عمل هذه اللجنة حينما بدأ جمال يضع تنظيمه الجديد .

أما اللجنتان الاخيرتان ، وهما لجنة الارهاب والأمن فانه لم يحن بعد الوقت لشرحهما وتسليط الاضواء عليهما .

قصة اللقاء الأول

بين عبد الناصر وعامر

- مولد الثورة بين الخرطوم وأم درمان
- جهلاء في منصب القيادة !
- "فكرة الحياة" لا تختفي :
- ضمر بأمر القائد ..!
- هروب من النافذة .!
- خطة ماكرة ..!

بهذه الحلقـــة يبدأ الطور الثانى من اطـوار التمهيد لثورة ٢٣ يوليو .. وهو الطور الذى بداه جمال عبـد الناصر ، بعد التجارب العديدة التى مرت بنا فى تلك السنوات الاولى المليه بالمخاطر والمشـقات ..

وان كان جمال قد أشعل الجـــذوة فى ليالى منقباد .. وان كانت هــــذه الجذوة قد ظلت مشتعلة بأيدينا ، نلهب بها سواد الاعوام المظلمة .. فقـد ظل جمـال مراقبا لهيبها مســجلا لانتصاراتها ، مستفيدا من تجاربها ..

وكان فى صمته ، خلال نقله الى الســودان ، وبعد عودته من هناك مايعد لجذوة اخرى لايظهر ضوءها ، ولا يفرغ زيتها .. جذوة عاقلة حكيمة لا تشعل النار ولكن تضىء الطريق ..

وفى خلال الاعوام التى كنا فيها نظهر لنختفى ، ونختفى لنظهر .. كانت اعينا جمال الفاحصـة تبحث عن الرجال والاعوان ..

ولعل انتصاره الاول فى هــذا الميدان .. كان لقاؤه لعبد الحكيم ..

وبقصة هذا اللقاء .. يبدأ هذا الطور ، من أطوار التمهيد للثورة .

الى الســـودان

السودان ..

السودان .. الذى يهرع اليوم شيقا للقاء مصر .. وتهرع مصر للقائه جذلى .. كان فى تلك الايام منفى المغضوب عليهم من رجال الجيش ..

ولا يسال أحد : لمـاذا كان السودان منفى ؟ ! فهكذا كان .. وكانت اسوان ايضا منفى .. والعريش .. والصحراء الغربية .. وكل بقعة خلا القاهرة .. والاسكندرية !

وفى الجيش ، كان الملازم جمال عبد الناصر ضابطا صغيرا مغضـــوبا عليه .. فمنذ أيام منقباد وثورتنا على الاوضاع هناك .. على البعثـــة الانجليزية .. وعلى اللواء المصرى الذى كنا نسميه السلطان عبد الحميد .. منذ تلك الايام المجيدة من أعوام الشباب .. كسب جمـــال كراهية القومندانات .. وحقدهم .. وتوقعهم الفرصة لايقاع الأذى به .

وكان معروفا ان الكتيبة الثالثة ستتحرك الى السودان ..

وعندما يقترب رحيل كتيبة الى السودان ، يرسلون الى الكتـــائب الاخرى فى انحاء البلاد ، لكى تبعث اليهم بأسماء ((المغضوب عليهم)) من ضباطها .. لكى يساقوا الى المنفى يوم الرحيل ..

ولكنه لم ينتظر ان ترسل به كتيبته الى المنفى .. وانما سارع بنفسه يقدم اسمه ، ليكون بين الراحلين ..

ودهش اخوانه لهذا التصرف .. وكانوا يحبونه ، ويحبون ان يبقى بينهم ..

ولكنه كان قد رسم لنفسه طريق السير .. وكأن قوة مجهولة تدفعه دفعا الى زيارة شطر الوادى الحبيب .. واستقراء الحقيقة فيه ..

عبد الحكيم .. هنـــاك

وكانت الكتيبة الثالثة التى تتهيأ للرحيل ، لا تزال فى المكس بالاسكندرية

وكان على جمال أن يمضى الى الاسكندرية ليلتحق بها ، ثم يرحـــل معها الى ارض الجنوب ..

وفى ليلة السفر الى الاسكندرية ، التقى به الصاغ عثمان نصار من ضباط كتيبته ، وكان من اصدقائه الخلصاء .. وساله :

ـ أترحل غدا ؟

ـ باذن الله ..

ـ هل تعرف احدا من الضباط هناك ؟

ـ ابدا ..

ـ اسأل اذن عن الملازم عبد الحكيم عامر ، وتعرف به ..

ولعل هذا هو كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان نصار اليه عن عبد الحكيم ..

فلم يكن جمال ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الاسس السطحية البسيطة .. ولم يتوقع ابدا ان يكون عبد الحكيم ـ هذا ـ صديق عمره ، ورفيق جهاده الكبير ..

ولا يذكر جمال عن يوم لقائه الاول بعبد الحكيم شيئا .. ولكن عبد الحكيم هو الذى يذكر ..

يذكر ان نبأ وصول جمال الى الاسكندرية كان قد سبقه الى هناك ..

ويذكر انه قام من فوره ، وذهب يستقبله كصديق ، أو زميل جديد ..

ويذكر انه قدم اليه نفسه .. ثم قدم اليه كل التسهيلات المستطاعة ..

ويذكر أيضا .. ان جمال كان « قرفانا » وانه قابل صنيعه شاكرا .. ولم يبد عليه اثر لهذه التوصية التى كان يحملها من الصاغ نصار ..

نقيضـــان ...

وقد تسجل الايام أن لقاء عبد الحكيم وجمال قد تم فى ذلك اليوم .. بالاسـكندرية ..

ولكن هذا اللقاء ، لم يكن شيئا ..

لم يكن هو اللقاء الحقيقى بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك تنيرا

فى حياتهما .. واللذين ارتبطا معا بأقوى ما يرتبط به صديقان .. رباط العقل والقلب والكفاح المشترك ..

اما اللقاء الحقيقى .. والتعارف الكامل .. فقد بدأ فى الخرطوم ..

هناك عاشا معا .. وعرف كل منهما صاحبه

ولكنهما لم يقطعا مرحلة التعارف فى يوم او اثنين ، ولا فى أسبوع أو اسبوعين ..

فقد كانا نقيضين فى كل شىء ..

كان جمال شديد التحفظ ..

وكان عبد الحكيم شديد الاندفاع ..

كان جمال هادىء الاعصاب دائما .. مهما حدث ، ومهما رأى .. وما اكثر ما كان يرى مما يشقى النفس الابية ..

وكان عبد الحكيم سريع الانفعال ، سريع الغضب تستفزه الصغيرة والكبيرة على حد سواء !

والذين يعرفون عبد الحكيم اليوم ، فى هدوئه ، وصمته ، واتزانه البالغ ، قد لا يصدقون هذا الكلام ، وقد ينكرون هذه الصورة ..

ولكن الايام التى مرت بعبد الحكيم فى اثنى عشر عاما .. والاحداث التى هزته هزا .. قد استطاعت ان تغير فيه كل شىء .. وان تبدله انسانا آخر ، لا يعرفه اليوم من عرفه بالامس القريب ..

الاسد الهصور

واخذت عوامل كثيرة تعمل فى توطيد الصلة والصداقة بين الضابطين الصغيرين ..

وكان أول هذه العوامل .. قومندان الكتيبة .

كان قومندانا من نوع فريد قل ان يوجد بين الضباط مثله ..

فقد عرفنا قومندانات ذلك الزمان ، قططا فى ثياب أسود ..

عرفناهم أذلة للضباط الانجليز .. اعزة علينا ، نحن ابناء الفلاحين ..

عرفناهم يتحكمون فى مصائرنا واعمالنا وخطواتنا بالباطل أكثر مما يتحكمون بالحق ..

بل لعلنا لم نعرفهم يتحكمون بالحق أبدا .. ولو كانوا كذلك ما غضبنا ولاعتبرنا صلفهم من مستلزمات الحياة العسكرية ..

ولكن الصلف والفطرسة ، كانا مظهر التعويض عن مركبات النقص التى كانوا يعانون منها ..

جهلاء .. فى مناصب القيادة ..

اذلة لأصغر ضابط انجليزى .. وعلى أكتافهم المزيد من النجوم والتيجان ..

وتحت امرتهم ، شبان صغار .. كبرت بالعلم مقاييسهم ، وبالعزة والوطنية أنفسهم وقلوبهم ..

هكذا كان موقف القومندانات منا ..

او هذه كانت أسباب هذا الموقف ..

ولكن قومندان الكتيبة الثالثة فى السودان ، كان يجب أن يتحكم فى ضباطه الصغار ، تحكما من نوع جديد ، لم نعرف له فى الجيش مثيلا

من النـــافذة !

كان الرجل ولوعا بالشراب .. ما يكاد المساء يقبل ، حتى يعد عدته ، لسكرة تذهب بعقله .. وتريه نفسه أسدا هصورا يملأ زئيره الفلوات ..

ولم يكن يحب الشراب وحده ..

ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الانجليز .

فكان الحل الطبيعى عنده .. ان يأتى بضباطه .. بالامر ! ! وان يكلفهم بمجالسته وبمشاربته كلما جاء المساء ..

وتصوروا .. شرابا بأمر القائد .. وفى مجلس الاسد الهصور ..

لقد كان الضباط جميعا — حتى الذين يشربون الخمر منهم — يضيقون بهذا التكليف الثقيل ..

ولكن جمال ، لم يكن يضيق فقط ، بل كان يضيق ويسخط ويقاوم .. ويفسد على القائد مجلس الشراب ..

وماذا يستطيع أن يصنع ، وقد امتنع عن المشاركة فى الشراب ، فصدر اليه الامر بالمشاركة فى جلسة الشراب ..

وكانت ليلة لاينساها جمال ، ولا عبد الحكيم .. حينما حاولا ان يتركا مجلس القائد .. فرفض وزمجر وقام الى أبوابه فغلقها ..

وتلفت جمال حوله .. وانتظر حتى شرب القائد كاسين أو ثلاثة . وبدا يصول فى المكان ويزار ..

ثم أشار الى عبد الحكيم .. وقفز من النافذة .. وقفز عبد الحكيم خلفه .. وتبعهما الضباط جميعا ..

وعاد القائد الى مجلس الشراب ، ليجده خاليا خاويا من السمار ..

ولم يغن صراخه ولا زئيره شيئا !.. فبعد دقائق كان الضباط جميعا قد استقروا فى احدى دور السينما يشاهدون فيلما ضاحكا .. ويضحكون ..

والذى لم يضحك فى تلك الليلة .. هو القومندان المهيب !.

ومنذ الصباح التالى ، بدات حرب باردة بين القومندان وبين جمال وعبد الحكيم .. فقد فهم انهما كانا رأس الحربة التى فتحت الثغرة فى نافذة داره ..

وبلغ التفنن من الطرفين أقصاه فى هذه الحرب الباردة .. حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما .. لان عبد الحكيم قد هبط الى القاهرة ليلتحق « بفرقة » دراسية من فرق الجيش ..

انتفــاع ...

وادرك القائد انه لم يعد امامه سوى جمال .. وان جمال وقد اصبح وحده الآن ، لن يجد من يشاركه فى معارك كل يوم !

ولكنه لم يلبث ان نكب فى فطنته .. فقد استمرت الحرب الباردة بينه وبين جمال .. وزادت فنونها ..

وفى يوم من الايام ، أصدر القومندان أمره بنقل جمال الى جبل الأولياء .. ليستريح منه ..

واستراح فعلا .. ولم يره بعد ذلك حتى اليوم ..

واتم عبد الحكيم فرقته ، وعاد الى الخرطوم .. فلم يجد « جمال » ووجد اركان حرب الكتيبة يسأله فى حذر :

ـ ماذا بينك وبين القومندان ؟..

ويجيب عبد الحكيم فى حذر أيضا :

ـ لمـــاذا ؟

فيسر اليه أركان الحرب ، أن القومندان لم يكد يعلم بنبأ عودته ، حتى استشاط غضبا واصدر أمره بنقله الى كسلا ..

خطـــة ...

وكان عبد الحكيم قد عرف أن « جمال » قد نقل قبله الى جبل الاولياء .. وفهم أن القومندان يريد التخلص منه كما تخلص من جمال ..

وكان عبد الحكيم يعرف نفسية القومندان جيدا .. ويعرف أن هذا النقل ليس الا انتقاما ..

وكان يريد أن يذهب الى جبل الاولياء بدلا من كسلا بأى ثمن ..

وابتسم عبد الحكيم فى وجه أركان الحرب ، وقال له :

ـ ان « عفشى » لايزال مربوطا .. وأنا أحب أن أذهب الى كسلا ..

وتركه قليلا ريثما يبلغ هذا للقومندان .. ثم طرق باب القومنـــدان ، ودخل .. ولم يكد ينتهى من التحية حتى سأله فى تلهف :

ـ متى أذهب الى كسلا ؟ !

ودهش القومندان ، وقد وقع فى روعه أن لعبد الحكيم اصدقاء او أقرباء أو مصالح من أى نوع هناك .. ثم زمجر وقال :

ـ من قال لك انك ذاهب الى كســلا .. انى لن ابعث بك اليها.. وستذهب غـدا الى جبل الاولياء ! !

ولعل هذه كانت أول خطة من خطط عبد الحكيم الماكرة الماهرة !

وكان صباحا مشرقا عندما ذهب عبد الحكيم الى جبل الاولياء .. الى صديقه .. جمال ..

فكرة الحيـــاة

وفى جبل الاولياء .. زادت الصداقة عمقا بين الزميلين .. واكتمل التفاهم بينهما .. فى كل شىء ..



كانا يقضيان معا سهراتهما يلعبان الشطرنج

وكانا يقضيان معا أيامهما .. فى رحلات الصيد

وعندما يذكر أحدهما تلك الايام وتلك الليالى ، لا يكاد يذكر الشطرنج ، ولا الصيد ، بقدر ما يذكر المشاجرات الكثيرة التى تقع بينهما ..

فليس يسيرا أن تقوم صداقة حقيقية بين هـــذين الرجلين دون أن يسبقها عدد كبير من المشاجرات ! !

ولم يكن فى جبل الاولياء من الضباط سواهما ...

فكان جمال هو القومندان ، وكان عبد الحكيم ضابطه الوحيد . ! ولم يكن بد اذا تشاجرا صباحا أن يصطلحا فى المساء .. واذا تشاجرا مساء أن يصطلحا فى الصباح . !

ولكن هذه الفترة .. قد انتهت بالتفاهم التام بينهما .. وبالتفكير المتصل الموحد .. فى حالة الجيش .

فقد اقتنعا تماما ، ان المشكلة ليست مشكلة الكتيبة .. ولا القومندان ولا الرؤساء الانجليز ..

ولكنها مشكلة الجيش كله .. والبلد كلها ..

وكان الحاكم العام فى السودان يزودهما بكؤوس المرارة والحقد على الاستعمار والاوضاع القائمة فى البلاد .. كان الحاكم العام فى السودان ، هو القائد الاعلى للجيش هنـــاك ، بما فى ذلك الجيش المصرى .. وكان لايخفى احتقاره لجيش مصر .. ولا كراهيتـــه للمصريين ولا نزعاته الاستعمارية العاتية التى لا تقاوم .

وما حدث فى تباب الشريف ..

حدث فى جبل الاولياء ..

انها الجذوة التى يوقدها جمال فى بساطته وعمقه واتزان تفكيره ..

انها القرار ، والتصميم الذى تتمخض عنه المناقشات معه .

أنها الفكرة « فكرة الحياة » التى انبعثت هناك فى تباب الشريف ، قد كسبت رجلا جديدا .. عبد الحكيم عامر ..

لا بد من القضاء على الاستعمار .. بأى صورة ، وبأية وسيلة ..

لا بد من تطهير أرض مصر والسودان من هذا العار الجاثم فيهما .

لا بد من عمل شيء .. شيء عظيم ..

ومثلما حدث معنا أيام تباب الشريف .. حين صدرت حركة التنقلات فى الجيش ، فذهب كل منا الى مكان .. حدث مع جمال وعبد الحكيم ..

فلم تلبث الاوامر أن صدرت بنقل عبد الحكيم الى منقباد .. وبنقل جمال الى الصحراء الغربية

وافترقا فى ذلك اليوم افتراقا ظاهرا .. ولكن الصلة بينهما لم تزد الا وثوقا وقربا ، حتى التقيا مرة أخرى فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٢ ... عقب حادث ٤ فبراير المشئوم ..

وعندما التقيا .. بدأت أحداث جديدة ، لم تعرف القاهرة أكثرها .. ولكن تسجلها هذه الصفحات .

أول ثورة في نادي الضباط

- لحساب من كان يعمل محمد حسنين ؟
- خطة الحركة الأولى .. !
- محمد حسنين ينصح ...
- حذار .. وليس قنبلة ...
- معركة من نوع جديد ...
- أين الطريق ... ؟

الحقيقة التى يجب أن يدركها كل من يقرأ هذه الصفحات ، او يحاول دراسة تاريخ هذه الثورة ، والخطوات التى مر بها التمهيد لها ، هى أن الذين قاموا بها وأعدوا لها ، لم يبدأوا خطواتهم بوعى كامل وانما تدرجوا فى وعيهم السياسى ، مع الاحداث والايام ..

ولعلهم احسنوا الظن يوما برجل أو جماعة أو حزب .. ولعلهم علقوا على هذا الرجل ، أو هذه الجماعة ، أو هـذا الحزب أملا .. ولعلهم ساروا أشواطا خلف هذا الامل ..

ثم جاءت الايام ، تكشف لهم عن حقائق لم يكونوا يعرفونها ، وجاءت الاحداث تطرق أعصابهم طرقا عنيفا يهز كيانهم هزا ، ويفتح عيونهم لادراك جديد ، ويوجه خطواتهم الى طريق أكثر وعيا ، وأقرب صلة بالهدف ..

والهدف الواحد .. الهدف الكبير الذى لم يتغير ، والذى تعتبر كل الأهداف الجزئية فى تاريخ هذه الثورة ، وسائل اليه ، هو القضاء على الاستعمار ، وازالة كابوسه الجاثم فوق صدر مصر ..

وليس غريبا فى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، ان تلتقى جماعتنا بكثير من الأحزاب والهيئات والافراد .. فقد كان هذا الهدف ، هو البيرق الذى يرفعه كل تشكيل سياسى فوق بابه ، والذى يخطف بريقه انظار الشباب المتعطش للخلاص .

وليس غريبا ايضا فى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، ان تنأى جماعتنا بنفسها نأيا شديدا ، عن كل وسيلة يظهـر عنصر التضليل فيها ، سواء أكانت الوسيلة حزبا ، أم جماعة ، أم فردا .

وقد كانت الفترة التى بدأت بعد حادث ٤ فبراير ، فترة نشاط ثورى كبير ، لافى جماعتنا وحـدها ، ولـكن هنا ، وهناك .. فى الجيش ، والجماعات ، وطوائف الشباب القومى والحزبى ، والتكتلات الصغيرة العلنية والسرية ، المدنيـــة والعسكرية

وكانت هذه الفترة لذلك ، محكا للافراد والجماعات .. ومختبرا يظهر معادن النفوس وفرصة للتعارف بين المخلصين

بعد ٤ فبراير

كانت فترة عصيبة تلك التى تلت حادث ٤ فبراير ..

وكانت مجالا لنشاط كبير .. هنا وهناك ..

فقد كان الملك ـ مثلا ـ يظهر امام الشعب بمظهر الوطنى الذى تحدى المستعمرين ، واراد ان يقود شعبه الى الخلاص منهم فغلبوه على امره ، واستلوا منه سيفه وصولجانه وألزموه قصره كالطير السجين ..

وكانت الاحزاب المعادية للوفد ، تحاول بنشاطها الخفى والظاهرى ، ان تكسب من تصويرها للحادث نفسه ومن نقائص الحكم الوفدى المعروفة ومن عطف الشعب على موقف الملك المطعون فى قصره ، وسيلة لاكتساب الانصار ، وبث الدعاية الحزبية ، والتمهيد للوثوب الى الحكم فى ثوب وطنى ،بعد أن كانت لاتعرف طريقها الى الحكم الا وأنف الشعب راغم تحت أقدام القصر والانجليز .

وكانت طوائف الشباب المجاهد المختلفة الاتجـاهات ، قد زج بها فى السجون والمعتقلات ومستشفيات المجانين ..

وبقيت خارج الاسوار جماعة الاخوان المسلمين من ناحية

وجماعات صغيرة ضئيلة العدد من الشباب الساخط تجتمع لتذكر ، وتزداد سخطا ، او تجتمع لتدبر امرا كهذا الذى كنا ندبره والذى اعتقلت بسببه واعتقل معى عزيز المصرى .. وآخرون ..

جماعات .. واتجاهات

كنت انا اذن اعمل من ناحية ..

وكان الاخوان المسلمون يعدون أنفسهم على النحو الذى تحدثت عنه فى بعض الصفحات السابقة ...

وكانت هناك اجتماعات متفرقة تعقد هنا وهناك ، تضم شبابا ثائرا ساخطا ..

فمن هذه الاجتماعات مثلا ، اجتماعات كانت تعقـد فى حى الزيتون تضمنت عددا من ضباط الجيش من بينهم الصاغ كمال الدين حسين ، والقائمقام صلاح حتاته مدير سلاح المشاة الان .. وكانا اذ ذاك لايزالان صغيرين سنا ورتبة ..

واجتماعات اخرى كانت تضم اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وعددا من الضباط وضباط الصف، على نحو سنفضله على صفحات قريبة

كان كل يعمل فى طريق ..وكانت اغلب الخواطر والافكار تتجه ناحية القتل والارهاب . قتل الانجليز واعوانهم ، فلم يكن هناك متنفس حقيقى للثورة المكبوتة فى الصدور .. ولم تكن هناك آمال واضحة تدعونا الى التريث والتفكير ، أو تستطيع أن تحدد خطواتنا اليها فى اتزان .. كنا قد فقدنا كل صمام يحمينا من الانفجار ، حتى صمام التعزى بالأمل ..

وكان جمال وعبد الحكيم فى ذلك الوقت ، كسائر هذه الجماعات الشابة الساخطة ، يحاولان ان يصنعا شيئا ..

ولكن الميزة التى امتاز بها جمال ، ميزة الصبر والتريث والتفكير الكثير .. استطاعت ان تنأى بهما وبمجموعة اصدقائهما عن كل عمل طائش ، أو خطوة غير مأمونة ..

الحـــركة الاولى

حتى كان عام ١٩٤٤ .. أى بعد ان قضت وزارة النحاس فى الحكم مايقرب من العامين

وكان قد اصبح واضحا ان هذه الوزارة قد وطنت نفسها على تسليم كل مايطلبه الانجليز اليها .. وان الملك قد اصبح عاجزا عن كل مقاومة .. وان مقاليد الحكم الداخلى نفسه فى مصر ، قد وضعت نهائيا بين يدى تشرشل رئيس وزراء انجلترا ..

ولم تعد الاعصاب تستطيع مزيدا من الاحتمال ...

ولقـــد أصبح هذا الوضع الشائن مثارا لاحاديث بين الضباط فى كل مكان .. الكل يتكلم .. الكل يهمس .. الكل يفكر ..

ورأى جمال أن فى الامكان استغلال هذه الحركة الواسعة من الهمس والنشاط والسخط فى دوائر ضباط الجيش ، بتحويلها الى حركة موحدة واضحة ، وسيلتها معارضة هذا اللون من الحكم ، وهدفها تحـــدى الانجليز ..

واشترك جمال وعبد الحكيم فى تنظيم هذه الحركة واعداد العدة لكل احتمال ..

ثم اتفق جمال وعبد الحكيم على الا يظهرا بصورة واضحة فى هذه العمليات ، على أن يكون عبد الحكيم هو المحور الظاهر فيها ..

ومرت ايام ، فوجىء بعدها اعضاء مجلس ادارة نادى ضباط الجيش ، وكبار اللواءات والقواد فيه ، بدعوة موجهة الى الضباط لعقد اجتماع عام فى النادى للبحث فى شئون البلاد والحكم ...

ثم فوجئوا بعدد ضخم من الضباط يحضر هذا الاجتماع فى موعده ... ثم فوجئوا بمناقشات سياسية واضحة ، وخطابات جريئة ، وقرارات تتخذ ...

وقام اللواءات يحاولون الاعتراض على هذه الحركة وهذه الخطابات السياسية ، وهذا النشاط الذى لاتقره تقاليد الجيش .. !

واذا بعاصفة من السخرية والتحدى تثور فى وجوههم ، من جانب الضباط الصغار .. واذا بالاجتماع يواصل برنامجه الموضوع له ، رغم هذا الموقف من اللواءات المسيطرين على الجيش والنادى جميعا ..

نصيحة حسنين

وانتهى هذا الاجتماع بتشكيل لجنة من ضباط مختلف الاسلحة ، كان من أعضائها الصاغ صلاح سالم ، ولم يدخل اللجنة جمال ولا عبد الحكيم ، طبقا للقرار الذى اتخذاه من قبل ...

وكلفت هذه اللجنة من قبل الضباط المجتمعين جميعا بالتوجه لمقابلة المرحوم احمد حسنين (باشا) للتفاهم معه فيما يمكن عمله لوضع حد لهذا الحكم الانجليزى السافر فى البلاد ... وافهامه ان الضباط جميعا مستبعدون لاى امر ، مهما كان هذا الامر ... انهم اذ يلجأون اليه فى هذا السبيل .. انما يريدون بذلك أن يوجههم الوجهة السديدة التى تضمن الا تضار مصلحة البلاد بشىء ..

وذهبت اللجنة فعلا الى المرحوم احمد حسنين وقابلته في مكتبه .. وناقشته كثيرا ... ولكنه خذلهم . واضاع هذه الجهود التى جمعتهم ، وكتلتهم ، بنصيحة واحدة وجهها اليهم ، ثم تشبث بها تشبثا شديدا .. هى الا يقوموا بأى عمل من أى نوع كان — فى نظره — غيرمناسبلشىء.

وعادت اللجنة بهذه النصيحة .. ولم تكن تعلم ، ولا كان احد فىالبلاد يعلم بما كشفت عنه الوثائق والوقائع بعد ذلك من الاسرار ..

وعندما تكلمت الوثائق والوقائع ، اثبتت أن احمد حسنين .. رائد فاروق ، ورئيس ديوانه وظهيره ومرشده يوم حادث ٤ فبراير ، وقبله ، وبعده ... والرجل الاول فى القصر المعتدى عليه .. احمد حسنين هذا، كان طوال حكم الوفد فى تلك الفترة ، يتصل بالانجليز .. لا لمصلحة البلاد .. ولكن لكسب ثقتهم فيه كحاكم جديد ، يستطيع ان يقضى لهم من المصالح ماكان الوفد يقضيها .. وان ينفذ لهم سياستهم « الديمقراطية » فى حكم البلاد وتوجيهها ...

احمد حسنين كان يريد ان يكون بطل ٤ فبراير الثانية .. ولكن بغير دبابات . ! !

ومع ذلك ، فلم تكن شكوكنا فى احمد حسنين قد بدات فى ذلكالوقت. ولم تكن لذلك ان نجد تحليلا سليما لموقفه ..

وعندما علم الضباط بهذه النصيحة ، هاجوا وماجوا ... واوشكوا على الانفجار ..

سباب فى الطريق

وكان لابد من صمام امن آخر ...

ولم يكن صمام الامن هذا سوى التنفيس ... التنفيس بالقول ، بالصوت ، بالكلام .. ما دامت الكتابة ممنوعة ، والاعمال الايجابية .. لا يرضى عنها الرجل الاول فى قصر الملك ...

وتم الاتفاق على ان يخوض الضباط معركة من نوع جديد .. معركة لاتجمع فيها ولا تكتل ولا منشورات ، ولا اعتداءات .. معركة ليست بالفردية ، ولا بالجماعية ، وانما هى جماعية الحقيقة فردية المظهر .

ورأت القاهرة ضباط الجيش ، بملابسهم الرسمية ، يختلطون بالناس فرادى ، فى المقاهى والمجتمعات ، وعربات الاوتوبيس والترام .. وساعات الصلاة . . ويثيرون مسائل الحكم ، ويوجهون السباب علنا ، للانجليز ، وللوزارة التى اقامها الانجليز ..



ولم يكن المراد بهذه العملية ، مجرد اثارة الشعور الشعبى ضد الانجليز وضد حكومة النحاس .. ولكن كان الغرض منها اشعار الانجليز والحكومة نفسها ، بان ضباط الجيش قد فاض بهم ، وأنهم قد اصبحوا على استعداد لاى شىء ...

حذاء .. لا قنبلة

وظلت القاهرة تسمع هذا السباب العلنى وترى هذا التحدى السافر من صغار الضباط فترة طويلة من الوقت .. حتى كان حادث ، لم يكتف فيه بطله « الضابط » بكلمات السباب والتجريح ...

كان النحاس ذاهبا لصلاة الجمعة بمسجد الرفاعى ...

وما ان انتهت الصلاة وخرج النحاس ليركب عربته ، الا وتقدم منه ضابط اشاب من السواحل هو أبو شبانة والقى بحذائه على عربة النحاس

ويبدو انه لم يستطع أن يسدد قذيفته جيدا على العربة ، فقد اخطأ الحذاء عربة النحاس ، والتقى بعربة عبد الحميد عبد الحق ...

وثارت ثائرة الحكومة ورجالها .. وظن البعض ان الحذاء يخفى قذيفةمن نوع آخر اشد خطرا وفتكا .. فارتاعت القلوب ، وهلعت الافئدة ، وحوقلت الالسنة ، وبسملت الشفاه . وانتهى الامر بالقبض على الضابط .. صاحب الحذاء ..

... ومحاكمات !

وفى ثوان معدودة ، كان الفريق حمدى سيف النصر « باشا » وزير الحربية ، قد ابلغ بنبأ العدوان الاثيم .. وفى الدقائق التالية ، كان قد توجه الى وزارته ، وجمع هيله وهيلمانه ، وقرر عقد مجلس عسكرى مستعجل لمحاكمة هذا الضابط المقبوض عليه ..

ولاول مرة عقد المجلس العسكرى ، فى الدور الاسفل من وزارةالحربية .. وجىء امامه بالضابط المتهم .. وشرع فى محاكمته على وجه السرعة ، بينما كان حمدى سيف النصر فى غرفة مكتبه ، يستجوب الشهودبنفسه قبل أن يمثلوا امام المجلس ، ويلقى اليهم بتفاصيل ما يشهدون به ، ويهددهم بكل تهديد مستطاع !

وليس امر هذه المحاكمة ، هو ما يهمنا فى هذه الصفحات ، فقد كان الضباط جميعا فى انتظار محاكمات مثلها ، لكل منهم .. وكانت كل كلمة مما كانوا يقولون علنا فى الطرقات والمجتمعات كافية لادانة قائلها ... وسامعيها ! .

ولكنها حادثة من الاحداث ، التى وقعت فى تلك الايام ، نتيجة لعدم اكتمال الوعى السياسى فينا ...

فحقيقة كنا الى ذلك العام ، نأمل كثيرا فى وطنية الملك .. وكنا نصنع كل هذا ، لمقاومة الانجليز فى شخص الحكومة التى فرضوها .

ولكن عاما واحدا لم يكد يمر بنا ، حتى أدركنا أننا كنا على خطأ عظيم .. وحتى تغيرت فكرتنا تغيرا كاملا ، واصبح واضحا امامنا ان كل شخص ممن كنا نعرفهم ، ونعلق الآمال عليهم ، كان يضع مصلحة البلاد تحت كعب حذائه ، وأنهم جميعا كانوا يعملون فى سبيل تقوية نفوذهم ، والوصول الى مقاعد الحكم ، والسيطرة والسلطان ...

حتى الملك المطعون فى قصره ، أدركنا من أمره مالم نكن ندركه ، وما لم نكن نتصور حقيقته ...

وحتى الاحزاب التى لبست اثواب الملائكة ، لم نكن نستطيع ان نتصور مدى القذارة الموغلة فى ابدانها تحت هذه الاثواب البيضاء الناصعة ...

أين الطـريق ؟

الكل سواء ..

الكل يعمل لنفسه ..

الكل لا يهتم بمصلحة البلاد فى شىء ..

الكل على استعداد للبيع .. والتسليم ..

الكل عدو لمصر .. صديق لاعدائها ..

والظلام كثيف

لا امل في الملك .. ولا امل في الاحزاب ..

والامل الوحيد قد يخالج خيالنا في وجوه جديدة مجهولة .. وجوه خرافية تصنعها اوهامنا ، وتتمنى ان نلقاها على مسرح الحياة ..

ولكن .. اين الوجوه . واين مقام هذا الامل ، في عالم الحقيقة ..

هذا مالابد ان نصل الى جواب اليه ..

ولكن كيف تستطيع هذه الوجوه ان تظهر والظلام كثيف ..

لا بد اذن ان ينقشع الظلام ..

ولكن .. كيف ينقشع الظلام ؟

هذا محور التفكير الذى ادى الى تشكيلات كثيرة عسكرية وشعبية .. تتناولها هذه الصفحات ..

دور عزيز المصري في معركة الحرية

- لا آلات ولا أدوات ...
- حقيقة منشورات مصطفى صدقي ..
- قصة اعترافات حسين توفيق ..
- حملة القاويش ...
- ضباط يحلفون يمين الاخوان المسلمين !
- نصيحة العمر ...

عندما يتكاثف الظلام ، وتتعذر الرؤية، ويتخبط الناس في طرقات الحياة ، وتتشعب بهم مسالكها .. يختار الله من عباده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التى تغنى عن البصر ، فاذا هم يتوقفون عند العثرة ، لانهم يتوقعونها ، وان لم ترها منهم الابصار ...

وقد كان الله معنا فى طريقنا الطويل الى هذه الثورة ، فاودعنا البصيرة كلما ادلهمت الظلمة .. وجنب خطواتنا اكثر العثرات ..

وفى طريقنا هذا الطويل ، لمعت امامنا اضواء ، وتبعت اقدامنا اقدام .. ولكن خطواتنا ظلت محتفظة باتزانها وشخصيتها ، واستقلال توجيهها واستطاعت ان تؤكد للجميع ، انها تستطيع ان تلتقى بخطوات الآخرين ، ولكنها لا تستطيع ان ترتبط بها ، لا متبوعة ولا تابعة ، لانها خطوات لا تمضى الا بارادة اصحابها ، واصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة ، مهما افتقدوا الضوء فى الطريق ...

منذ عام١٩٤٢ .. وبعقب حادث ٤ فبراير ببضعة اشهر تقررت هذه الحقيقة ، حقيقة استقلال خطواتنا داخل الجيش عن كل مؤثر خارجي وعن كل قيادة خارجية ..

وكان لهذا القرار ، الذى اصبح تقليدا راسخا لنا بعــد ذلك ، سبب مباشر وظروف

ففى يوم من الايام . توجه المرحوم الشهيد « وجيه خليل » الى عبــد الحكيم عامر وكان يعرفه ويعرف حماسه واتجاه تفكيره ويعرف انهواحد من جماعة الضباط الاحرار يتشاورون دائما فيما ينبغى عمله عقب ذلك الحادث المشئوم ..

ولا شك ان بعضنا كان يرى العنف ويفكر فى القيام بأعمال ارهابيــة واسعة النطاق ... فالارهاب دائما هو اول الحلول التى تتبادر للشباب المتحمس فى ايام المحن القاسية التى تجتاح الوطن ..

ولم تكن هذه الفكرة تجد معارضة كبيرة أو محسوسة من أكثرنا . . بل لقد كان بعضنا يدبر الامر للتنفيذ وكأنها خطة مرسومة لااختلاف عليها

ولم تكن زيارة الشهيد « وجيه خليل » لعبد الحكيم الا صدى لوجود هذا الاتجاه بيننا .. فقــد كان مقصودا بهــذه الزيارة تدبير اغتيــالات متعاقبة واسعة النطاق تشل حركة الانجليز واعوانهم فى تلك الايام العصيبة من أيام الحرب

وانتهت هذه الزيارة والتقى عبد الحكيم بجمال فأنباه بنبئها ..

لا آلات ولا أدوات

وكعادة جمال انصت طويلا الى هذه القصة .. والاسلوب الذى سيتبع فى التنفيذ ، والتمويل الفدائيــين ورعاية اسر من يتعرض منهــم لســوء ، والاستعدادات الموجودة لهذه المعركة التى « سوف » تدور فى الظلام ...

وشيء واحد لم يستطع جمال ان يستخلصه من حديث عبد الحكيم ..

من الذى سيدير هذه المعركة .. وما هى اهدافه منها ..

ولم يكن الشهيد وجيه خليل قد قام بهذا الاتصال باسمه الخاص ولكن باسم جماعة تقف من خلفه هى التى بعثته رسولا الى جمال ..

وقال عبد الحكيم أن وجيه قد احتفظ بما بعد ذلك سرا وان جماعته تريد ان تستعين بنا لما تعرفه عنا من استعداد لخوض معركة من هذا القبيل ..

وقال جمال فى هدوء :

- لا ...

ثم أردف :

قد نرى القيام بحملة ارهابية واغتيالات ، ولكننا عندما نصنع ذلك يجب أن نصنعه بانفسنا ونتحمل وحدنا كل مسئولياته ونتائجه ... فالخط الذى يجب أن نسير عليه كضباط فى الجيش هو الا نكون الآن ولا أدوات فى يد احد من الناس ولا جماعة من الجماعات مهما كانت وحدة أهدافنا ومهما كانت درجة اخلاصهم ..

قال هذا جمال فى عام ١٩٤٢ .. وانتهت بهذا قصة « وجيه خليل » . قبل ان تبدأ ..!

ولكن قصة أخرى لوجيه خليل قد بدأت بعد ذلك .. قصة عظيمة ، مجيدة وهب فيها حياته كاشجع ضابط فى اقدس الميادين ..

فقد انضم وجيه بعد ذلك الى الاحرار وأصبح عنصرا من أهم العناصر فى تشكيلاتهم .. فلما كانت حرب فلسطين كان من أسبق الضباط اليها

وهناك فى الميدان جرح زميل له وكان هو فى مصفحته فهبط ليحمل زميله الجريح .. هبط تحت نيران اليهود ليخر صريعا شهيدا كاشجع مايكون ضابط وكانبل ما يكون انسان

يمين الاخلاص للدعوة

وفى عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ .. فى الفترة التى تتناولها هذه المجموعة من الصفحات ، تكررت الصلات بين الضباط الاحرار وبين تشكيلات كثيرة عسكرية ، ومدنية ... ولكن هذا القرار الذى صدر فى عام ١٩٤٢ . ظل دستورا لهذه المجموعة من الضباط



وادى رفريق من الضباط يمين الولاء للاخوان المسلمين

فى هذه الفترة نشطت جمـــاعة الاخوان المسلمين نشـــاطا كبيرا فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش اليهـــا .. ونشطت نشـــاطا كبيرا فى الاتصال بجمال عبد الناصر ، ومجموعة أصدقائه ..

وليس سرا ان عددا من الضــــباط كانوا قـــد ألفوا دعوة الاخوان ، واحبوها .. ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها ..

وعندما تلتقى ببعضهم اليوم قد يقص عليك قصة ذلك اليوم الذى تم فيه « اختباره » بواسطة الجماعة ، ثم طلب منه أن يذهب الى مكان ما .. لحلف اليمين .

كانوا اذ ذاك يذهبون ليلا ، الى حى الصـــليبة فاذا ما انطوى الحى عليهم ، قادهم رسول الاخوان فى أزقة مظلمة متعرجة .. حتى يصـــلوا الى بيت عتيق .. فيصعدون درجا يؤدى بهم الى غرفة مظلمة ، لا احد فيها ، ولا تفتح نوافذها ..

ويجلس الضابط الى منضدة ، وضع عليها مصحف ، ومسدس .. ثم يدخل الى الغرفة فى الظلام رجل لايراه الجالس ، ويلقنه يمين‌الاخلاص للدعوة ، فيؤدى هذا القسم ويداه موضوعتان على المصحف والمسدس .

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفـــة أولا .. ثم يخرج الضابط ليجد رسول الاخوان الذى جاء به فى انتظاره يقوده مثلما جاء به الى خارج الحى ..

التعـــاون .. لا الانضمام

وكانت الصلة بين الاخوان ، وبين ضباط الجيش ، ضابط هو الصاغ عبد المنعم عبد الرؤوف .. وكان عبد المنعم ، يدعو ضـــــباط الجيش الى الانضـــمام لصـــفوف الاخوان ، ويعرفهم دائمـــا بالصـــــاغ « محمود لبيب » ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة ..

وكان الضباط يرحبون بهذا التعاون .. انهم كانوا يريدون متنفسا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة ، كقوة وطنية مقيـــدة باغلال الحيـــاة العسكرية ...

وكانت كثرة الضباط ترى أن يقوم التعاون دون الانضمام .. فمن

سمات الرجل العسكرى ألا يخضع لأوامر تأتيه عن غير الطريق العسكرى الذى يندرج فيه ..

ولعل اخطاء كثيرة قد وقعت من جماعة الاخوان فى صلتهم بالضباط .. فقد كان الضباط ينضمون الى هذه الجماعة ، أو يتعاونون معها ، وفى يقينهم أن دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب لشباب الاخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى انتظار الفرصة التى تأتيه فداء الوطن ...

ولكن تنظيمات الاخوان ، كانت لاتفرق بين الضباط وغيرهم .. حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب .. فأذا أقبلوا ، وجدوا واحدا من المدنيين ، يعطيهم دروسا فى كيفية استعمال المسدسات .. !

وكانت هذه الاساليب تزعج الضباط ازعاجا شديدا .. فهم يقبلون على الاخوان ، وعلى دعوتهم ، كضباط مدربين ، لا كجماعات فى حاجة الى التدريب .. وهم يشعرون بمرارة وأسى يملآن قلوبهم عندما يجدون الجزاء الوحيد لهم على هذا الاقبال الرضى ، هو أن يعلمهم مدنى ، كيف يستعملون السلاح !

وفوق ذلك ، فلم تكن خطة الاخوان واضحة لهم .. ولم يكن احد يصارحهم بشىء ..

وكانوا يتساءلون .. متى نعمل ، وما هو نوع العمل الذى نعد انفسنا ونعد شباب الاخوان له .. فلا يجابون على سؤال ..

وكانوا يسألون : فما هو المطلوب منا ..

فيقال لهم : ان تثقوا فى قيادة الدعوة .. وان تعملوا مايطلب منكم فى حينه فحسب ...

ولم تكن هذه الفترة قصيرة .. فقد امتدت أكثر من عامين .. وحدثت فى خلالها أحداث ظن هؤلاء الضباط أن كل حدث منها ، سيكون الناقوس ، الذى تصدر على أثره أوامر العمل المطلوب ..

ولكن هذه الاحداث مرت ، بكل رنين النواقيس .. والاخوان فى جمود .. والضباط المنضمون اليهم فى حيرة من أمرهم .. لايعرفون ماذا يصنعون !..

نصيحة العمر

وكضباط لم يكونوا يستطيعون أن يأخذوا انفسهم هذا المأخذ الشديد .. فكانوا يتكلمون فيما يضيقون به من الامر . وكانوا يلجأون الى أصحاب الرأى يسألونهم العون والتوجيه ..

وكان ممن ذهبت اليهم جماعة الضباط المنضمين للاخوان الفريق عزيز المصرى ...

والفريق عزيز المصرى ، طبيعته النزاعة الى التحرر من كل قيد .. وشخصيته المستقلة دائما وطريقته فى تربية ضباطه وابنائه على الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية ، والعمل بالارادة ..

ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا الى الفريق عزيز المصرى ، انه قال لهم « كونوا اخوانا اذا شئتم .. ولكن لاتقفوا عند هذا الحد » ..

ولما سألوه عما يصنعون اجابهم :

ـ اقرأوا .. اقرأوا كل كتاب .. اقرأوا فى السياسة ومذاهبها .. والاقتصاد وفنونه ، والاجتماع وأبوابه .. اقرأوا وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء لا لكى يهمل ويهال عليه التراب ..

إقرأوا .. ثم اضربوا فى الارض . واعرفوا الناس ، وجربوا بانفسكم كل شىء .. ولا تتقيدوا بدعوة ، ولا بزعيم .. ولاتربطوا أنفسكم برأى ، قد ترون غيره غدا اذا ما استنارت بالعلم رؤوسكم ..

ينضمون للاحرار

هذه كانت نصيحة عزيز المصرى للضباط الذين ذهبوا اليه فى تلك الايام ...

وقد ظل هؤلاء الضباط على صلتهم بدعوة الاخوان ، ولكنهم جميعا أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد .. وبداوا يقراون ..

ومن هؤلاء عدد من الضباط الذين يفخر بهم جيش مصر .. لانهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين ، وبين ضوء العلم ، وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها ..

وكل هؤلاء قد انضموا الى الاحرار بمجرد تكوينهم على النحو الذى سنفصله فى هذه الصفحات ..

وفى خضم تلك الايام العصيبة من أعوام ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ .. حدثت أحداث أخرى من تشكيلات أخرى .. بعضها مدنى .. وبعضها عسكرى ..

منشورات مصطفى صدقى

وكان أول هذه الاحداث ، هو حادث التدبير للاعتـداء على الفريق ابراهيم عطا الله .. الذى اتهم فيه اليوزباشى مصطفى صدقى وزملاؤه

وكان مصطفى كمال صدقى قد كون مجموعة من العسكريين ، أكثرهم من ضباط الصف .. تهدف الى تطهير الجيش من رؤسائه الجهلاء .. وكان اسم الفريق ابراهيم عطا الله فى راس القائمة التى فكر مصطفى كمال صدقى وجماعته فى التخلص منهم ..

وكان مصطفى كمال صدقى ضابطا فى ادارة المخـابرات فى الجيش فاختار فى مجموعته عددا من صولات الادارة .. وأخذ يعـد المنشورات ويطبعها داخل الادارة ، وبآلاتها ، ظنا منه ان هذه الوسيلة هى أسـلم الوسائل لـكى لا ينكشف أمر مجموعته ..

ولـكن تقديره لم يكن سليما .. فقد ضبطت المنشورات .. وضبطت قائمة فى داخل ادارة المخابرات تحوى اسماء ثلاثة وعشرين ضـابطا .. وصـولا ..

والقى القبض على الجميع ، وتقرر حبسهم وتقديمهم الى المحاكمة .

حيـلة من القاويش

وكان الحادث الثانى الذى أحدث دويا فى البلاد هو حادث اغتيـال أمين عثمان .. وقد قام بهذا الحادث تشكيل فدائى خارج الجيش ..

وكان متفقا عند تقريره ، الا يبوح القاتل اذا قبض عليه بأى شىء أو اى اسم من اسماء اخوانه ..

وكان حسين توفيق ، هو الذى تقدم فى اللحظة الاخيرة واصر على أن يوكل اليه امر التنفيذ .. وعندما قبض عليـــه ، ظل مصرا على عـــدم الاعتراف ، حتى استطاع كامل القاويش أن يلعب بأعصابه ، بقصة مختلقة ، ان دلت على شىء فعلى ذكاء القاويش وادراكه الصحيح لنفسيات من يقوم بالتحقيق معهم . . .

فقد أدرك القاويش أن حسين توفيق قد قام بهذا العمل ، كعمل من أعمال البطولة يذكره له التاريخ .. فاراد أن يطعنه فى حلمه العزيز طعنة دامية ، تجعله ينسى عهده للجماعة ، ويبوح بكل شىء ..

وذهب القاويش الى أحدى الصحف الكبيرة ، واملى عليهـا خبرا مؤداه ان التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لاسباب نسائية .. وجعل فى الخبر تلميحا الى قيام صلة بين أمين عثمان وبين سيدة عزيزة جدا .. على القاتل حسين توفيق ..

وفى الصباح دعا القاويش القاتل الى مكتبه .. واطلعه على هـــذا الخبر ..

وجن جنون حسين توفيق ..

لقد قتل أمين عثمان ، وفى يقينه انه يعمل عملا من أعمـــال البطولة الوطنية .. فكيف يقبل أن تذهب كل هذه البطولة هبـاء .. وان تلوث أيضا سمعة أسرته ، وسمعة أعز النساء عليه ..

وانفجر يعترف .. يعترف بالجمـــاعة التى دبرت هـــذا الحادث ، واسماء اعضائها ، وأهدافهم ، ومكان اجتماعاتهم ، وتفاصيل ما يملـكون من أسلحة .. اعترف بكل شىء ..

وكنت بين من شملتهم اعترافات حسين توفيق ، فألقى القبض على وشاركته السجن واحدا وثلاثين شهرا ، حتى برأنى القضاء ..

سياسة جمال

وهكذا ...

كانت هذه الفترة فترة نشاط كثير .. نشاط من الاخوان كجماعة منظمة .. ونشاط فى داخل الجيش أو الوان من النشاط فى داخل الجيش ، واتصالات بالفريق عزيز المصرى .. وتدبيرات عنيفة واغتيالات ..

وكان لجمال عبد الناصر راى فى كل هذا ..

فيوم طلب منه عبد المنعم عبد الرؤوف أن تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الاخوان . . رحب بقيام هذه الصلة .. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة ، وتفكيرها الخاص ..

ويوم وقع حادث الفريق ابراهيم عطا الله قرر معاونة جميع المقبوض عليهم من الضباط وضباط الصف ، فقام هو ومجموعة أصدقائه بجمع الاشتراكات ودفع مرتبات المقبوض عليهم جميعا طيلة فترة ايقافهم ..

وحدث أن علمت ادارة الجيش بهذا الصنيع فأصدرت أمرها بمنع الاتصال بهؤلاء الضباط ، ومنع القيام بأية معاونة لهم .. ولكن جمال وأصدقاءه رفضوا هذه الاوامر ، وتحدوها علنا وواصلوا العمل لمعاونة المعتقلين ..

وقد ظنت هذه الجماعة يوم خرجت من الاعتقال ، أن هذا الموقف من جمال معناه رضاؤه عن العمل معها .. ولكن جمال رفض ذلك عندما عرض عليه .. وقررت المجموعة عدم التعاون مع هذه الجماعة ، لانها تضم أفرادا أكثرهم يتصف بالعبث وعدم المبالاة وحب الشهرة ، وعدم التقدير لحقيقة العمل ، الذى يريدون عمله ..

أما لماذا قام بمعاونتهم .. فقد قام بذلك ، لانه راى اشعار الرؤساء فى الجيش ، بان هذا الراى الذى راته فيهم جماعة مصطفى صدقى .. يمكن جدا أن يكون رأى الجميع !

ويوم قام التشكيل الفدائى باغتيال امين عثمان ، ظلت المجموعة على صلة بى ، حتى أعدت خطة لتهريبى من السجن ..

وهكذا كانت تقاليد المجموعة قـد بدأت تتخذ صـــورا واضحة في مواقف متعددة ..

وكان اهم هذه التقاليد ، هو أن تظل الجماعة قائمة بنفسها ، عاملة بارادتها ، محددة لخطواتها ..

وفي كلمتين اثنتين ..

الا تكون آلة ، ولا أداة في اى يد

اما وسائلها .. فقد تطورت ..

تطورت من صداقة تجمع الضباط ، الى تشكيل له نظام وأدوات ..

وتطورت من السرية .. الى العلنية الى السرية مرة أخرى .. وكان لكل مرحلة من هذه المراحل ظروفهـــا واسبابها وغاياتهـــا الوقتيـــة المحددة أيضا ..

وظلت الجماعة تسير .. خطوة خطوة .. نحو اعداد كبير ... القواعد التى قامت عليها حركة الاحرار

القواعد التي قامت عليها حركة الأحرار

- العمل الجماعي وحده هو الطريق إلى النجاح
- النقراشي يهاجم الإنجليز ويضرب الشعب!
- أهداف ... وهدف ...
- الإخوان المسلمين يهادنون صدقي ..
- لا بد من قيادة ..
- مصابيح في الطريق ...

ان السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة ، راجع الى الروح التى سادت فى التمهيد لها ..

فقــد يجتمع النــاس حول مبادىء ، حول نظريات يقرءونها ، ويعتنقونها ، أو افــكار يبشر بها دعاتها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبــادىء والنظريات ، والافكار غايته ، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته ، وما بعد الذروة أيضا ان صح هــذا القول ..

ولــكن هــذه المبادىء ، والنظريات ، قــد تتعرض للجدل ، فتتعرض الجماعة للانقسام .. وقد يتفــاقم الجدل ، فينحرف عن الآراء الى أصحابها ، وتبرز الاشخاص ، وتختفى الآراء.. وتتلاعب أهواء النفوس .. ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه .. !

حدث هذا كثيرا .. حدث فى مصر ، وحدث فى غير مصر .. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور ، لان مجادلات قامت بين قادتها ، أورثتهم التفــكك والتحزب ، وفتحت الثغرات بينهم لمطامع النفوس واهوائها ..

ولست اكتب هذا غضا من قيمة المبــادىء والنظريات فما استحق الحيــاة من لا مبدأ له يعيش من أجــله ... ولــكننى فقط أرى أن المبادىء وحدها لاتكفى ، لان الرباط الذى يربط العقول ، لا يستطيع دائما ان يربط القلوب ، وان يذيب الهوى ، ويقتل الاطماع ..

ولذلك أرجع الفضل فى نجاح هذه الثورة ، وعـدم انـكشاف امر مدبريها والممهدين لها .. الى شىء أهم كثيرا من المبـادىء التى قامت عليها ، وقامت من اجلها .. الى الصداقةالعزيزة الوثيقة ، التى ربطتبين كل من شارك فيها ، صغيرا كان أم كبيرا ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضـباط الاحرار قبيل الثورة على الالف ضـابط ، فلا يوجـد بينهم خائن ، ولا وجل ولا ثرثار ؟! ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة ، أن تقوم الثورة فعلا ، وتنجح ، فلا يعرف من الاحرار الا هذا العدد الضئيل ، الذى ألزمته ظروفالثورة ان يظهر بوجهه على مسرح الاحداث ، وأن يتحمل بنفسه مسئوليـات العمل الـكبير ؟! ..

انها الصداقة فقط .. الصداقة التى استطاعت ان تحوط مبـادىء الثورة بسياجها المتين ، وان تحمى النفوس من نزواتها .. لانهـا احتلت من كل قلب منزل الاطماع ..

وبهذا الدستور .. دستور الصداقة .. بدأ التكوين الفعلى للاحرار فى عام ١٩٤٤ ..

اجتمـاعات

كانوا قد أصبحوا جماعة من الاصـدقاء .. جماعة صغيرة عرف بعضها بعضا فى ظروف كثيرة مختلفة .. وقربت بينهم صـداقة أثيرة واعيـة ..

ومنهم من عرفه النـاس فى مجلس الثـورة بعد ذلك .. ومنهم من لا يزال بنصيبه من العمل فى وحدته أو سـلاحه أو الادارة التى ينمى اليـها ..

كان منهم مثلا ، جمال عبد الناصر ..

وكان منهم طلعت خيرى وعبد المجيد فؤاد من سـلاح المدفعية .. وكان منهم عثمان نورى من ضـباط المخابرات وكان منهم كمال الدين حسين .. وكان منهم حسين حموده .. وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

وكان معهم آخرون ايضا .. فلست أذكر الاسماء هنا على سبيل الحصر .. فقد كان معهم مثلا الصاغ خالد محيى الدين،وكانوا يجتمعون أحيانا فى بيته بشارع الخليج بالحلمية .. كما كانوا يجتمعون فى بيت جمال الذى كان يقع عند تقاطع شارع الملك مع شارع الملكة نازلى .. وأحيانا ، كانوا يجتمعون فى بيت عثمان نورى بشارع جسر السويس بضاحية مصر الجديدة .. وأحيانا فى بيت حسين حموده بمنشية البكرى

رأى عام

اصدقاء متفاهمون .. يريدون أن يعملوا شيئا ..

ويستعرض هؤلاء الاصدقاء حالة البلاد .. فيخرجون بعدد من الحقائق التى يجب أن يحسب لكل منها حسابها ..

يستعرضون حالة الجيش ، فاذا هى حالة أليمة غير مشجعة .. فلم يكن لضباط الجيش اذ ذاك رأى عام .. ولو فرض أن كل ضابط صغير كان اذ ذاك ساخطا فى نفسه .. فان هذا السخط لايمكن أن يؤدى الى نتيجة عملية ، ما لم يصبح سخطا عاما ، محدد الاسباب ، دافعا الى التكتل والعمل ..

فالمشكلة الاولى اذن ، هى مشكلة خلق رأى عام واع بين ضباط الجيش ، حتى يستطيع هذا الرأى العام ان يحرك الجيش كله نحو هدف واحد ، بصورة منظمة منسقة تؤتى ثمارها ..

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة ، ماسبق من احداث خلال الفترة الاولى من أيام الحرب .. فقد كنا اذ ذاك نعمل .. ولكننا كنا نعمل اعتمادا على انفسنا ، لا على رأى عام موحد بين الضباط .. ولذلك كانت أعمالنا فردية ، أو شبه فردية .. وقد تأكد لهذه المجموعة الا جدوى هناك من أى عمل فردى .. وأن العمل يجب أن يكون عملا جماعيا كبيرا يأتى نتيجة لرأى عام يجمع الضباط ..

الجيش والشعب

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها .. هى مشكلة انعزال الجيش عن الشعب ، وتسخيره دائما ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد ..

فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله .. عبء الثورة بعد الثورة .. عبء التضحيات الجسيمة والاستشهاد برصاص السلطات المصرية والانجليزية أيضا ..

وكان الجيش .. الجيش المصرى .. هو القوة الخارقة التى يحسب الشعب حسابها ، كلما فكر فى الثورة من أجل تحقيق أهدافه ..

كانت هذه هى صورة الجيش فى نظر الشعب .. أو كان هذا هو الوضع المتعارف عليه .. ولم يحدث أبدا أن حاول الجيش ازالة هذه الفرقة بينه وبين الشعب ، لا لأن ضباط الجيش كانوا يكرهون ذلك ، ولكن لانهم كانوا منصرفين عنه انصرافا غير واع .. اى أنهم كانوا مستسلمين للامر الواقع المتعارف عليه ..

وكانت هذه المجموعة ترى ان الشعب الذى تحمل حتى اليوم كل التبعات والتضحيات ينبغى ان يطمئن الى جانب جيشه .. وأن يدرك أن هذا الجيش معه لا عليه .. وعلى الاقل ، أن يدرك أن هذا الجيش ، ان لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعه ، فلن يكون عليه بحكم مصريته ..

أهداف .. وهدف

واستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى ..

خطة لها أهداف صغيرة يتبع بعضها بعضا .. ولها هدف كبير وغاية ، يجب أن تصل اليها مهما بعدت الشقة وطال المدى ..

وأصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الايام ، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى :

*** خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش .**

*** اشعار الضباط أن عليهم مسئولية كمواطنين ، لاتقل عن مسئولية افراد الشعب العاديين .**

*** التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم الى أن يكون للجيش نفسه دور فى عملية انقاذ البلاد ، أوأن يكون على الاقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة ، بحيث لايشترك فى تسديد الضربات الى الشعب اذا تقدم أحد لحمل تبعة الانقاذ ..**

اما الهدف البعيد من كل هذا فهو الوصول باى صورة من الصور الى تغيير النظام الملكى القائم فى البلاد .

لا سرية ..

وبدات المجموعة بعد ذلك تسير الى هذه الاهداف وفق نظام معين ايضا تم الاتفاق عليه ..

فقد تم الاتفاق مثلا على نبــذ السرية نبذا تاما فى هـذه المرحلة من مراحل الدعوة ..

فان السرية توحى بالتآمر ، وتنذر بالخطورة ولا تستطيع ان تجمــع الانصار بسهولة ، لان عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الامر .

فلتكن العلنية اذن هى الوسيلة .. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها ، واختيار الاشخاص الذين يبدو اخلاصهم وقدرتهم على العمل دون اثارة لغط أو شكوك فى صفوف الضباط أو فى الاوساط الحاكمة ..

وكانت هذه هى الخطوة الاولى .. فقــد اثبتت هــذه المجموعة بين جماعات الاصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشـــاكل الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. الداخلية والخارجية ..

وبدات هذه المناقشات العلنية تستهوى الضباط الشبان المتحمسين .. وتملا حياتهم بشىء جديد يعطيها قيمة اكثر .. فقد كانت حيـــاة ضباط الجيش حتى ذلك الوقت حياة خاوية الا من النظريات العسكرية التى يدرسها والتدريبات التى يقوم بها ، ومشـــــاكله الفردية الجدية أو العابثة على حد سواء ..

وانتشرت هذه الاجتماعات المفكرة .. أو انتشرت هذه المنـــاقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة ..

لابد من قيــادة

وبدات بواكير النجاح تظهر سريعا ..

فقد بدات تسمع نفس المناقشات هنا ، وهنــاك .. وبدات ترى الضباط يلتقون، فاذا هم متفقون فى السخط، متفقون فى الشعور بحاجات الوطن ، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من اجل انقاذه ..

ومعنى هذا أن الرأىالعام قد بدأ يتكون .. وأن عقبةكبيرة من عقبات الطريق ، قد أخذت تزول ..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه .. فقد كان واضحا أن هذا السخط عندما ينمو ، يمكن أن يكون خطرا كبيرا ، اذا لم يصحبه توجيه سديد ..

فقد تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر وبين يوم وآخر من تلك الايام العصيبة السوداء .. واذا بالساخطين ينفجرون فرادى .. أو ينفجرون دونوعى ، فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها .

وقد تستطيع بعض الهيئات أو الجماعات ، اذ تشعر بهـــذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش ، أن تحاول ضمهم اليـها بصورة أو بأخرى .. وعنـــدئذ تفلت من الجيش قيادته ، الى أيد قد لا تحســن التوجيه ..

وعادت المجموعة تتفق على اساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح :

***العمل على الا يتاثر الضباط بالاحداث الجـارية اى تاثر يدفعهم فرادى او جماعات على القيام باى عمل دون وعى أساسى ، ودون خطـة حكيمة مرسومة ..**

*** والعمل على أن يحتفظ ضـــباط الجيش باستقلال تفكيرهم ، فلا يرتبطون كافراد ،أو كجماعات باية هيئة اوحزب خارج نطاق الجيش لأنالجيش عنصر خطير يجب انيظل توجيهه فى الايدى القادرة علىتقدير خطره ، فلا يكون أداة فى يد احد أو جماعة من الناس ..**

تجمعـــات

وكان لابدلضمان هذين العنصرين مننشاط منظم تسيطر علىتوجيهه المجموعة بنفسها ..

ويوما بعد يوم ، وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا ، وفى نطـاق واسع ، وعلى أساس الصداقة ايضا ..

وعن طريق هاتين الحركتين ، بثت الافكار ، وحذر الضباط من التأثر

بالحوادث تأثرا فرديا ومن الارتبـــاط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش ..

وبدأت هاتان الفـــكرتان ترسخان فى نفوس الضباط .. واصبحتا جزءا لايتجزأ من الرأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الأسلحة

واطمأنت المجموعة الى انالجيش لن يقوم بأى عملاخرق أو احمق.. وان الضباط سيظلون بمنأى عن التأثر الفردى..وانهم لن يعملوا الاجبهة واحدة منظمة ..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضـــباط الجيش ، ولا نسبة كبيرة منهم ..

فقد كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لاتضر ولا تفيد ، والتى لايمكن الاعتماد عليها فى اى شىء ..

وكانت فى الجيش عناصر اخرى مستقلة عن هذا التكوين ، كجماعة مصطفى صدقى التى رفضت جماعتنا التعاون معها ..

وكانت فى الجيش عناصر انتهازية ، لم يكن من الصعب تحديدها ، واتقاء خطرها ..

وفى ظلال هذه الاجتماعات العلنية ، والمناقشات المخلصـــة ، والوعى الذى بدأ ينمو ، تكونت الصداقة القوية بين الضباط .. التى كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ ... وظلت سياجها حتى اليوم ..

ومثلما كان من المستحيل الوصول الى السيطرة الكاملة على جميـــع ضباط الجيش وعناصره ، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالاحداث الجارية فى البلاد .. ولكن المبدأ الذى اتفقت المجموعة عليه ، منذ البدء .. وهو الا يؤدى هذا التأثر فى اى عمـــل فردى ، قد ظل سائدا طول الوقت .. وكان تأثر الضباط بالاحداث ، عاملا مســـاعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد ، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا وضوح الشمس ..

الاخوان وصدقى

ففى فبراير ١٩٤٦ ـ مثلا ـ وقعت حوادث الجامعة المشهورة ، فاثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية ، وحقدهم على السلطة الحاكمة والمستعمرين ..

وفى خلال الايام التى تلت هذه الحركة ، وقعت المهادنة بين صدقى وجماعة الاخوان المسلمين .. فأيدت هذه المهادنة دعوتنا الى عدم الارتباط باية جماعة خارج نطاق الجيش ، اذ وضح فى أثنائها التناقض بين ضباط الجيش الذين كانوا ـ كأفراد ـ على صلة بالاخوان المسلمين ، وبين جماعة الاخوان كجماعة لها سياستها التى أوحت لها فى ظرف من الظروف أن تهادن حكومة صدقى ضد حركة الشعب ..

.. ثم الوفد

وعندما ذهب النقراشى الى مجلس الامن يعرض قضية مصر .. قوبلت الطريقة التى هاجم بها الانجليز هناك باعجاب شديد فى صفوف الضباط جميعا .. وفى الوقت نفسه ، كشف النحاس عن وجه غير وطنى عندما ارسل برقيته المشهورة الى سكرتير الامم المتحدة يعلن فيها أن النقراشى لايمثل شعب مصر .. فى وقت كان النقراشى فيه يهاجم الانجليز .

ولعل هذين الموقفين قد أحدثا مقارنات كثيرة بين موقف النحاس وموقف النقراشى ، فقد كان شعور الاعجاب بالنقراشى فى موقفه ، يقابله شعور الاشمئزاز من النحاس فى موقفه ..

ولكن عودة النقراشى من مجلس الامن ، واعماله التى تبعت ذلك لقمع الحركة الشعبية بالحديد والنار ، قد بعث فى الضباط الشعور باليأس من كل الرجال .. وسوت بينه وبين غيره من الذين تشدقوا بالوطنية وخانوا قضية الوطن ..

مصابيح فى الطـــريق

هذه الاحداث بالذات ..

حادث الكبارى ، وحادث المهادنة بين الاخوان وبين صدقى ، وحادث برقية النحاس ، وحادث قمع الحركة الشعبية على يد النقراشى .. قد كان يمكن ان تؤدى جميعا ، او ان يؤدى اى حادث منها الى انفجار فردى أو جماعى من ضباط الجيش على غير وعى ، أو تنظيم سليم ..

ولكن المبدا الذى كان قد ساد الضباط وشاع بينهم ، جعل من هذه الأحداث مجرد مصابيح تضىء لهم طريق العمل القادم ، وتزيد من وعيهم الحقيقى بما يجرى فى البلاد ، وبالدور الذى يجب أن يقوموا به ..

ومع الايام التى تمر .. بدات المرحلة الثانية ، مرحلة التنظيم والتكوين .. بعد أن اطمانت المجموعة الى المرحلة الاولى .. مرحلة اشاعة الوعى ، وتكوين الصـداقات ..

التفاصيل في تكوين

تشكيل سري داخل الجيش

- كيف أتيح للضباط التطوع في حرب فلسطين؟
- حرب فلسطين تزيد سخط الأحرار..
- تزوير قسائم العهدة.. والحرب بالبنادق فقط!
- الإخوان والمفتي والجامعة العربية..
- خطابات وحماس...
- مساعدة في الطريق...

كانت الروح التى سادت الجيش قد بدأت تبشر بنجاح عظيم خلال الاحداث الكثيرة المتعاقبة فى عامى ١٩٤٦ — ١٩٤٧ .

فقد ازدادت جماعات الساخطين بصورة ملحوظة وانتفت السلبية انتفاء يكاد يكون كاملا .. وادرك الضباط ادراكا كاملا أنهم على وشك أن يخوضوا معركة من اجل الخلاص .. خلاص الشعب وخلاص الجيش الذى ينبت من صميمه ..

وشعر الحكام .. الملك الطاغية ، والقواد ((العظام)) والسياسيون ، بعدوى السخط التى بدأت تنتشر فى صفوف الضباط .. وخيل اليهم أن ((المصل الواقى)) من وباء السخط يكمن فى خزائن الدولة ، وانهم اذا استطاعوا أن يحقنوا بهذا المصل جيوب الضباط لأمكنهم أن يعيدوهم الى السلبية المطلقة التى كانت قد اصبحت من تقاليد الجيش المصرى الراسخة دهرا طويلا ..

وكانت السلبية هى كل ما يأملون فيه ، ليستطيعوا عن طريقها عزل الجيش عن معارك الشعب ، وتسخيره فى الوقت المناسب لالهاب ظهره ..

وبدأت ترقيات الضباط تنشر فى الصحف متتابعة متلاحقة .. كوسيلة لارضائهم من جانب ولايقاع الفرقة بينهم وبين طوائف الشعب المأزومة من الجانب الاخر ..

ولكن حسابهم كان مليئا بالاخطاء الجسيمة .. والخطأ الاول والاكبر فيه ، هو ان الروح الوطنية عندما تستيقظ ، يصعب تخديرها .. وان الاغداق المفتعل يكشف بنفسه عن دوافعه ويصبح عاملا من عوامل اشاعة السخط لا اشاعة الرضى ..

وفى الوقت نفسه . كانت الاحداث تتلاحق .. وكانت احداثا جسيمة كشفت الغطاء عن كل شىء ، وبدأت تجرف الضباط جرفا .. نحو المعركة ..

تحول الى العمل السرى

فى ذلك الوقت كانت حلقات الساخطين ، تضم كل منـــها خمسين ضابطا على وجه التقريب .

وكانت الاسلحة جميعا ممثلة فى هذه الحلقات ، والصداقة القوية تربط بين أفرادها ، من مختلف الاسلحة ، ومختلف الرتب التى لم تكن قد تجاوزت رتبة الصاغ فى ذلك الوقت ..

ورأت المجموعة أن تبـدأ تنظيمها بداية تدريجية .. فلا تنتقل من الاجتماعات العلنية الى العمل السرى دفعة واحدة .. وانما تتدرج الى ذلك ، حتى يصبح واقعا طبيعيا تؤمن عواقب السير فى طرقاته ..

فقدكان رأى المجموعة قد استقر فعلا على تكوين جهاز سرى فىداخل الجيش يناط به الاعداد للعمل الكبير ، والقيام بهذا العمل أيضا فى اللحظة المناسبة ، مطمئنا الى تأييد الضباط جميعا فى المرحلة الحاسمة ، بعد ان اشتعلت فىقلوبهم شرارة السخط ، ونما الوعى الشعبى فيهم ، كأفراد .. وكجماعات ..

وكان اختيار أعضاء هذا الجهاز السرى ، يحتاج الى دقة ، ووقت غير قصير .. خصوصا وانه لم يكن من تقاليد هذه المجموعة ، أن تركن الى اساليب الاختبارات المفتعلة التى تركن اليها الجمعيات السرية على اختلافها كما لم يكن من تقاليدها الاعتماد على حلف يمين أيا كان شأنه .. وانمـا الاعتماد ـ فقط ـ على الاخلاص الواعى المقترن بالصداقة الكاملة .. وبدأ التدرج الى الهبوط ـ تحت الارض ـ والايذان ببدء العمل السرى يأخذ طريقه هادئا حتى لايشعر الضباط بأن هناك حركة غير عادية ، أوعمليات فصل بين الجهاز السرى وبين جموعهم الساخطة .

اشتراكات .. ومنشورات

وكانت الخطوة الاولى فيه ، هى اقتراح جمع اشتراكات من الحلقات الساخطة جميعا ..

وفهم الضباط من هذا الاقتراح ان هناك اتجاها الى عمل .. فعنـد

مناقشة الاقتراح ، وتعليل اسبابه .. ذكر احتمال اللجوء الى طبع منشورات .. واحتمال ايقاع الحكومة لونا من الاذى ببعض الضباط ، وانه يجب ان يكون لدى « الضباط » لا لدى « المجموعة » قدر من المال ينفق منه على المنشورات ، وعلى معاونة الضباط الذين يمكن أن يصيبهم الاذى من جراء هذه الاعمال ، واعالة أسرهم اذا أصابهم شر ..

وفى الوقت نفسه .. نوقشت جبهة الاعداء .. وحددت تحديدا واضحا ، بأنها مكونة من الاستعمار .. والملك .. والاحزاب السياسية جميعا ..

وادرك كل ضابط انه مشترك اشتراكا فعليا فى محاربة هذه الجبهة .. فسهل بعد ذلك انشاء التنظيم السرى ، فى مأمن من الفضول ، لقد كان كل ضابط بعد ذلك يعتقد انه واحد من التنظيم السرى ، ولا يفكر فى اكتشاف أمر ، يعتبر اكتشافه خطرا داهما على الحركة كلها .. وعلى المشتركين فيها ، وعلى البلاد ..

فلسطين ..

وبينما كانت المجموعة تدبر أمر البدء فى التشكيل السرى .. جاءت الاحداث ، تؤجل هذه الخطوة وتحول اتجاه السخط الى ناحية اخرى ، لم تلبث ان كانت حجر الزاوية فى تهيئة الجو لنجاح هذه الثورة ..

فقد اقبل عام ١٩٤٨ .. واقبلت معه احداث فلسطين .. اوبصوره عامة .. حرب فلسطين ..

والقراء يذكرون كيف التهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح .. وكيف قرر الشباب العربى فى مختلف البلاد خوض الحرب المقدسة ، دفاعا عن العروبة فى أعز ديارها ..

وفى الايام الاولى لهذه الاحداث ، لم يكن قد تقرر ان يخوض الجيش هذه المعركة .. ولكن الحكومة كانت فى موقف لاتستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب ، من خوض هذه الحرب كمتطوعين ..

وكانت اكثر الجماعات فى ذلك الوقت تحمسا للتطوع والقتال ، هى جماعة الاخوان المسلمين ..

وكانت المجموعة ترى من واجبها تدريب الشبان الذين يتطوعون للقتال ، والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة .

الاخوان . . والمفتى . . والجامعة العربية

وبدات فى تلك الفترة صلات جديدة مع جماعة الاخوان .. صلات بين ضباط المجموعة ، وبين قيادة الجماعة ..

فقد عقدت اجتماعات فى بيت المرحوم حسن البنا ، ضمت جمال عبد الناصر ، وكان اذ ذاك فى كلية اركان الحرب ، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية ، وبعض الضباط المنتمين للاخوان ..

وفى نفس الوقت نشأت صلات بين المجموعة وبين الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين .. وبين المجموعة وبين الجامعة العربية ..

وكان هدف المجموعة من هذه الصلات جميعا ، هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة ، وتدريبها واعدادها اعدادا كاملا بكل ماتحتاج اليه من خبرة ومن سلاح ، قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة ..

وكان الاخوان يقولون انهم مستعدون الى أقصى الحدود ، وانهم لاينقصهم شىء سوى السماح لهم بالسفر الى ميدان المعركة ..

وكان المفتى والجامعة العربية الى جانبه ، يكونان تشكيلات من المتطوعين ، وقد أعلنت الجامعة انها على استعداد لتسليحهم والانفاق عليهم ..

الاستيداع أو الاستقالة

وبقى دور الضباط .. فقد كان الضباط لايستطيعون الاشتراك فى الحرب الا اذا اعلنت الحرب من الدولة اعلانا رسميا ، واشترك الجيش فيها ، ولم يكن قد تقرر بعد اعلان الحرب ..

ولذلك فكر الضباط فى الخروج من الجيش ، والاشتراك فى الحرب كمتطوعين ..

وبدأت الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة ، ومن عدد كبير من الضباط الآخرين .. وكانوا يكتبون فى طلباتهم ، انهم

مستعدون لتقديم استقالاتهم ، أو طلبات الاحالة الى الاستيداع ، على أن تتركهم الحكومة يذهبون الى الميدان باسلحتهم ..

وكانت الحكومة مترددة فى ذلك أشد التردد ، مما أوجد الضباط فى حالة من الغضب ، وزاد من حدة السخط فى قلوبهم ..

ولكن ضغط الحوادث كان قاسيا وخطيرا .. وشعرت الحكومة بانها لابد أن تعمل عملا .. واقتربت اللحظات الحاسمة ، معازدياد فظائع اليهود يوما بعد يوم ..

قبـــول التطـوع

وفكرت الحكومة فى أن ترسل جماعة من ضباط سلاح المهندسين الى فلسطين ، ليقوموا ببعض الاعمال الاستكشافية .. ووجدت أن خير وسيلة لذلك ، هى أن تقبل ما كان الضباط يطالبون به من اباحة احالتهم الى الاستيداع أو قبول استقالاتهم ، وتركهم للذهاب الى الميدانباسلحتهم كمتطوعين ..

وفوجىء الضباط باشارات تأتيهملمقابلة الفريق عثمانالمهدى (باشا) رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت ..

ولبى الضباط الاشارة ، وفى مكتب رئيس أركان الحرب ، وجدوا الفقيد احمد عبد العزيز .. وأخبرهم الفريق عثمان المهدى ، ان طلباتهم قد قبلت ، وانهم يستطيعون اعداد انفسهم للتطوع للقتال ..

٤ قـطاعــات

كانت الجامعة العربية اذ ذاك قد بدات تنظم تشكيلاتها بالاشتراك مع مفتى فلسطين ، وكان قد تقرر تقسيم فلسطين الى أربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان ، على أن تخضع القيادات الاربع للجنة العسكرية التى جعل مقرها دمشق ، ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب .

وكان القطاع المصرى فى فلسطين هو قطاع الجنوب ، وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبد الواحد سبل .

وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل .. فقد كان الفريق

ابراهيم عطا الله قد أخرجه من الجيش .. فأقام الضباط له حفلة تكريم فى نادى الضباط . لا لتكريمه فعلا ولكن تحديا لابراهيم عطا الله ..

وكان مع اللواء سبل ، ضابط مخابرات هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وقد سافر سبل الى فلسطين مع متطوعى الجامعة العربية والمفتى .. ولكنه لم يمكث هناك طويلا ، فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته .. ثم عاد هو ، ولم يرجع مرة أخرى الى الميدان .

استعداد ..

وكان الضباط المتطوعون فى تلك الايام يعدون انفسهم للسفر .. يعدون أنفسهم بالسلاح ، وتدريب الجنود الذين سيحاربون تحت أمرتهم . فلما عين المرحوم احمد عبد العزيز قائدا لقوات المتطوعين فى فلسطين ، ذهبت المجموعة معه الى منزل اللواء سليمان عبد الواحد سبل لتحصل منه على معلومات عن الجبهة ..

وكان مؤسفا ، انها لم تستطع الحصول على أية معلومات ذات قيمة عسكرية ..

ومضى الضباط يواصلون استعداداتهم ..

وكان أقسى ما يواجههم هى عمليات الاستعداد .. فللاسف الشديد كانت ظروف الاعداد قاسية موئسة لاى ضابط ، مثبطة للهمم ، قاتلة للارواح ..

بنادق فقط !

كانت الحكومة مثلا تريد من الضباط والجنود ان يسافروا الى ميدان القتال غير مزودين الا بالبنادق !

وكان الضباط يحاولون اقناع المسئولين بأن البنادق وحدها لاتكفى وان السفر بغير مدافع ، يعتبر انتحارا ، أو يعتبر مهزلة يدفع المتطوعون ثمنها من أرواحهم .. ولكن الحكومة لم تكن تتحرك لصرخاتهم ..

وبدات الايام تمر ، ومع مرورها بدأ اليأس يخيم على النفوس ، حتى لقد عاد كثير من الضباط فى قرار التطوع ، ورجعوا الى خدمة الجيش بعد ان كانوا قد قطعوا شوطا فى استعداداتهم ..

واى ضابط يسمح لنفسه ان يذهب الى القتال .. ومعه بندقية ، وليس مع جنوده سوى البنادق .. والميدان ميدان حرب حديثة لم يكن أحد يشك فى أنها حرب ضد عدو مجهز بأحدث وسائل القتال ..

واخيرا .. وبعد جهود طائلة سمحت الحكومة للمتطوعين بأن يأخذوا معهم عددا من المدافع .. وكان هذا انتصارا عظيما ، فرح الضباط به .. والجنود !

خطـــابات ..

وجاءت ليلة السفر .. وفى ليـــلة السفر وقعت بعض المفـــارقات والحوادث التى لا تنسى .

فى ذلك اليوم : يوم السفر .. اعتذر عبـــد المنعم عبد الرؤوف عن الذهاب الى الميدان .. وكان متطوعا ، ولا يدرى أحد لمـــاذا تردد ، فقد كان حتى ذلك اليوم شديد الحماس .

ولم يكد نبأ اعتذاره يعرف حتى تقدم اليوزباشى خالد فوزى ليحـــل محله فى التشكيلات المسافرة .

وعندما ذاع نبأ اعتذار عبد المنعم عبد الرؤوف ، دب الذعر فى نفس أحد الضباط ، فاعتذر بدوره أيضـــا ، واذا بالمرحوم اليـــوزباشى انور الصيحى يتقدم لـــكى يحل محله ، وكأنما كان يسعى الى قدره .. فقـــد استشهد انور الصيحى فى أول معركة عقب وصوله الى أرض فلسطين .

وفى مساء ذلك اليوم جمع أحمد عبد العزيز جميع المتطوعين ، وخطب فيهم قبل السفر .. وكل من حضر تلك الليـــلة يذكر خطاب احمـــد عبد العزيز .. ويذكر قوله بحمـــاس لهؤلاء المتطوعين ، انـــكم لاتذهبون لقتال عدو فحسب .. ولـــكنكم ذاهبون لتكتبوا التاريخ

وفرغ احمد عبـــد العزيز من خطابه .. واذا بالجمع يرى المرحوم حسن البنا ومعه الشيخ فرغلى ، قادمين لوداع المســـافرين .. وخطب حسن البنا ، وخطب الشيخ فرغلى .. واشتد الحماس وبلغ أوجه .

المتطــوعون :

وفى الحقيقة كانت الروح عالية . وكان الحماس شديدا .. وكان الكل ذاهبا لـكى يموت اقدس ميتة واشرفها .. ولـكن هذا لم يكن يعنى امام الضابط العارف بأسرار القتال وفنون المعارك ، أن العمل من اوله الى آخره لن يؤدى الى نتيجة تذكر مهما حسنت الظنون

فقد كان المتطوعون خليطا من شباب الاخوان المسلمين ، ومن أفـراد الليبيين .. وما تعرفه الجيوش النظامية جميعا باسم الضبط والربط .. كان مفقودا تماما بين هذا الخليط الذى لم يتعود الحياة العسكرية ، ولا يستطيع ان يفهمها فى ايام معدودة .

وكان الضباط حيارى بين الاخوان المسلمين بنظمهم الخاصة وتقاليدهم المعروفة ، وبين الليبيين الذين كان السيد عبد الرحمن عزام قد اتى بهم وقال انهم خير المحاربين واشدهم بأسا وأقواهم شكيمة .

ولكن روح الفداء التى كانت مسيطرة على الجميع كانت توحى بامكـان التغلب على جميع المصاعب والعقبات ..

ورحلت قافلة المتطوعين ...

والذى افادته حركة الجيش من هذه الرحلة .. رحلة المتطوعين الى ارض القتال ، لايمكن تقديره بحال من الاحوال .. فقد كانت هذه الرحلة وحدها كافية لكى تخلق فى كل ضابط قدرا من السخط ، يكفى لكى يدفعه دفعا الى الموت فى سبيل تغيير الأوضاع القائمة فى البـلاد ، اذا حـدث ان عاد من الحرب سليما .

كشوف العهدة

بدات المهازل بما رآه الضباط من قوات الاسلحة المختلفة بخصوص العهد التى كانت لديهم فى اسلحتهم .. فأسوا الاسلحة اعطيت للمسافرين واسوأ العربات اعطيت لهم .. وأكثر من ذلك ، قام كل صاحب عهـدة

بجرد عهدته جردا خاصا ، لكى يحصر الناقص منها ، ويكتبه فى كشوف الاسلحة والمعدات المسافرة إلى الميدان ...

وهكذا كنت تجد فى الكشوف ما لا تجد فى الحقيقة ... بل كانت الكشوف تحوى أضعاف الاسلحة والمعدات الموجودة فعلا فى أيدى الجنود لان أصحاب « العهد » وجدوا فى هذه المناسبة فرصة العمر لتغطية مافى ذمتهم من نقص شديد ...

مساعدات

والذين كانوا يعطفون على المسافرين فعلا ، ويساعدونهم فعلا ، هم اخوانهم الضباط والجنود والعمال الذين التقوا بهم فى الطريق ..

ففى العريش مثلا ، قام رجال الصيانة بفحص العربات المسافرة ، والذعر والأسى والحزن مخيم عليهم جميعا . فقد كانت كلها سيارات قديمة لاتصلح لشىء ... وقضى رجال الصيانة هناك ليلهم ونهارهم عاكفين على اصلاح السيارات واعدادها لكى تستطيع أن تكمل الرحلة الى الميدان ..

وكان الضباط يقولون لاخوانهم « الله معنا ... فالذهاب الى الحرب بسيارات كهذه نوع من الانتحار .. »

ومع كل هذا ، فقد كانت الروح اقوى ، والحماسة اشد من ان يجرفها اليأس ..

وسافر المتطوعون ، وقد لزموا فى طريقهم فلنكات السكة الحديد ، حتى وصلوا الى رفح ... ثم الى خان يونس .

وفى خان يونس .. فوجىء الضباط فى اليوم التالى بحضور عبدالمنعم عبد الرؤوف .. وهكذا لم يتخلف هذا الضابط الذى كان معروفا بين اخوانه بالحماس .

ولنترك المتطوعين الآن .. فلسنا بسبيل كتابة تاريخ حرب فلسطين . لنتركهم ، والحقد على الاوضاع يغلى فى قلوبهم .. ونلتقى بالجيش المصرى المسافر رسميا الى فلسطين بعد هذه الرحلة باسابيع قليلة ..

كيف ذهبنا فلسطين وكيف عدنا؟

- القيادة تأمر باشاء كين فاروق في غزه!
- القاعدة في القاهره ..
- عبد الهادي يقبض على جمال عبد الناصر..
- اهداف الضباط الاحرار .
- السرية المطلقة ...
- نظام الخلايا ...

ان قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفجعة ... هى ماساة حقا وماساة من النوع الذى لاينسى ...

ولقد حاولت ان أكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه الثورة فى اثناء حرب فلسطين .. ولكنني امسكت .. فما اعرفه أنا عن هذه الحقبة المجيدة من حياة شعب مصر وجيشها أعرفه بالسمع ، لابالممارسة والتاثر والانفعال .. وعندما أتذكر ماكنت اسمعه خلال تلك الايام من مآسى الحرب ، وخيانة القيادات ، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة ، ومتاعبى الشخصية اذ كنت اذ ذاك سجيينا .. فلم يكفني حبس حريتى ، ولكن كان مقدرا على ايضا أن احرم من خوض هذه الحرب المقدسة ،التى طالما تاقت نفسى لخوضها .

وأيام السجن يمكن ان تكون لها صفحات ..

وأيام الحرب ، لها بدورها صفحات ...

وان ارتاحت نفسى الى ذكر صفحات من ايام سجنى فى يوم من الايام ،فلن ترتاح لكتابةشىء عن أيام الحرب التى لم أخضها ، والتى خاضها زملاء لى ، كانبون ...

فالى أن يكتب أخى صلاح سالم ، قصة حرب فلسطين ، ساكتفى هنا بالاشارة اليها، او الاشارة الى ماسمعته منها من اخوانى وزملائى ضباط وجنود الجيش المصرى الباسل ، فى هذه الحرب المقدسة ...

الحـــــرب

والذى لابد من ذكره لكى تستقيم هذه الصفحات هو الصورة الذهنيـة والعاطفية ، لضباط الجيش ، ومنهم ضبـاط مجموعتنـا يوم دخولهـا . والصورة الذهنية والعاطفية لضباط الجيش وضباط مجموعتنا يوم عادوا منها ...

اما يوم الخروج للحرب .. فيوم ذكراه مجيـدة فى نفـوس الضبـاط والجنود جميعا ..

لقد أعلنت الحرب .. وسواء أعلنها فاروق أم اعلنتها حـكومة البـلاد القائمة ــ حكومة النقراشى فى ذلك الوقت ــ وسواء أكان اعلانها خطأ ، أم كان اعلانها صوابا ، وسواء أكان الجيش مستعـدا لخوضهـا ، أم لم يـكن مستعدا . فالحقيقة الوحيدة هى أن الضباط جميعا لم يفكروا فى شىء من هذا كله .. لم يفكروا فى الخطأ أو الصواب لم يفكروا فى احتمال النصر أو احتمال الهزيمة .. ولكنهم فكروا فى شىء واحد فقط .. ان حربا اعلنت



باسم مصر ، وأن جيش مصر يجب أن يخوض هــذه الحرب ، كأشجع ماتخوض الجيوش حروبها ، وان يموت رجاله ، ضباطه وجنوده ، فداء لكل ذرة من ثرى الارض المقدسة ، ثرى العروبة والمجد والتاريخ والقداسة .

هذا هو مافكر فيه ضباط الجيش وجنوده . وهذا وحده هو ماجعلهم يندفعون اندفاعا الى ميدان الشرف ، دون نظر الى الحقـائق الاساسيـة التى يهتم بها كل محارب وخاصة اذا ماأشعرته الظروف بأن قيادته نفسها لم تول الامر ماهو جدير به من الاهتمام ..

فالذين سافروا الى الحرب سافروا مجردين من اقوى سلاحين يسافر بهما المحارب .

المعلومات الحقيقية أو شبه الحقيقية عن العدو ..

والاطمئنان الى حسن استعداد الجيش نفسه .

والذين سافروا الى حرب فلسطين ، لم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا عن جيش اليهود ، ولم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا أيضا عن جيش مصر نفسـه ومدى أستعداده وحقيقة امكانياته !

ولكنهم سافروا .. سافروا حماسة ... وســافروا ذودا عــن شرف الوطن الذى ادخرهم للذود عنه .. وقد آن أن يلبوا نداءه المقدس رغم كل شىء ...

فى أرض المعركة

وكل ما يفيد الآن فى هذه المذكرات ، هو ما شعر به الجيش المصرى فى فلسطين منذ الاسابيع الاولى ، من حقائق تثبط اى همة ، وتقصم كل ظهر .

فهناك .. فى أرض المعركة ، وضح تماما ان كل مايلزم لجيش يحارب لاوجود له فى جيش مصر .. كل ما يلزم ... من سلاح أو عتاد أو ذخيرة أو مواصلات .. لاوجود لشىء يصلح للحرب ابدا ..

وهناك فى أرض المعركة ، وضح تماما أنها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العــالم بأسره .. فالجيش يحارب فى فلسطين ولكنه يقاد من القاهرة .. وهو يقــاد مــن

القاهرة وتصدر له الاوامر . . أوامر التحرك والهجوم دون نظر لا الى أصول الحرب ، ولا الى مقدرة الجيش نفسه . . .

وهناك فى أرض المعركة ، وضح تماما أن الانجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا . . لخيانة هذا الجيش فى معركته الاولى المقدسة . فهؤلاء الانجليز الذين وعدوا حكومة النقراشى بمساعدة جيش مصر بالسلاح والعتاد والذخائر . . قد أمسكوا ايديهم مرة واحدة . . ولم يعطوا الجيش شيئا .

وهناك فى أرض المعركة ، وضح تماما أن الانجليز قد دبروا تدبيرهم خيانة جيش مصر بهذه الوسيلة فقط ولكن بالتدخل المباشر لدى بعض الدول العربية ، لكى تحيك بنفسها الفخاخ لجيش مصر . . .

وركن فاروق !

. . وهناك فى أرض المعركة ، شاهد الضباط والجنود المصريون مهزلة المهازل ومأساة المآسى يوم ذهبوا الى غزة — ولم يكن فى غزة حرب ولا قتال — واذا بالاوامر تأتى من قيادتهم بالقاهرة ، بانشاء إستراحة لفاروق هناك تسمى « ركن فاروق بغزة » . .

هكذا فجعوا فى الحرب من أوائلها . .

اما أواخرها فكانت فترة تأمل ويقين . .

النتائج . . توحى

اواخرها كانت الفترة التى ادرك فيها كل ضابط وكل جندى فى جيش مصر . . ان هذه القيادة يجب ان تتغير . . قيادة الجيش وقيادة البلاد . .

اما قيادة الجيش ، القيادة التى لم يكن لها وجود ابدا . . فلو وجدت ، او وجد نوع من القيادة الحقيقية . . لما امكن ان يهزم جيش مصر ابدا رغم النقص البالغ الذى كان يعانيه فى سلاحه وعتاده . .

وليس هذا مجال مناقشة هذه النتيجة فكل ذلك متروك لقصة حرب فلسطين الكاملة .

ولكن النتيجة التى عاد بها الجيش على اى حال .. هى المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعا .. تغيير الاوضاع القائمة فى البلاد من اساساتها .

قاعدة العمل

ولعل القارىء لم ينس أن هذه الحرب قد انتهت فى عهد عبد الهادى المعروف بعهد الارهاب .

وفى هذا العهد ، عادت القوات المصرية من فلسطين .. وقررت المجموعة أن تبدأ العمل فورا ، فقد كانت هذه هى اللحظات المناسبة فعلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل الذى يؤدى الى تغيير الاوضاع فى البلاد .

وكان لا بد للمجموعة أن تتخذ لها قاعدة تعمل منها ، اى ان تعمل على ان يستتب بعض رجالها فى مكان معين ، وان تحرص كل الحرص على ابقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشتيت

القبض على جمال

وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الارتكاز فوجئت المجموعة بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدى ((باشا)) رئيس هيئة اركان حرب الجيش حينئذ ، لمنزل جمال عبد الناصر

ولم يكن الفريق عثمان المهدى وحده فى هذه الزيارة ، فقد كان معه عدد من ضباط البوليس الحربى .

ولم يكن هدف الزيارة هدفا عاديا .. وانما كان الهدف هو القبض على جمال عبد الناصر ، وتفتيش بيته .

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش ، فلم يجدوا فى البيت سوى بضع طلقات .. فقد كان جمال عبد الناصر حريصا دائما

اما جمال ، فقد اصطحبه عثمان المهدى ، الى ((دولة)) ابراهيم عبـــد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمســـئول الاكبر فى عهد الارهاب .

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام ، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبد الهادى .. فقد وجه عبد الهادى لجمال تهمــة التعاون مع الاخوان المسلمين مستدلا على ذلك بانه ـ اى جمال ـ قد قام بتدريب بعض شبان الاخوان على السلاح ، اثناء الحرب وقبيل قيـــامها

اما جمال ... جمال الثائر الذى كان عائدا من الفالوجا .. فلم يـكن لديه من الصبر ما يمكنه من عدم الاحتداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العـــــام .

ولعلها كانت مفيدة .. فقد تريث ابراهيم عبد الهادى فى اصدار الامر باعتقاله .. وارسل رسله ياتونه باخبار جمال .. ثم افـــرج عنه فورا .. لانه ادرك ان لهذا الضابط شخصية معينة بين ضباط الجيش ، وان له كيانا خاصا فى صفوفهم ، فخشى ان يعتقله ، فتكون القشة التى تقصم ظهره ، وظهر العهد من بعده .

القاعدة فى القاهرة

وانتهينا من هذه المشكلة .. وبدانا فى التكوين .. تكوين القــاعدة اولا ..

وكانت القاعدة مكونة ـ كما قررنا ـ من جمال وعبد الحكيم وزكريا محيى الدين وصلاح سالم

واستطاع كل منهم ان يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة

فجمال ، وكان برتبة صاغ فى ذلك الوقت قد عين فى مدرسة الشــئون الادارية بالجيش .

وعبد الحكيم عين فى مدرسة المشاة .

وزكريا عين فى الكلية الحربية .

وصلاح استقر فى وحدته بالقاهرة

وفى الايام التى تلت ذلك ، فرغنا من وضع اساس التنظيم كله

الاهـــداف والنظام

فاسمينا انفسنا بالضباط الاحرار .. الاحرار فى كفاحهم فى سـبيل الحياة ، والاحرار فى سعيهم الى تحرير وطنهم من الاستعمار والاستغلال والفساد ، وكذلك الاحرار من الانتماء الى اى هيئة او جمعية او تشكيل معـــــروف .

ووضعنا اهداف التشكيل وطبعناها .. وتم توزيعها فعلا على الضباط الاساسيين فى التشكيل.. وظهر اسم ((الضباط الاحرار)) لاول مرة ..

وكانت اهم الاهداف التى تضمنها هذا المنشور الاول :

- القضاء على الاستعمار الاجنبى واعوانه من الخونة المصريين
- تكوين جيش وطنى قوى .
- ايجاد حكم نيابى سليم

وفى نفس الوقت ، وضع النظام الاساسى للتشكيل على الوجه التالى :

- السرية المطلقة فى كل شىء
- تخصيص كل ضابط من ضباط مجلس قيادة التشكيل لسلاح من اسلحة الجيش يكون هو المسئول عن تنظيمات التشكيل فيه
- الاخذ بنظام الخلايا ، ووجوب عقد اجتماعات الخلايا اسبوعيا وبانتظام
- تكليف كل ضابط من ضباط مجلس القيادة بتقديم تقرير اسبوعى الى المجلس يوضح فيه مدى تقدم التشكيل فى داخل سلاحه وعدد المنضمين وعدد من رئى استبعاده .
- وجوب ضم اعضاء جدد فى كل اسبوع
- اصدار المنشورات بصفة منتظمة اسبوعيا

وعلى هذا الوجه بدأ التشكيل مرحلته الحاسمة ، وخطته المدروسة .. على اساس نظام معين ، واهداف محددة واضحة وخلايا .. وقيادة كامـــلة ..

ثانيا: لأننا عرفنا كيف نسير

- سرنا فى اتجاه الشعب ...
- اللواء الذى جعلناه قائد نفسه فقط.
- الضابط الذى حملناه مسئولية طبع المنشورات.
- القصر وحيد.
- "الستيتل" الذى دفناه فى مكان أمين
- مجاهد فى سينا.

كنا قد انتهينا من اقرار التنظيم العام للتشكيل السرى داخل الجيش ، واخترنا له اسم «الضباط الاحرار» وكنا قد انتهينا من تحديد اهداف هذا التشكيل السرى ، عرف بصـــورة كاملة .. ووضعنا قواعد العمل ..

ومنذ تلك اللحظة ، لم يهدأ لنا بال ، ولا للحكومات ، ولا للانجليز ولا للقصر ..

ففى ايام قليلة ، كانت منشوراتنا قد اصبحت تصـــدر بانتظام .. وكانت هذه المنشورات تزعج السلطات الداخلية والخارجيـــة ازعاجا شديدا . لان صدورها بتلك الصورة المنظمة ، كان يعطى فكرة لهذه السلطات بان التشكيل الذى يصدرها ، ليس من ذلك النوع الذى اعتاد الجيش أن يفاجأ بظهوره بين فترة واخرى ، ليصدر منشورا او منشورين ، ثم يختفى ، او يكتشف امره

وكان شغل السلطات الشاغل فى تلك الايام هو أن يضعوا ايديهم على اى حلقة من حلقات هذا التشكيل ، او يمسكوا باى خيط يؤدى الى اكتشاف امره .. ولكننا كنا من جانبنا فى منتهى اليقظة .. فلم نمكن اية سلطة من السلطات من العثور على شىء .. لم نترك ثغرة واحدة تستطيع هـــذه السلطات مجتمعة او متفرقة ان تنفذ منها الينا .

وكانت هـــذه اليقظة ، الى جانب التجارب الكثيرة التى مارسناها منذ الشباب الاول ، من ايام منقباد ، هى السبب الرئيسى فى نجاح خطتنا نجاحا كاملا .. كما ان ارتبـــاط اهدافنا بعواطف الشعب واتجاهاته ، كان من اكبر العوامل المساعدة التى مكنت لنا من هذا النجاح ..

لقد نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير .. ولاننا سرنا فى اتجاه الشعب .. ولاننا استفدنا من تجربتنا الطويلة السابقة ..

جــــواسيس !

وكنا فى بدء أيامنا كتشكيل سرى ، عندما اتصل مصطفى كامل صدقى بجمال وحاول التفاهم معه على أن تنضم مجموعته القديمة ــ أى مجموعة مصطفى صدقى ــ الى تشكيلنا ، توحيدا للجهود ..

وكان معنى هذا ان تشكيلنا كله قد بات فى خطر .. فان معلوماتنا عن مصــطفى صـــدقى وجمـــاعته كانت تدل دلالة كبيرة عـــلى انهــم يعــملون لحساب القصر .

وكان لا بد ان يقتنع مصطفى صدقى بانه ليس هناك اى تشكيل يضمنا ، وان جمال عبد الناصر لايعمل شيئا على الاطلاق ..

ولم يكن هذا صعبا على جمال .. فقد استطاع فى لحظات قليــلة أن يقنع مصطفى صدقى بانه قد أصبح بعيدا عن كل نشاط ، أو كل اتصـــال بنشاط .. وانه أكثر من هذا صمم منذ عاد من فلسطين على أن .. ياكل العيش ... وبس!

واقتنع مصطفى صدقى بهذا الكلام .. ومضى ..

وفى الحقيقة ، كان مصطفى منجما جيدا للمعلومات .. وكنا نســتغله كيفما نشاء .. دون ان يشعر .. فقد كان مولعا بالتباهى والتفاخر يحبه أن ينسب الى نفسه اشياء كثيرة مما تحدث ، يحيطها بما يعلمه جيـــدا من ملابسات ... كنا نستفيد من ذكرها فائدة لا تقدر ..

الخلا يا ..

وفى ذلك الوقت بدأت الخلايا تعمل ..

كانت خلايا خماسية .. تبدأ كل خلية بأحد ضـــباط القيـــادة الذى يكون من نفسه نواة لخليته .. ثم تتسلسل الخلايا على هـــذا الوجه ، كل عضو من اعضاء الخلية الاولى يكون هو نفسه نواة لخلية جديدة لا يعــرفه اعضاؤها احدا غيره من اعضاء الخلية الاولى ..

وللحقيقة نذكر اننا لم نتعد فى تسلسلنا هذه الطبقة الثانية من طبقاته

الخلايا . . وان هذا كان فى حد ذاته سببا من اسـباب نجـاح التشـكيل ضبط جميع اموره ضبطا كاملا . .

وكانت واجبات اعضاء الخلايا هى :

١ - ضم الموثوق بهم الى التشكيل

٢ - اثارة الموضوعات العامة فى وسط الضباط ، لخلق مجموعة كبيرة من العاطفين على اى حركة يمكن ان يقوم بها التشكيل فى يوم من الايام . .

وبالطبع كان اعضاء الخلايا يدفعون اشتراكات شهرية ، وكانت هـذه الاشتراكات توضع فى صندوق توفير باسم البكباشى احمد حمدى عبيد . . وكأنها مجرد نقود يدخرها من دخله الخاص . .

وكنا نحـاول الاستفادة من كل شىء . . من كل الظروف والعلاقات الشخصية والاحداث التى تقع : واحيانا كانت تسنح لنا فرص طيبة ، لا تخلو من طرافة . ولكننا كنا دائما نحسن استغلالها . . كما كانت الظروف نفسها تساعدنا كثيرا . . وعندما كانت الظروف تلعب دورها الى جانبنا كنا نشعر براحة نفسية كبيرة وامل سـاطع يشع فى قلوبنـا . . فقـد كانت الدلالة الوحيدة لمساعدة الظروف لنا ، هى اننا مرموقون من الله عز وجل . . . بعنايته

القصر وحيدر !

وكان اخوف ما نخافه جهتان :

القصر ومخابراته الخاصة . .

وقيادة الجيش . .

وكنا لذلك قد رتبنا امورنا جيدا ، على تطويق الجهتين كلتيهما . . وبينما كان صلاح سالم يقوم بدوره فى كسب ثقة حيدر « باشا » لجلب المعلومات منه ، واعطائه المعلومات المضللة وتغطية نشاط الضباط الاحـرار ، كلمـا تعرض لخطر الانكشاف . . كنت انا أقوم بهذا العمل نفسه بالنسبة للقصر ، وعن طريق الدكتور يوسف رشاد . . .

وبهذه الطريقة كنا نضمن دائما ، ان نعرف اولا بأول كل ما يمكن ان يكون قد وصل الى علم احـدى هاتين الجهتين من معلومات ـ صادقة او كاذبة

عن نشاطنا وان نعرف ايضا أولا بأول كل مايمكن ان تفكر فيه احدى هاتين الجهتين من اجراءات خاصة بنا ، وان نضمن ايضا تغطية الموقف فى كل حالة من الحالات . .

والى جانب هذا ، كانت الفرص الطريفة تسنح لنا وكانت الظروف تساعدنا فى كثير من الاوقات . .

هو الذى يطبع !

حدث مثلا ، أن قبض على الضابط حسن علام اثناء قيامه بكتابة منشور ضد الاوضاع التى كانت قائمة حينذاك . .

ولا احد يدرى ان كان هذا الضابط قد نوى فعلا طبع هذا المنشور وتوزيعه . . فلعله كان ينفس عن نفسه مجرد تنفيس بهذه الوسيلة . .

ولكن الحادث وقع على كل حال . . فقد قبض عليه متلبسا بكتابة كلام شبيه بما كان الضباط الاحرار يكتبونه فى منشوراتهم . . ورفع الامر الى الفريق حيدر باشا . . واذا به يتهلل ويشرق ويشعر انه قد وضع يده على التشكيل الخطير المزعج الذى يسمى نفسه بالضباط الاحرار . .

وكانت فرصة لنا . . فانا اذكراننا لم ندع وسيلة فى تلك الايام الا استعنا بها لاثبات هذه « التهمة » عليه . . وقد ثبتت فعلا ، واتجهت انظار القصر والقيادة وجهة اخرى تماما ، فى كل أبحاثهم الخاصة بالكشف عن حقيقة الضباط الاحرار . .

ولعلنا ان نكون قد تألمنا كثيرا لهذا الحادث ، ولموقفنا منه . . ولكن مصلحة الوطن التى كنا نعمل بصدق من اجلها كانت تقتضى منا ان ننتهز هذه الفرصة ، والا ندعها تفلت من ايدينا ابدا . . .

المعركة . . لم تنته

ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة الطريفة . أو الفرصة الوحيدة التى عرفنا كيف نستغلها استغلالا كاملا مفيدا . .

فقد حدثت احداث اخرى اثناء معركة القنال ، كانت كفيلة باضعافنا او الكشف عن سرنا الكبير . . .

وقد كانت معركة القنال من وجهة نظرنا ، معركة مجيدة تبدى فيها شعور الشعب واستعداده الكبير للتضحية بكل شىء ..

وصحيح انى لست انوى ان اذكر شيئا من التفاصيل الخاصة بدور الضباط الاحرار فى هذه المعركة ، فان معركة القنال لم تتم فصولا .. ودور الضباط فيها ان كان قد بدأ فى حدود الظروف التى سنحت لهم خلالها .. فهو دور قادم لا شك فيه ، ولا نهاية له الا يوم يخرج آخر جندى من ارض القنال ...

لن ننشر اليوم اذن شيئا من هذه التفاصيل ولكن هناك مع ذلك مايمكن نشره .. هناك قصتان .. لعل احداهما قد كسبت شهرة معينة اذ جاء ذكرها فى محكمة الثورة اثناء محاكمة فؤاد سراج الدين ، عندما ذكر « المتهم » قصة اللغم البحرى ..

اما القصة الثانية .. او هى الاولى باعتبار تاريخ الحوادث فكانت قصة على هامش الاحداث ، ولكنها كانت ذات خطر كبير ، لولا اننا احسنا استغلالها ..

مجاهد فى سينا !

ولنبدأ بهذه القصة .. وقد وقعت الايام الاولى للمعركة .. وكنا اذ ذاك فى سينا .. كنت هناك انا وعبد الحكيم وصلاح .. وكنا نشعر بالضيق الشديد الذى يملأ نفوسنا ونفوس جميع الضباط فى سينا ، فقد كان الجميع هناك يشعرون بأن عليهم واجبا يجب أن يؤدوه فى هذه المعركة وانه لا حق لأحد فى منعهم عن القيام به ..

وتكاثر الضيق ، وغلت الصدور ، واصبحت القوات هناك فى شبه هياج مستمر ، ينذر بالخطر ..

ووصلت التقارير الى قيادة الجيش عن هذه الحالة المسيطرة على القوات فى سيناء فأرسلت القيادة ضابطا كبيرا هو اللواء توفيق مجاهد ، وكلفته بتهدئة الحالة هناك ..

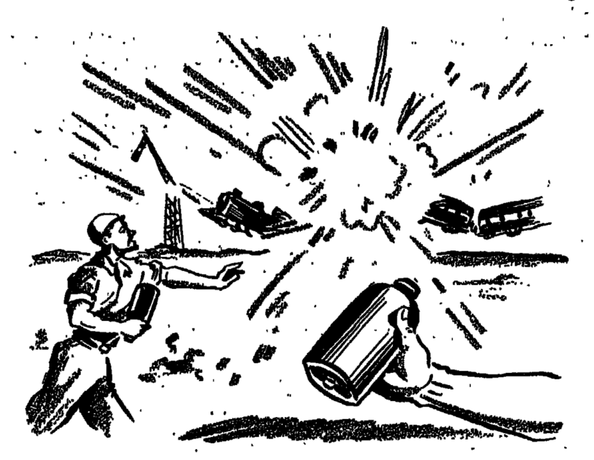
وجاء اللواء يهدئنا !

جاء ، فجعل يخطب فينا ويناقشنا ، ويحاول اشعارنا بأن دور الجيش لم يأت بعد ، لا لأن الجيش يجب أن يستعد .. ولكن لان عدونا الحقيقى فى

نظر اللواء مجاهد ، ومن ارسلوه ـ هو اليهود .. وان علينا ان نفرغ من اليهود أولا ثم بعد ذلك نفكر فى الانجليز ..

وأطال اللواء مجاهد كثيرا فى هذا المعنى ، حتى ضاقت الصدور .. واذا بصلاح سالم يصرخ فى وجهه قائلا :

ان عدونا الأساسى هو الانجليز ، هو هذا الأستعمار القائم فى بلادنا .. واننا يجب علينا ا ن نطهر ارض الوطن من هذا الاستعمار اولا . وقبل كل شىء ..



ويبدو ان صرخة صلاح قد لاقت تأييدا من الضباط .. واذا باللـواء مجاهد يبدى ضيقه الشديد بهذه الصيحة ، ثم لا يفتأ ان يبدى رأيه علنـا فى صلاح ... وكان هذا الراى هو ان صلاح سالم ... رجل خطر

واحسسنا بالخطر يحدق بنا .. فقد أيقنـا ان اللواء مجاهـد لا بد ان يكتب تقريرا عند عودته الى القاهرة ، يتهم فيه صلاح سالم بالخطورة .. ومن يدرى كيف يمكن ان يتجه نشاط القصر الى كشـف حقيقـة صـلاح واتصالاته ، وكيف يمكن أن يؤدى هذا الى الايقاع بالتشكيل كله ..

وقررنا ان نلغم الارض للواء مجاهد قبل ان يعود الى القاهرة ، ويقـدم تقريره المنتظر ..

وفى نفس الليلة اجتمعنا ، عبد الحكيم عامر وصلاح وانا .. فى منزلى الصغير فى رفح .. ثم رأينا ان نكتب خطابا الى الفريق حيدر باشا ، نضمنه شكايتنا من ان اللواء مجاهد قداثار الضباط اثارةشديدة فى زيارته لهم ، وانه استفزهم استفزازا يمكن أن يؤدى الى ما يجب اتقاؤه من شرور .. خصوصا وان لهذا اللواء تاريخا اثناء حرب فلسطين ... وان هذا التاريخ معروف لسائر الضباط ..

وكتبنا الخطاب فعلا ، وارسلناه الى حيدر ..

وفى اليوم التالى هبط اللواء مجاهد الى القاهرة .. ولكنه لم يكد يحط قدميه فيها حتى كان حيدر « باشا » قد استدعاه اليه وبدأ التحقيق معه فيما ألصقناه به من اتهامات !

وانتهى التحقيق بقرار نقله الى المنطقة الجنوبية ..

وكان اللواءمجاهد اذذاك نائبا لرئيس هيئةاركان حرب الجيش المصرى، كان يتمتع بهذا المنصب الخطير ، وهذه الادارة الضخمة .. واذا هو ينتقل الى المنطقة الجنوبية .. حيث لا جنود ولا ضباط .. اى حيث يصبح قائد نفسه .. فقط .. لا غير !!

النيتل أو اللغم !

والقصة الثانية من قصص معركة القنال ، هى قصة اللغم البحرى التى اشار اليها سراج الدين اثناء محاكمته ، ووعدت الجمهورية اذ ذاك بنشرها كاملة ..

وقد وقعت هذه القصة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٥١ اى قبل حريق القاهرة بشهر كامل على التحديد ..

واذكر هذا التاريخ جيدا .. لانه كان يوم ميلادى .. او عيد ميلادى : كما يسمى الناس تاريخ مولدهم ..

وكنا ثلاثتنا فى رفح .. عبدالحكيم ، وصلاح ، وانا .. وكان معنا هناك سبعة وعشرون ضابطا ..

والضباط فى مثل هذه الوحدات النائية ، ينتهزون فرصة المرح انتهازا .. وكان « عيد ميلادى » احدى هذه الفرص .. ولذلك قرر الضباط ان يحتفلوا بهذه « المناسبة » على حسابى ، فى سينما المدينة ..

وذهبنا الى السينما .. وبقى حكيم وصلاح فى الميس وحدهما ...

لـــــماذا .. ؟

لا أدرى لعل ذلك لاننا لم نرد ان يخلو الميس من ضباط ..

ولعل الامر أكبر من هذا كثيرا .. فقد كان لا بد فعـلا من ان يوجد ضباط فى الميس ، وأن يكون هؤلاء الضباط هم عبد الحكيم وصلاح بالذات .. فقد عودنا الله طيلة أيام استعداداتنا لهذه الثورة ، أن يكون معنا فى كل شيء ..

ودق جرس التليفون فى الميس ، فقام اليه عبد الحكيم .. وكان المتكلم هو جمال عبد الناصر .. من القاهرة ..

وقال جمال لعبد الحكيم جملة واحدة .. « التيتل جاى النهـارده فى الطيارة .. استعد لاستلامه .. »

وقطع جمال الخط .. وانتهت المكالمة ..

وكانت كلمة « التيتل »من كلمات قاموسـنا « الحركي » .. وكان معناها « اللغم »

وكنا قد اتفقنا من قبل على اعداد لغم بحرى كبير لنضعه فى القنـال قبل مرور باخرة انجليزية كبيرة .. فننسفها بذلك ..

وكان هدفنا من هذه « العملية » هو تعطيل القنـال ، وتقديم الدليل الكافى للعالم ، على أن الإنجليز لا يستطيعون حماية القنال ، مادام المصريون لا يمكنونهم من ذلك .

وجلس عبد الحكيم وصـلاح ينتظران « التيتل » .. وكانا بالطبع لا يعلمان شيئا عن حقيقة حجمه ..

وبعد قليل .. اتصـل ضابط من العريش بعبد الحكيم .. وقال له بلغتنا « الحركية » استلمت « التيتل » ولكنى لا أعرف كيف أوصـله الى القنطرة ، لان امكانياتى أقل من ذلك كثيرا ..

وأجابه عبد الحكيم بقوله :

ـ أرسله الى فى رفح .. وسأتصرف أنا فى الامر ..

وعاد عبد الحكيم وصلاح ينتظران « التيتل » مرة أخرى .. وقد علما أنه سيصل اليهما ساعيا على الارض لا هابطا من السماء .!

وبعد قليل ، وصل « التيتل »

وصل ، فى حراسة ضابط كيماوى ، كان هو الذى قام باعداده ، وكان أيضا هو المـكلف بتركيبه فى القنال ..

وكانت الساعة اذ ذاك ، الثامنة مساء ..

وكان هذا « التيتل » عبارة عن اربعـة صناديق كبيرة الحجم ثقيـلة الوزن جدا ..

وتعاون عبد الحكيم وصلاح والضابط الكيماوى على انزال الصناديق .. وكان جليا انها لايمكن أن تدخل من الابواب ، ولاان تخفى فى احدى الغرف ..

وكان الحل الوحيد ، هو أن توضع هذه الصناديق الى جوار الباب .. ثم أن يسرع عبد الحكيم وصلاح الى السينما ليخرجانى منها ، حتى أجلب لهم بعض جنود سلاح الاشارة ، ليساعدوا فى عملية نقل هذا « التيتل » .. غير المنتظر ..

وخرجت من السينما ، وتوجهت فورا الى سـلاح الاشارة فأحضرت بعض جنودى المدربين بينما ذهبا هما الى سلاح خدمة الجيش فأحضرا ضابطين من الاحرار ، وعربة لورى كبيرة ..

وكان الوقت الذى أمامنا يحسب بالثوانى لا بالدقائق .. فقد أوشكت السينما أن تنتهى .. وبانتهائها سيحضر الضباط الى الميس .. وينكشف أمر « التيتل » الذى كنا نحرص أشد الحرص على اخفائه ..

وفى هذه الثوانى التى كانت قد بقيت لنا ، استطعنا أن نضع التيتل فى اللورى ، وأن نجهز اللورى بالبنزين الذى يكفيه لقطع ٣٥٠ كيلو مترا .. الى القنطرة .. وأن نعد بعض قطع الساندوتش ، للضابط الكيماوى ومرافقيه ..

وسار اللورى على بركة الله ..

واتصلنا نحن بزملائنا من الضباط الاحرار فى العريش لكى يدعوه يمر .. ثم بزملائنا فى القنطرة ، لكى يتسلموه ..

ولم نكد نفرغ من كل هذا ، حتى كانت مظاهرة قوامها سبعة وعشرون ضابطا تقترب فى مرح من الميس ..

كانت السينما قد انتهت .. وكان الضباط عائدين ..

ولعل قصـة « التيتل » هى احدى القصص التى لم تنته من قصص معركة القنال ..

فالذى نسـتطيع اليوم أن نضيفه الى ما ذكرت هو ان القنطـرة قد استلمت « التيتل » وأن الضابط الكيماوى قد ركبه فعلا .. ثم قامت فى وجهنا عقبات لم تسمح لنـا بتنفيذ خطتنا .. فقررنا دفنـه .. دفنه فى مكان أمين .. حتى يحين الحين ..

حددنا موعد الحركة سنة ١٩٥٠

- قلنا لسراج الدين "حافظ على الدستور ونحن نحميك"
- فؤاد سراج الدين يقول "إن شعب مصر لا يهتم بالدستور"
- تم الانتخاب في منزل كمال الدين حسين ..
- الاتصال برجال الوفد .. جريمة ..
- ماذا قال مدير البوليس الحربي ؟
- سراج الدين يقول : "احنا خايفين من الجيش"

ان كنا لانريد ان نكشف اليوم الستار عن دور الاحرار كله ، والخط الذى رسموه لانفسهم وكفاحهم ابان معركة القنال ... فلاننا ـ كما ذكرت فى الصفحة الماضية من هذه الصفحات ـ لا نعتبر معركة القنال معركة منتهية ، بل نعتبر ما مضى منها مجرد تمهيد يسبق الفصل الاول من فصولها التى يجب ـ فى تقديرنا ـ ان تكون رهيبة تعلم الغاصب كيف يحسب ألف حساب لكفاح الشعوب ..

ولكن دور الاحرار الذى بدأ اذ ذاك كان قد بدأ ليستمر لا ليتوقف وكنا نمر فى تلك الاثناء بفترة كمل فيها استعدادنا ، واصبحنا قادرين فعلا على التحرك من وحداتنا ، لنضرب الضربة التى تطهر البلاد من راس الفساد فيها .. الملك ، والاقطاع . وما يتفرع عنهما من احزاب وسياسات قادتها طويلا . الى الخراب ..

فالسنوات التى مرت بنا بعد اكتمال تنظيمنا ، وهى سنوات ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .. قدكانت سنوات الاستعداد والدراسة الكاملة للموقف ، وتحديد موعد البدء .. وفى نهاية هذه السنوات أوقرب نهايتها ، وقعت معركة القنال ، وادركنا ان دورنا الكبير قد حان وقته ..

انها فترة مترابطة اذن .. سنمر اليوم مرورا ببعض احداثها ، لنعود الى ذلك مرة أخرى .

ففي عام ١٩٥٠ كنا قد اكتملنا من حيث التنظيم الداخلي .. للخلايا ، والمخابرات ، وجمع الاشتراكات وعقد الاجتماعات وضم الضباط .

كان كل شيء يجري على مايرام .. وكنا نفكر دائما في الزمن الذي يجب أن نقضيه في الاستعداد والتهيؤ للمعركة .. وكنا ــ ككل من يقدم على خطوة كبيرة جريئة ــ نقدر قوة العدو بحدها الاقصى ، ونقدر قوتنا بحدها الادنى ، ونعتقد أننا لن نبدأ حتى نكون على يقين من أن الحد الادنى لقوتنا ، قد أصبح أقوى في كل شيء مما يمكن أن يكون عليه الحد الاقصى لقوة العدو ..

والعدو ، كان بالطبع ، فاروق وجهازه الرهيب ، مع وضع الاستعمار وما يمكن أن يقدم من مساعدة في الحساب ..

وكنا في بدء عام ١٩٥٠ قد قدرنا للاستعداد خمس سنوات ، أي أننا حددنا موعداً للحركة عام ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ .

ولكن الظروف السياسية التي لابست الاشهر الاولى من عهد الوفد ، قد جعلتنا نعيد التفكير مرة اخرى ، ونحدد للحركة موعدا بعد ثلاثة اعوام بدلا من خمسة أعوام .

فقد كانت سياسة المهادنة التي فاجأ بها الوفد البلاد في أول شهور حكمه تستدعي هذا التقريب لموعد الحركة .

اذ كانت هذه السياسة وحدها ، هي النذير الاكبر بوجوب انفجار الشعب وقرب هذا الإنفجار ..

فقبل عهد الوفد الاخير .. كان الشعب يرى أمله في حزب الوفد رغم مساوئه .. وحتى نحن كنا نعتقد ان حزب الوفد رغم كل هذه المساوىء المعروفة للجميع ، هو الحزب الذي نستطيع ان نركن اليه يوم تقوم بضربتنا الكبيرة ، لنسلمه زمام البلاد ، على اسس واضحة من التطهير والعمل الخالص للوطن .

كنا نعتقد هذا ، بل لقد خطونا في هذا السبيل خطوات سيأتي تفصيلها ..

وكنا رغم كل هذا ، مضطرين الى أن نحسب حسابا للحقيقة الكبرى وهي أن حزب الوفد اذ يجيء بهذه الاغلبية الساحقة في عام ١٩٥٠ ثم يهادن القصر تلك المهادنة المكشوفة المزرية ، قد صدم الشعب في أمله الوحيد الباقي ، ولم يجعل هناك مجالا يستطيع الشعب أن يتنفس فيه الا أن ينفجر فيطيح بكل شيء .

وكنا نقدر هذا الانفجار الشعبي ، وعواقبه ونريد ان نكون ميزانا حساسا لانفعالات الشعب ، حتى لا يأتي انفجاره دون توقع منا ، فيتعرض الملحمة رهيبه بينه وبين القوة الغاشمة قد لاتكون سليمة العواقب .

وفى الوقت نفسه كنا نخشى ان يدب الملل فى نفوس ضباطنا ، وان يعطى التراخى فرصة للقضاء على قوتنا ، بعوامل التشتيت المقصودة أو غير المقصودة على حد سواء ..

لذلك قربنا الموعد الذى حددناه للحركة ، وجعلنــــاه عام ١٩٥٢ أو ١٩٥٣ بدلا من ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ .

انتخاب جمال

وكنـــا فى ذلك الوقت فى القـــاهرة ، نحن جميعا وكنت انا أعيش كالحبيس فى دائرة ضيقة ، لم يسمح لى الاخوان بالتحرك فى أى دائرة اوسع منها بحال من الاحوال ، فقد كان تاريخى السابق ، تاريخى الذى لم يمر عليه أكثر من عامين منذ خرجت من السجن فى آخر مرة ، يجعل اى حركة أقوم بها مثار شكوك .

ومر عام ١٩٥٠ ، وأقبل عام ١٩٥١ .. وفى هذا العام نقل بعضنا الى سينا .. نقل صلاح وعبد الحكيم وانا .. الى سينا ، ونقل جمال سالم الى العريش ..

اما باقى مجموعتنا .. فقد ظلوا فى القاهرة .

وكان هذا النقل .. وتشتيتنا فى ثلاث جهات مدعاة الى اتخاذ اجراء لابد منه ، لم تكن قد فكرنا فيه قبل ذلك العام ..

كان لابد أن يكون لنا رئيس مسئول ، يقوم بتنسيق اعمالنا واصدار الاوامر والتصرف الوقتى فيما يجد من مشكلات ..

وعقدنا اجتماعا لبحث الامر ، ثم انتخبنا بالاجماع رئيسا لنـــا .. جمال عبد الناصر ..

وبدأ بذلك تقليد جديد لهذه المجموعة ، ان تحدد موعدا للاجتماع فى كل عام لانتخاب الرئيس ..

وفعلا ، تم ذلك أيضا فى يناير ١٩٥٢ .. اذ اجتمعنا فى منزل الصاغ كمال الدين حسين وانتخبنا جمال رئيسا لمدة ســـنة اخرى من ذلك التـــاريخ ..

واختيار الرئيس

على ان هذا الاجتماع ، قد تضمن قرارا آخر اتخذناه ، واتفقنا على ابقائه سرا بيننا .

وكان هذا القرار هو اختيار اللواء اركان الحرب محمد نجيب لـكى يكون قائدا لحركتنا فى يوم تنفيذها .

وكان سبب اتخاذ هذا القرار .. هو أننا لابد ان نضع فى حسابنا شخص القائد الذى نتقدم خلفه الى الشعب ، لكى نستطيع أن نمهد لشخصيته التمهيد الكافى فى صفوف الجيش .

وكان الرئيس نجيب قد عرف لمجموعتنا عن طريق عبد الحكيم عامر ، اذ كان عبد الحكيم عامر أركان حربه أيام معركة فلسطين .. كما كان عبد الحكيم قد قام بتعريف اللواء نجيب بالبكباشى جمال عبدالناصر عقب عودة جمال من الفالوجة ..

ورغم اتخاذنا هذا القرار ، فلم نشأ أن نعلنه حتى للرئيس نجيب نفسه .. لان الوقت لم يكن قد حان بعد لاتخاذ هذه الخطوة .

وبعد أسبوع عقدنا اجتماعا آخر .. فقد كنا نشعر فى ذلك الوقت ان موعد الحركة قد يكون أقرب بكثير مما نتصور ، ومما نقدر ..

تقدير الموقف

وفى هذا الاجتماع طلب جمال سالم أن نقرر البدء فى اتخاذ موقف الاستعداد الكامل للعمل فى أى وقت .. وان تكون المهلة التى تعطى لضباطنا قبل البدء شهرا على أكثر تقدير .

ووافق المجلس على ذلك ..

وفى نفس الاجتماع ، كلف المجلس عبد الحكيم عامر ، بعمل « تقدير موقف » للحالة من جميع نواحيها ، الشعبية والسياسية والعسكرية ، وأن يقوم بعرض تقريره على المجلس فى أسرع وقت ..

كنا جميعا نشعر بوطأة الاحداث وبتحكمها الواضح فى تحديد موعد حركتنا .. فقد كان الشعب يغلى ، وكان الجيش يغلى .. وكان لابد من عمل ..

وانتهى هذا الاجتماع الذى عقدناه بمنزل قائد الاسراب ـ حينئذ ـ حسن ابراهيم .

ثم اجتمعنا بعد يومين اثنين ، لكى ندرس التقرير الذى أعده عبد الحكيم عامر ..

وفى هذا الاجتماع .. استطعنا أن نطمئن تماما .. وانتهينا الى أننا قادرون على القيام بالحركة فى أول فرصة ممكنة . . وأن امكانياتنا تضمن لنا النجاح ..

ولم يكن هذا التقرير نتيجة لدراسة يومين من عبد الحكيم .. فقد كان مسبوقا بجولة قام بها جمال وعبد الحكيم فى داخل الجيش للقيام بعملية حصر كاملة لاول مرة ، ومعرفة حقيقة القوة التى نستطيع الاعتماد عليها ..

وبالطبع كان هذا الاجتماع ، قبل حريق القاهرة .. ولم يكن أحد يتوقع وقوع ذلك الحادث المشئوم .

الاتصال باالوفد

ولنترك الان التفاصيل العسكرية ، لنلم بما قمنا به الى جانب ذلك من محاولة لاستغلال الموقف السياسى ، والتهيئة لاوضاع مابعد الثورة من الناحية السياسية ، والناحية الشعبية .

الوفد ...

الوفد الذى كان يحكم .. والذى هادن الملك فى أول عهده ، ثم اضطرته الظروف واضطرته نفس القاعدة الشعبية التى لم يكن يستطيع أن يغفل حسابها الى الغاء المعاهدة ، وبدء الكفاح المسلح ضد قوات الاستعمار فى القنال ..

هذا الحزب ، كان أملا من آمالنا رغم كل شىء وكنا نريد أن نقويه فى موقفه ، وأن نجعل منه الشرارة التى تطلق قذيفتنا .

وقررنا ان نتصل باالوفد ، وان نترك امر تدبير الاتصال به الى جمال عبد الناصر ..

ولن أسبق هنا الحوادث ، ولكنى سأحاول ان اذكر تفاصيلها كما يذكرها الذين شاركوا فيها ..

بدأ جمال بدعوة اليوزباشى جمال القاضى ، وطلب منه أن يتصل بعمه « عبد اللطيف محمود باشا » الوزير الوفدى اذ ذاك ، والتفاهم معه على أوجه المساعدة التى يحب الوفد أن يحصل عليها من تشكيلنا العسكرى فى سبيل ايقاف الملك عند حده ، ومنع اعتداءاته على الدستور .

جريمة كبرى

وكان السر فى اختيار جمال القاضى ، هو هذه القرابة الوثيقة بينه وبين عبد اللطيف محمود ، فقد كان اتصال اى ضابط بالجيش باى رجل من رجال الوفد حينئذ ، يعتبر فى نظر قادة الجيش ، ورجال القصر ، جريمة تستوجب الحساب والعقاب ..

ولذلك كان علينا ان نغطى هذه الاتصالات باللجوء الى صلات القربى ، التى لاتثير الريب والشكوك ..

وذهب جمال القاضى الى عمه .. ثم عاد ليقول انعبداللطيف محمود صارحه بانه لايستطيع أن يتكلم شخصيا فى هذا الامر ، ولكنه مع ذلك

على استعداد لتقديم جمال القاضي الى رجل الوفد المسئول ، فؤاد سراج الدين ، ليتم التفاهم بينهما مباشرة ..

وفكر جمال عبد الناصر فى الامر واستعرض فى ذاكرته أسماء الضباط الذين يمكن ان يعتمد على واحد منهم فى الاتصال المباشر بفؤاد سراج الدين ، ثم استقر على أن يكلف القائمقام رشاد مهنا بهذا الاتصال لانه ايضا تربطه أواصر القربى بفؤاد سراج الدين .

تخاذل ..

وتقابل جمال مع رشاد مهنا ، وطلب منه أن يذهب لمقابلة سراج الدين وجس نبضه ، وابلاغه أن الجيش اليوم لم يعد مستعدا للوقوف الى جوار الملك ضد اى اجراء شعبى تتخذه حكومة الوفد ، ويؤدى الى محاولة الملك البطش بها أو اقالتها ..

وتحدد موعد المقابلة بعد بعض تأجيلات من جانب رشاد مهنا .

ولكن الموعد المحدد بصفة نهائية أقبل .. واذا برشاد يعتذر عن مقابلة سراج الدين ، بدعوى انه قد جد مايشغله فى قريته ، وانه مسافر اليها فى اليوم نفسه ..

وللتسجيل والتاريخ ، أذكر هنا أن هذا الموقف من رشاد مهنا ، قد اثر كثيرا فى نفسية جمال ، فقد كان أول تخاذل يراه من رجل يحاول أن يعتمد عليه فى شىء ..

واندفاع ..

وبلغ هذا النبأ الى البكباشي احمد أنور ، مدير البوليس الحربي الان فمضى بنفسه الى البكباشى جمال عبد الناصر ، وأبدى استعداده للقيام بهذا الاتصال ، وقال انه غير معروف بنشاط معين ، وانه مستعد للتضحية حتى ان كانت هناك تضحية ، وان اكتشاف صلته بالوفد لن يؤدى — على كل حال — الى اى عواقب تصيب تشكيل الضباط الاحرار .

وكلفه جمال بهذه المهمة ، وان كان قد أبدى له شكه فى أن يستجيب سراج الدين ، واحساسه بأن سراج الدين سيحاول استدراجه دون أن يبوح له بشىء .. ثم أوصاه اذا أراد سراج الدين أن يصل معه الى اى قرار ، بأن يفهمه ان له اخوانا وقيادة لابد أن يرجع اليها قبل التصريح بأى شىء ..

وتمت المقابلة

وسأترك الان البكباشي احمد انور يروى تفاصيل هذه المقابلة ..

قال احمد انور ...

طلبت مقابلة سراج الدين ، واتفقنا على موعد المقابلة ... الساعة الخامسة والنصف ، فى بيته بجاردن سيتى ..

وارسل الى فؤاد سراج الدين الاستاذ فاروق القاضي المحرر بالجمهورية ، وكان اذ ذاك يشغل منصب السكرتير البرلمانى لفؤاد سراج الدين ، بصفته وزيرا للمالية ، ارسله الى ليقابلنى فى ميدان الاسماعيلية ، ويأخذنى الى داره .. وكان معى شقيقه جمال القاضي اركان حرب البوليس الحربى الحالى الذى جاء يصحبنى ليعرفنى بشقيقه ..

والتقيت بفاروق القاضي ، ثم ذهبنا ، واذا بفاروق يقودنا الى الباب الخلفى للدار حسب التعليمات التى كان قد تلقاها من فؤاد سراج الدين .

وجلسنا فى احد الصالونات الكبيرة .. ثم اقبل علينا فؤاد « باشا » وامر الخدم باغلاق الابواب وعدم السماح لاى احد بالدخول ..

وجلس ...

كنا اربعة ...

فؤاد سراج الدين وجمال القاضي ، وفاروق القاضي .. وانا ..

وانتظرت فى تحرز شديد وتحرج ، ان ينسحب فاروق ، ويدعنا وحدنا فى هذه المقابلة البالغة الخطورة والاهمية .. ولكن فؤاد « باشا » لمح منى هذا التحرج والتحرز .. فابتسم لى مشجعا .. وقال لى : تكلم .. فليس فاروق غريبا ..

وبدأت اتكلم ...

باطنا والريح

قلت له :

ـ لقد جاوز الملك كل حد ، وخصوصا بتعيينه حافظ عفيفى رئيسا لديوانه .. فلماذا لاتتخذون موقفا حازما تجاه هذا التحدى الصريح من الملك ...

وابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال فى بساطة خبيثة ..

ـ احنا طبعا .. خايفين ..

ـ من ايه ؟

من الجيش ... هى دى عايزه تفسير ؟

ثم استطرد :

ـ احنا ناس « باطنا والريح » ... واحنا صحيح كنا بنحايله لغاية

مانقدر نلغى المعاهدة . انما دلوقت اذا انزنقنا . فمفيش مفر .. حانخرج .. ونقول للشعب كل حاجة .

وثار جمال القاضى ، وهو فى طبعه عصبى شديد الانفعال .. وقال :

ــ ولماذا لم تفعلوا ذلك وقد عين الملك عبد الفتاح عمرو « باشا » مستشارا له ، رغم سحبكم اياه من سفارة لندن ! ..

وكان سؤالا محرجا .. ولكنه كان أيضا سؤالا فى الصميم .. ومع ذلك .. فقد ابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال أيضا فى بساطة :

ــ احنا رفضنا هذا التعيين رفضا حاسما .. ولكن الملك اصر ، وعينه بنفسه .. ثم وجدنا أن هذه المسالة مسالة صغيرة ، لاتستحق أن نعطيها من الاهتمام ماينسينا قضيتنا الكبرى ..

الشعب لا يفهم فى الدستور

وسألته :

ــ اليست فى اعتباركم اعتداء على الدستور .

وضحك سراج الدين وهو يقول :

ــ الدستور .. هى البلد دى بتفهم فى المسائل الدستورية ..

والقى برأسه الى الوراء كمن يتذكر أياما ماضية ثم قال :

ــ عندما وقعت الازمة بين الملك وبين النحاس فى الوزارة الماضية بشأن حق اعطاء الالقاب .. كانت هذه أزمة دستورية لاشك فيها ، فقد كان رأينا أن الملك لايمنح القابا الا بناء على طلب حكومته .. ومع ذلك ، مع كونها ازمة دستورية .. فقد استطاع الملك ان « يسرح » شيوخ الازهر فى البلاد ، وأن يوعز اليهم بان يخطبوا فى المساجد ضد النحاس ، ويوقعوا فى روع الشعب أن النحاس يريد ان يصبح ملكا يمنح الرتب والنياشين . وللاسف .. فهم الشعب هذا .. واضطررنا الى التراجع ، لان الشعب لايفهم كثيرا فى المسائل الدستورية ..

والتفت فؤاد سراج الدين الى فجأة . . ثم سألنى مغيرا مجرى الحديث :

ــ فيه ضباط كثير معاكم ؟ .

قلت :

ــ نعم .. من جميع الاسلحة ..

فعاد يسالنى محاولا ان يخفى ما أدركته انا من سؤاله ، وهو انه كان على علم بصورة ما بحركة الاحرار ..

ـ اظن كان فيه سلاح .. تعبان !!

واجبته على الفور :

ـ لا .. غير صحيح .. فجميع الاسلحة الآن مستعدة لاتخاذ اى موقف نراه .. ونحن جئنا هنا لكى نتفاهم معك على امكان الاستناد الى الجيش .. فهذا الجيش هو جيش الشعب وان يكون باى حال جيشا للملك .. وعليكم ان تتخذوا اى موقف قوى ... وعلينا نحن ان نقف الى جواركم ..

ورأيت من فؤاد سراج الدين انطواء شديدا ، ونظرات لمحت فيها بعض الشك والارتياب ..

ولم يكن أمامى الا ان اندفع فى حماس مبينا اخطاء الملك ، وجرائمه ، حتى يطمئن الينا .. ويتكلم ..

وفعلا شعرت ان نظراته قد تغيرت .. وبدأ يتكلم بصراحة اكثر كثيرا ...

كان يحاول ان يعرف منى تفاصيل كاملة عن عدد الضباط ومدى استعدادهم ، وحقيقة الثورة الكامنة فى داخل الجيش ..

ثم ترك موضوع الضباط ، وراح يتكلم فى السياسة المصرية والاحزاب والوطنية والسياسيين ..

وفجاة .. اعتدل فى جلسته ، وسالنى سؤالا .. لم اكن قد اعددت نفسى للاجابة عليه بحال من الاحوال ..

كان سؤالا ماكرا فى صيغته .. .. وفى طريقة المفاجاة التى وجهه بها الى ، فؤاد سراج الدين .

أوشكنا أن نقوم بالحركة في مارس ١٩٥٢

- فاروق يحاول مغادرة البلاد بعد حريق القاهرة
- سراج الدين يستدرجنا ليصبح وزيراً للحربية
- حسين وطه حسين ..
- ١٢ تشكيلاً ...
- اللعب على الحبلين ..
- سنعمل وحدنا ...

ان المقـــابلة التى تمت بين فؤاد سراج الدين ((باشا)) وبين البـــكباشى احمد انور فى أواخــر ديسمبر من عام ١٩٥١ ، والتى تركنا لاحمد انور تسجيلها فى صفحتنا الاخيرة من هذه الصفحات ، كانت من أهم المقابلات التى تمت قبيــــل ظهور حركة الجيش ...

ولم تكن اهميتها عندنا ناجمة عن شعور منـــا باهمية معاونة الوفد لنا فى حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قـــررنا نهائيا أن ينفـــرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أى هيئة سياسية أو غير سياسية خارج نطاقه .. ولكن هذه الاهميـــة جاءت من شعورنا بوجوب اكتشاف كل شبر من الارض التى نمشى عليهـــا ، قبل أن نقـــدم على خطوتنا .

لقد كان جمال عبد الناصر قليل الامل فى امكان قبول الوفد لما نعرضه عليه .. ولكن هـــذا لم يمنعه من السعى الى الوفد هذا السعى الحميد .. ولو أن الوفد قبـــل ان يكون الشرارة التى تطلق الثورة ، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث .. ولكنه لم يقبل .. وساترك للبكباشى أحمد أنور اتمام حديثـــه الذى نشرنا بدايته فى الفصل السابق ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد عن المضى فى الطريق الوحيـــد الذى كان يجب أن يمضى فيـــه . . وكيف أثر هذا التخـــاذل فى الاحداث المتلاحقـــة التى شاهدتها مصر فى مطلع عام ١٩٥٢ .. والتى انتهت بظهور الثـــورة ، وانتهاء عهد الفساد ...

قال البكباشي احمد أنور ..

كنت قد مهدت الجو تماما لكي يشعر فؤاد سراج الدين بملء الثقة في شخصي فيتكلم ويفصح ، ولا يخشى أن تكون هناك دسيسة أو مكيدة قد دبرت له

وكان فؤاد سراج الدين قد بدأ يشعرنى بانى اصبحت فعلا موضع ثقته .. واخذ يتكلم بصراحة وحرية في موضوعات سياسية ووطنية محاولا ايهامي بانه يذكر لى أسرارا خطيرة لا ينبغى أن تذكر الا لمن يكونون فى الموضع الاول من ثقة الرجل فيه ..

وفجاة سالنى السؤال الذى لم أكن قد توقعتان يوجه الى ولا اعددت نفسى للاجابة عليه

قال لى فؤاد سراج الدين فى بساطة :

ـ مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش ؟

قال : قيادة الجيش .. ولم يقل قيادة الحركة .. وقالها فى بساطة لا مثيل لها وكانه يسال عن الصحة أو يتحدث عن حالة الطقس

ولم افهم انا مغزى سؤاله الا بعد انصرافى من منزله .. عندما جلست استعيد مادار فى الجلسة حرفا حرفا لكي أقدم به تقريرى الى البكباشي جمال عبد الناصر .. فقد ادركت عندئذ منوضع اسئلته المتناثرة سؤالا الى جوار الآخر انه لم يكن يسالنى مجرد سؤال برىء عمن أظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة الجيش وانما كان يقصد تماما الى معرفة رئيس حركة الضباط الاحرار .

ادركت هذا بعد خروجى من منزل سراج الدين .. وحمدت الله عند ذلك كثيرا .. فعلى الرغم من مفاجاته لى بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذى كان قد سيطر على الجلسة ، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التى القى بها سؤاله فقد سيطر على ، دون أن أدرى لذلك سببا ، الحذر الطبيعى الذى كنا قد تعلمناه فى الفترة السابقة من الاعداد للحركة وكنت بالطبع فى مازق ..

فلا بد لى أن اجيب .. والا فقدت ثقة الرجل التى اجهدت نفسى فى اكتسابها .. ولم يكن ممكنا ان اجيب لان شخص القائد كان لا بد ان يظل سرا حبيسا لا يعلم به احد

ووجدت نفسي اختار اسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا رجل لا صلة له مطلقا بالضباط الاحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه فى الوقت نفسه شخصية يمكن اذا ذكرت الا يقابل ذكرها فى هذا المقام باى قدر من الارتياب ..

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جدا من سؤاله :
ـ اعتقد أن اللواء سيف الدين هو الذى يصلح اليوم لقيادة الجيش
واللواء سيف هو سفير مصر اليوم فى عمان ..
وهز سراج الدين رأسه وقال لى :
ـ اختيـــار موفق
ولم افهم مغزى هذه الكلمة أيضا ، فقـد كنت لا أزال ماخوذا بالمازق الذى وجدت فيه ..
ويبدو أن سراج الدين قد سره أن عرف منى اسم ((قائد حركة الضباط الاحرار)) واراد أن يصل عن طريقى الى معلومات أخرى اعم واشمل .. ولكنه كان فى كل كلمة حريصا وكان لايسال سؤاله الا بعـد أن يمهد له كثيرا . .
هذا كله ادركته بعد انصرافى من منزله اما اثناء وجودى فقـد كنت احاول فقط أن أجيب على أسئلته وأن أعرف منه رأيه فيما جئت أعرضه عليـه ..

حيـدر وطه حسين !

وبدا سراج الدين تمهيده الطويل الثانى بالحديث عن الفريق حيدر باشا وكان طرق هذا الموضوع امرا طبيعيا ما دمت قد حددت له اسم القائد الجـديد . .
فأخذ يتحدث عن انتخابات النادى الاولى ، ثم قال :
ـ أنتم خذلتمونا فى مسالة حيدر ..
وكانت الحكومة قد قبلت استقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على أثر التحقيقات التى اجريت فى قضية الاسلحة الفاسدة ، ولكن الملك اعاده بعد ذلك رغم ارادة الحكومة .
وقال سراج الدين :
ـ لقد قلنا للملك ان اعادة حيـدر ستؤدى الى كارثة وان الضبـاط جميعا سيثورون .. ولكنه عندما اعاده . ثم ندبه عنه فى حضور حفلة نادى الضباط ، صفق له الضباط طويلا فى حضور وزير الحربية الوفدى، مصطفى نصرت ـ مما أوجد الوزير فى حرج شديد ، وشلنا فى موقفنـا من الملك شللا كاملا .

وكانت هذه القصـــة قد وقعت بالفعل وكان تصفيق الضباط لحيدر هو اكبر لطمة وجهت الى حكومة الوفد واضعفت موقفها .

واردت ان اطمئن سراج الدين ، بافهمامه ان ما حدث لا يعبر مطلقا عن راى الجيش .. وان هذه المظاهـرة قد افتعلها عـدد معين من الضباط .. ثم قلت له ..

ـ اننا لو اتينا بطه حسين وعيناه قائـدا عاما لكان احسن كثـيرا فى منصبه من الفريق حيدر باشا .

ورأيت فؤاد سراج الدين يبتسم . فاستطردت قائلا :

ـ لانه ـ على الاقل ـ يفهم فى السياسة ..

وضحك سراج الدين ثم قال :

ـ على كل حال انتم صفقتم لحيدر ... واحرجتمونا

وفى الحال ، قال لى :

ـ هل سمعتم عن اتجاه النية الى التخلص من بعض الضباط ؟

وكنا على علم بذلك فعلا فقد كانت هناك قائمـــة قد أعدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن اسماء سـبعة ضـباط من تشـــكيلنا .

١٢ شيشكلى

وقلت له : **لقد سمعنـا ان الملك قال لحيـدر بغضب « ازاى تسيب ١٢ شيشكلى قاعدين فى الجيش ؟ ! »**

وطرب سراج الدين لهذه الاجابة .. ثم سالنى :

ـ زى مين ؟

ولما وجدنى تلكأت فى الاجابة ... استطرد هو قائلا :

ـ انك تستطيع اذا عرفت الاسماء وكانت تهمكم ان تبلغنى شخصيا بما تعرف .. فقد استطيع ان اكون مفيدا !

وكنا نحن نعلم ان هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش .. وكان فؤاد سراج الدين يريد ان يعرف مالدى من معلومات لكى يشعر الملك بانه على علم بكل شىء ثم يستغل هذا فى الوصول الى هدفه الذى سعى اليه كثيرا .. وهو ان يكون وزير الحربية .. فقد كان همه فى تلك الايام ان يقنـع الملك بانه اذا اصـبح وزيرا للحربيـة لاستطاع ان يسيطر على الجيش تمام السيطرة ..

من أنتم ؟ !

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعداده لكى يكون مفيدا لنا اذا عرف منى أسماء من يهمنا امرهم ..

ولكنى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور :

— ارجو الا تهتم معاليك كثيرا بالاسماء .. ويكفى ان تتأكد من وجود قوة مخلصة كافية داخل الجيش .. وانك انت الذى تستطيع ان تعتمد علينا وان تجدنا فى اى وقت اذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد ازركم تجاه الملك ، فى اية خطوة دستورية او وطنية تريدون اتخاذها

وطرق سراج الدين .. ثم قال :

— يعنى ؟ !

فأجبته :

— يعنى اننا نريد منكم بصراحة ان تتخذوا موقفا وطنيا شديدا من الملك

فقال :

— واذا اقالنا الملك ؟ !

قلت له :

— تتمسكون بمراكزكم وتتركون الباقى لنا .. فالجيش كله على استعداد للوقوف الى جانبكم فى هذه الحالة وقوفا قويا فعالا مؤازرا ...

وابتسم سراج الدين وهو مطرق .. ثم قال :

— ربنا يسهل ... وان كان رأيى الصريح هو ان الجيش يجب ان يلزم شئونه الخاصة

وانتهت المقابلة بذلك .. وتوجهت الى البكباشى جمال عبد الناصر ، فرويت له كل تفاصيلها ..

اللعب على الحبلين

ولنعد الى حديث الحركة .. فقد درسنا موقف الوفد بعد ذلك على ضوء هذه الاجابة الواضحة من سراج الدين .. وعلمنا بوسائلنا الخاصة ان سراج الدين قد اخفى نبأ هذه المقابلة عن جميع وزراء الوفد فى ذلك الوقت . . وأنه اراد ان يبقى امرها سرا بينه وبيننا . . وبين مصطفى النحاس ..

والواقع ان هـذا الموقف من الـوفد قد اثر تأثيرا اكبيرا فى الأيام التى تلت ذلك . .

فقد كانت حـوادث القنال تتفاقم يوما بعد يوم . . وكان شباب مصر يقوم بأعمال عظيمة وهو اعزل من كل سلاح الا وطنيته وايمـانه ، وكان رجال البوليس يتحملون العبء الأكبر من اعباء الجهاد ضد جيش كبير كامل التسلح .. وكان الموقف يفلت من يد حـكومة الـوفد يوما بعديوم .. لمحاولتها السير فى اتجاهين واللعب على حبلين فى وقت واحد ..

فقـد كانت تسـايرالملك ، وتعبىء الشعب .. والملك خائف من الشعب متآمر عليه ، والشعب حانق على الملك ثائر عليه .. والحكومة تريد ان تسير فى هذين الاتجاهين المتناقضين

ولم يكن لنـا بد من الانتظار ، لان هـذه الحكومة لاتريد ان تقف الموقف الحازم الذى يمكننا من التـدخل واقرار الامور ، وايقاف الملك عند حده ، او الاطاحة به ، والسير بالكفاح فى طريقه القويم .

وفجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى .. حريق القاهرة ..

حدث هذا الحريق الذى أكل اقتصاديات البـلاد ، وأطاح بسمعتها ومكن للقوى الرجعيـة من الانتكاس بانتفاضتها فى لحظة واحـدة . . دون انتظار ولا توقع من احد ..

وكيف كان لنا ان نتوقع حادثا كهذا ..

لقد فوجئنا به ... واعترانا الوجـوم أياما ... ثم بدأت جميـع حواسـنا المعنوية والمادية تعمـل معـا ، بصورة لم يسبق لهـا مثيل فى تشكيلنـا . . .

كنا نريد ان يتبين الطريق ، وان نعرف كيف نضرب ضربتنا ، بعـد وقوع هذا الحادث وما تبعه من سوء الموقف الدولى لمصر ، ومن خراب اقتصادى ، وذهول شعبى ، وانتكاس كامل ، وسيطرت الرجعية بصورة لامثيل لها على كل مرافق البلاد ...

وبدانا نلاحظ ونراقب ...

فاروق ينتابه الذعر

وكان أول ما استقرت عنـده افكارنا فترة معينـة هو ذلك الذعر الذى انتاب فاروق ، عقب الحادث مباشرة .. والتفكير المضطرب الذى كان ينساق به فى الصباح الى غير ماينساق به فى المساء .

لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا .. وفكر فى الهرب من البلاد ، واعد نفسه للسفر فعلا .. ووجدنا نحن انفسنا فى موقف من يجب ان يعد نفسه للعمل فى اية لحظة ، ومهما كانت الظروف والعقبات .

سنعمل وحدنا

واجتمعنا ، وحددنا موعدا تقريبيا لحركتنا شهر مارس ١٩٥٢ ، اى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الاجتماع .. ووضعنا خطتنا كاملة .. وكنا قد راعينا فيها الاساس الاول الذى اتفقنا عليه من بدء التدابير الاولى للحركة ، وهو ان ينفرد الجيش بهذه الحركة انفرادا كاملا ، دون الاعتماد على اية هيئة او جماعة او حزب ففقد كانت اتصالات جمال عبد الناصر المتعددة مع جميع الهيئات ، قد اثبتت لنا بصورة قاطعة انه لا توجد هيئة واحدة على استعداد للقيام بأى عمل جدى الى جانبنا ..

واتخذنا هذا الموقف لاكثر من اسبوع .. موقف التاهب الكامل للقيام بالحركة فى اى وقت ..



على ماهر



نجيب الهلالى

ولكن الاسبوع الذى مر بعد ذلك جدد احداثا جديدة فى حياة البلاد فقد اقيلت وزارة على ماهر .. او استقالت مرغمة .. وجاء شهر مارس بوزارة الهلالى ، وباسلوب جديد .. وهدات مخاوف فاروق، وقرر البقاء فى البلاد .. ووجدنا ان فرصتنا تكون اكبر اذا انتظرنا قليلا حتى تنكشف الامور ، ويفيق الشعب من الذهول الذى اوجدته الاحداث فيه

وهكذا قررنا تاجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له شهر مارس.. وكان هذا هو التاجيل الاخير ..

صفعات للقصر في معركة نادي الضباط

- حسين والمراغي يتدخلان باسم القصر .
- ثورة الضباط .
- رشاد مهنا يتهرب من الاحرار .
- مصرع ضابط .
- المراغي بعد حسين .
- قرارات وانتصارات .

مثلما كان حادث ٢٦ يناير مفاجأة كبيرة لنا ، فقد كان ايضا حافزا على ضرورة تحديد موعد الحركة بصورة نهائية ، لان وقوع هذا الحادث كان ايذانا ببدء عهد من النكبات والكوارث، والارهاب الملكى فى البلاد . وكان لابد بالطبع أن يوضع حد لهذا الجو الذى وجدت مصر فيه ، وكنا قد رتبنا انفسنا على ان نضع هذا الحد ، مهما كانت عواقب المخاطرة .

ومع ذلك ، فلم نكن عند وقوع حادث ٢٦ يناير ، نجهل حقيقة قوتنا .. فقد كنا كما اسلفت قد اختبرنا قوتنا جيدا عن طريق عملية الحصر الكاملة التى قام بها جمال وعبد الحكيم كما اننا كنا قد درسنا ((تقدير الموقف)) الذى قام به عبد الحكيم دراسة اقنعتنا اننا قادرون على العمل ...

ولكن هذا لم يكن كل مابين ايدينا . فقد كنا قد خضنا تجربة ونجحنا فى اجزائها الاولى نجاحا اقنعنا تماما باننا نستطيع ان نقود الجيش قيادة كاملة يوم نحدد القيام بالحركة ... كما ان انتصارنا فى هذه التجربة ، كان فى حد ذاته انتصارا للفكرة الشعبية بين الضباط ، فكان انتصارا من النوع الذى يشحذ الهمة ويغرى بمواصلة العمل ..

كان كل ضابط يشعر انه قد عمل عملا ونجح فيه وفرض رايه فرضا كاملا . وكان هذا وحده كفيلا باذكاء النخوة ، واشعال الحماس .

ولم تكن التجربة التى خضناها معركة بسيطة .. بل كانت اضخم معركة واضحة مكشوفة بيننا وبين القصر .. كانت المعركة المعروفة بمعركة نادى الضباط .

ففي ديسمبر من كل عام ، كان الضباط يجتمعون فى جمعية عموميـة بناديهم ، لانتخاب رئيس النادى واعضاء مجلس ادارته .

وكانت جماعتنا فى ذلك الوقت قد فرغت تماما من اختيار القائد الذى يقود الثورة امام الشعب ، يوم تقوم المعركة .. وكان هذا القـــائد ، كما قلت فى صفحة سابقة ، هو اللواء اركان الحرب محمد نجيب ..

وعلى الرغم من اننا احتفظنا بهذا الاختيار سرا بيننا ، فلم يعلن حتى للرجل نفسه .. فقـد كان لا بد مع اقتراب الزمن والموعد المبدئى الذى حددناه للحركة من ان نخطر اللواء نجيب بهذا الاختيار ، وان نسمع منه الموافقة على مشاركتنا هذا العمل الجرىء .. كما كان لا بد لنا ايضا ان نركز عليـــه الاضواء فى مناسبات مختلفة .. لكى تأتى قيـادته لحركة الضباط امرا عاديا طبيعيا منطقيا فى اعين الجميع ...

ورأى جمال ان معركة انتخابات نادى الضباط هى اول فرصة يمكن ان تلقى بها اضواء كبيرة على شخص القائد .. وقررنا تبعا لذلك اخطاره بكل ما انتوينا القيام به ، واشراكه فى عمليتنا الاولى اشراكا كاملا ..

واخطرنا اللواء ((نجيب)) بما اعتزمناه ... ثم أبلغناه اننا سنرتب الامر على ترشيحه رئيسا لنادى الضباط وعلى ترشيح قائمة معينة من رجالنا لعضوية مجلس ادارة النادى ...

لطمة للقصر

وكان هذا العمل يحوى فى طياته أمرين :

الامر الاول اننا اردنا ان نوجه لطمة واضحة قاسية للقصر .. اذ كان القصر مصرا على أن يكون رئيس النادى هو اللواء حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود .... ولما كان حسين سرى عامر ، هو الرجل الذى حل محل اللواء نجيب عندما رؤى اقصاؤه عن سلاح الحدود الى سلاح المشاة ، فقد كان ترشيحنا لنجيب ، هو فى حد ذاته وبغض النظر عن كل نتائجه يعتبر تحديا صريحا لارادة الملك ..

واختبار لقوتنا

اما الامر الثانى ، فهو اننا أردنا أن نقود معركة انتخابات النادى قيادة كاملة ، لنعرف بالضبط مدى الحماس الذى تقــابل به حركتنا ، ومدى قوتنا بين الضباط . لا على أساس الحصر النظرى .. ولكن على أساس التجربة العملية الواضحة ..

فالمعركة ستقوم بيننا وبين الملك .. ونحن نعرف ضباطنا .. ولـكننا أيضا يجب أن نطمئن الى مدى تحمسهم واندفاعهم فى تاييدنا عندما يصبح هــذا التأييد خطرا صريحا يتهدد الضباط .. وعنــدما تكون المعركة مكشوفة بين كل ضابط .. وبين القصر ..

فالمعركة اذن ــ معركة النادى ــ ليست معركة مقصودة لذاتها ، ولكنها معركة لها أهداف خفية أولها هدف ظاهر وهدف خفى .. فأما الظـاهر فهو زلزلة الهيبة الملكية فى البلاد بان يخوض الضباط معركة سافرة ضد الملك .. وأما الهدف الخفى أو الاهداف الخفية ، فأهمها معرفة حقيقــة قوتنا وتسليط اقوى مجموعة من الاضواء على شخص اللواء نجيب .. الرجل الذى تقرر ان يقود حركة الاحرار ...

القصر يتدخـــل

ويبدو أن ادارة الجيش ومخابرات القصر قد شمت اذ ذاك رائحــة معينة ، تفيــد أن الضباط ينكتلون لاســقاط مرشح القصر فى انتخــابات النادى ..

وكان لا بد بالطبع ان يشيع هذا الامر .. فانتخابات النادى مســالة علنية تستعمل فيها الدعايات ، ويخوض حديثها الضباط .... ولا يمكن قصر عمليتها على الضباط الاحرار المنظمين فى التشكيل دون غيرهم .. ولكننا لم نكن نتوقع أن تكون استجابة القصر لما اشيع سريعة وحاســمة بالصورة التى ظهرت بها ..

فقد فوجئنا فى يوم من أيام شــهر ديسمبر .. بقرار أصدرته رياسة الجيش بالغاء انتخابات النادى وتاجيل موعدها الى أجل غير مسمى ...

بدء المقاومة

وكان هذا القرار هو بدء التجربة ...

كان رشاد مهنـا اذ ذاك عضـوا فى مجلس ادارة النادى القديم . وكان جمال عبد الناصر رغم ما يعرفه عن رشاد مهنا قبل ذلك ، شديد الامل فى أن يستطيع ادماج رشاد مهنا فى معركة النادى بصورة واضحة ...

فالتقى جمال برشاد .. ووجد منه تحمسا لمقاومة هذا القرار ، الذى يعتبر لطمة موجهة الى الضباط جميعا ..

وكان لا بد اذن من مقاومة .. ومن اجراء خطير ...

وجمعنا جمال .. وقال ان الضباط الاحرار لا يستطيعون صبرا بعد هذا .. وان اى تلكؤ فى اتخاذ عمل ايجـابى سريع ضد رغبات القصر قد يؤدي الى انتكاس حماسة الاحرار ... ولا بد لذلك من عقد الجمعيـــة العمومية للضـــباط فى موعدها .. لا بد من أن يتم ذلك رغم انف ادارة الجيش .. ولتكن فرصة نعرف فيها على وجه التحقيق .. مدى ما لنا من قوة ومن تأثير ...

وكان البعض فى ذلك الوقت بعيدا عن القاهرة .. فقد كان عبد الحكيم مثلا فى العريش ...

واذا بالمجموعة كلها تتلقى أوامر جمال عبد الناصر ، باعداد مناطقهـــا فورا .. والحضور الى القاهرة .. فى اجازات ..

وتم ذلك .. واكتملت المجموعة الرئيسية للاحرار .. أو ماعرف بعد ذلك بمجلس القيادة .. فى القاهرة .. وبدانا نعمل .. بقيادة جمـــال عبد الناصر ...

وفى الموعد المحدد لاجتماع الجمعية العمومية ، تم الاجتمـاع . وقرر الضباط وجوب تحديد موعد سريع لاجراء الانتخــابات .. ثم انفضوا للاستعداد للمعركة ...

كانت هذه أولى انتصـــاراتنا .. فقد كسبنا جولة كبيرة بعقد هـــذا الاجتماع فى موعده رغم انف رياسة الجيش .. هى جولة معركة الثقة ..

وبانتصارنا فى هذه الجولة شعر القصر بأنه أمام قوة ليس من السهل عليه أن يتلاعب بها وقرر رجاله أن خسارتهم للجولة الاولى يمكن أن تنقلب انتصارا فى الجولة الثانية .. والجولة الثانية هى اجراء الإنتخابات فملا .. ونتيجة هذه الانتخابات تحدد المنتصر وتحدد المهزوم .

ويبدو أن القصر كان على يقين من انتصاره .. وانه فى الوقت نفسه لم يكن قد أعد نفسه لتحدى شعور الضباط جميعا بالوقوف فى سبيل اجراء الانتخابات .. وعلى أى حال ، فقد حددت رياسة الجيش موعد الانتخابات بعد شهرين .. وبدأت بذلك المعركة الانتخابية ...

مصرع ضابط

وفى خلال هذين الشهرين ، وقع حادث ٢٦ ينـاير المشئوم ، وحادث اغتيال المرحوم عبد القادر طه المعروف ..

وان كان حادث حريق القاهرة قد جاء مفاجأة مذهلة لنـا بحيث لم نستطع أن نصنع حياله شيئا .. فقد استطعنا ايذاء الملك ايذاء بالغا فى حادث اغتيال المرحوم عبد القادر طه ..

فلم يكد هذا الضابط يغتال ، حتى أصدرت الرقابة أمرها بعـدم نشر نبأ مصرعه فى الصحف .. ومعنى هذا الا تشعر البلد بجريمة كهذه تقع جهارا نهارا .. وبأيدى رجال السراى ...

ولكن جمال لم يعبأ بمنع النشر ، وانما أصدر أمره الى ضباط جميـع الاسلحة بنعيه نعيا رسميا باسم أسلحتهم .. وصدر النعى

وانتصـاراتنا

واجتمع الضباط فى الموعد المحدد لاجراء الانتخابات ..

فكان أول ما صنعوه ، هو اقتراح وقف الاجتماع خمس دقائق حدادا على مصرع الشهيد عبد القادر طه ...

وكان هذا هو أول مظهر للتحدى فى داخل الاجتماع ..

وجاءت الخطوة الثانية .. خطوة رفض تمثيل سلاح الحدود .. واذا بالامر لا يكاد يعرض حتى يرفض .. وبالاجماع !

ثم جاءت الخطوة الثالثة .. وكانت نتائجها قد بدأت تكون مؤكدة بعد نجاحنا فى الخطوتين الاوليين ..



وروعت البلاد بحريق ٢٦ ينساير

الانتخابات .. ونتيجة الانتخابات ..

اجماع أو شبه اجماع على انتخابات محمد نجيب رئيسا للنادى . . واغلبية ساحقة لمن شملتهم القائمة التى رشحناها . .

ثم ما يوصف بأنه « ضربة معلم » اذ أننا رشحنا فى هذا الاجتماع الفريق حيدر باشا .. رئيس شرف للنادى فوافق الضباط بالاجماع ..

وكان لهذا الترشيح مغزاه وكان له مفعوله أيضا .. فقد حطمنا به جبهة القصر تحطيما كاملا .. اذ أن اللواء حسين سري عامر ظن أن اقصاء سلاح الحدود قد تم بالاتفاق مع الفريق محمد حيدر .. أو بالتآمر معه كما قال ، فذهب من فوره الى الملك يشكو له من حيدر ويتهمه بأنه تآمر مع الضباط ضده وضد سلاح الحدود ..

وفى الواقع أن اتخاذ القرار الاجماعى بعدم تمثيل سلاح الحدود قد ازعج القصر وازعج حسين سرى عامر بصورة لا مثيل لها ، فقد اعتبر حسين سرى عامر هذا الموقف صفعة علنية وجهت اليه من ضباط الجيش

محاولات

وظننا نحن ان المعركة يمكن أن تنتهى هكذا .. وأن هذه الهزائم المتتالية للقصر ورجاله كفيلة بأن ترد لهم عقولهم ، وأن تحول بينهم وبين ارتكاب حماقات أخرى تضيف الى هزائمهم هزائم جديدة ..

ولكن ما قدرناه لم يكن هو الصواب ..

فقد ركب القصر رأسه ، واخذته العزة بالاثم ، وأصدر أمره صريحـــا قاطعا الى الفريق محمد حيدر بأن يتخذ اى اجراء يلزم لكى يظفر سلاح الحدود بمقعد فى مجلس ادارة النادى .. وأن عليه فى حالة فشله فى ذلك ، أن يقوم بحل مجلس الادارة المنتخب فورا ..

صدرت هذه الاوامر لحيدر ، فأرسل فى طلب القائمقام رشاد مهنا . ثم ارسل فى طلب اللواء محمد نجيب رئيس النادى .. وفى صراحة ووضوح بسط لهما الموقف كاملا ، وطلب منهما ان يعمـــلا اى شىء لقبول عضو فى المجلس يمثل سلاح الحدود .. واقترح رشاد مهنا حلا للاشـــكال قبول عضو مستمع فى المجلس ورفض محمد نجيب هذا الطلب ، وقال أن هذا الامر من حق الجمعية العمومية وحدها ، وانه لا يستطيع البت فيه ..

وعاود الفريق محمد حيدر محاولته مع اللواء نجيب ، وافهمه أن قرار حل مجلس الادارة مُعّد فعلا .. وأن عليه أن يرى حلا للمسألة ، وأن هذا الحل الذى اقترحه رشاد مهنا يمكن أن يضع حدا لهذه الازمة ..

وقبل نجيب قبول عضو مستمع ، مشترطا لذلك شرطين ..

* **موافقة مجلس ادارة النادى على ذلك ..**
* **ان يكون هذا العضو مؤقتا الى ان تجتمـــع الجمعيـــة العمومية للنادى ، وتقر الامر او تلغيه ..**

ثورة الضـــباط

وكان انعقاد الجمعية العمومية للنادى ، فى هذه المرة صفعة ثانية اليمـــة للقصر ولرجل القصر حسين سرى عامر .

ففى هذا الاجتمـــاع خرج الضباط عن كل حـد ... هاجموا القصر هجوما علنيا عنيفا ، وقالوا ان النادى هو نادى الضباط وحدهم ، وانهم لن يسمحوا لقوة كائنة ما كانت ان تتدخل فى شئونه عـــلى اى وجه من الوجوه ..

وفى فورة الحماس المتاجج والثورة العارمة .. اخـذت الاصـوات .. واذا بالجمعية العمومية تقرر بالاجماع رفض قبول حســـين سرى عامر كممثل لسلاح الحدود بالجيش .. وخروجه فورا .. وتوجيه اللوم الشديد لمجلس الادارة على قبول عضو مستمع بدون اخذ راى الجمعية العمومية لاعضاء النادى ..

ولم يكن أحد يتصور ان يقف الضباط هـذا الموقف العنيف الثائر ..

كنا نعلم انهم سيعارضون ، وانهم سيرفضون قبول ممثل سلاح الحدود ولكننا لم نكن نتصور هذه الثورة ، وهذا الكلام الجارح العلنى الموجـــه للقصر ، وهذا العنف والتشديد الذى يصل الى حد توجيـه اللوم لمجلس ادارة النادى الذى أولوه ثقتهم الكاملة ....

رشــاد يهـرب

ويبدو ان رشاد مهنا بعد ذلك احس ان الموضـــوع قد دخـل فى دور جديد ، هو دور التحدى العلنى بالفعل والقول معا .. وكان رشـــاد ـ فى الوقت نفسه ـ قليل الثقة فى نجاح الثورة .. لانه لم يكن يعلم حتى ذلك الوقت بما اتخذناه فعلا من الخطوات .. ويبدو أن هذه الزعزعة فى ثقته بأمكان وقوع ثورة . قد دفعته الى النأى بنفسه عن مواضع الشبهات .. فقد فوجئنا ذات صباح بقرار صادر من مدير سلاح المدفعية بنقل القائمقام رشاد مهنا الى العريش ..

وكنا نعتقد ان رشاد لابد ان يبقى فى القاهرة ، وانه سيكلف بدور معين فى حركة الاحرار

وكان جمال فى ذلك الوقت قد بدا فعلا يضع خطته النهائية .. فلمـــا علم بهذا القرار .. تملكه الضيق ، وصمم على الغاء هذا النقل ..واستدعى اليه صلاح سالم ، وكان فى رفح ، وطلب منـــه ان يذهب الى حيـــدر ويحاول معه باية وسيلة الغاء هذا النقل ، موهما اياه ان هذا النقل لابد ان

يؤول بين الضباط كأنه بدء حركات انتقامية من اعضاء مجلس ادارة النادى

وذهب صلاح ، وكلم حيدر فى الامر ... واتصل حيدر امام صلاح بمدير سلاح المدفعية يسأله : « لماذا نقلت رشاد الى العريش » وكيف لم تخطرنى بذلك !

واذا بالحقيقة المؤلمة تبدو سافرة فى لحظة واحدة .. فقد اجاب مدير سلاح المدفعية فورا بان رشاد مهنا شخصيا هو الذى طلب هذا النقل .. واستاذن مدير السلاح الفريق محمد حيدر فى القدوم اليه فورا وإطلاعه على الطلب المقدم من رشاد مهنا بنقله ..

ولكن صلاح لم يكن يستطيع ان يصدق مايسمع ، فأصر على أن يرى أيضا .. وفى دقائق ، جاء مدير السلاح ، ومعه طلب مقدم من رشاد مهنا بنقله الى العريش !!

وكان هذا الموقف من رشاد مهنا سببا فى اتخاذ جمال عبد الناصر قرارا حاسما ، باستبعاد رشاد مهنا نهائيا من أى عمل ايجابى يقوم به الاحرار .

المراغى بعد حيدر

على أن القصر لم يكن قد يئس بعد .. فلم يكد حيدر يفشل معنا بوسائل التهديد والاقناع ، حتى عاود القصر الاتصال بنجيب عن طريق مرتضى المراغى وزير الحربية فى ذلك الوقت ...

واستدعى المراغى نجيبا ، وطلب منه ان يحل هذا الاشكال .. والايخرج من عنده الا وقد وعده بان يقنع الضباط بمسألة قبول حسين سرى عامر بمجلس ادارة النادى ..

وكنا على علم بما كلف به المراغى ... وكنا قد أوصينا نجيبا بالا يتزحزح بحال من الاحوال ....

وقال نجيب للمراغى .. انى لا أستطيع شيئا .. وان كنتم تريدون منى ان استقيل .. فلا مانع لدى !!

وكانت هذه هى آخر الجولات الخاصة بقبول حسين سرى عامر عضوا بمجلس ادارة النادى .. ولكنها لم تكن بآخر المعارك ولا آخر القصص ..

فقد تلا هذا الموقف عددمن القصص المسليةالتى كانت تظهر لنا اتجاهات القصر ورجاله ومدى التخبط الذى اوقعوا فيه انفسهم ...

ولعل من الطف القصص التى وقعت فى ذلك الوقت قصة شاركتنا فيها المطربة المعروفة ... شهرزاد ...

ولابد من شيء من الترويح عنك أيها القارىء على كل حال ...

كان سلاح المشاه قد دعا الى اقامة حفلة ترفيه لجنوده .. وكان نجيب كما هو معروف هو مدير سلاح المشاة فى تلك الفترة ..

ودعا نجيب الى الحفل كلا من الفريق محمد حيدر ، و « معالى » مرتضى المراغى « باشا »

واذ كانت المنافسات اذ ذاك قد بلغت اشدها بين المراغى وبين حيدر .. فقد غضب حيدر لدعوة المراغى وقرر الا يحضر الحفل ..

وكانت مطربة الحفل هى المطربة شهرزاد ..

وكان مقررا ان تذاع الحفلة ... وكانت محطة الاذاعة قد ارسلت آلاتها فعلا الى مكانها

وفجاة صدرت الاوامر من حيدر الى محطة الاذاعة .. أو وقع التفاهم بين حيدر وبين كريم ثابت .. بعدم اذاعة الحفل ..

وبينما تتأهب شهرزاد للغناء على المسرح .. وجدت مذيع الاذاعة ومهندسيها يفكان الميكرفون .. ويرفعانه .. ويعودان به ..

وسألت شهرزاد : ما الخبر ؟!

قيل لها : تقرر الا تذاع الحفلة

ولم تكن شهرزاد بالطبع تستطيع ان تفطن الى ان هناك حركة فى الجيش تغضب القصر ، وان هذا الاجراء مقصود به مسائل سياسية من أى نوع كان

وانما كانت تفهم فقط ان الاذاعة قد استكثرت عليها أن تغنى من مكان عام .. وفى حفلة من حفلات الجيش على الخصوص ..

بل لقد ذهبت بها الظنون الف مذهب ، وتصورت ان لبعض المطربات دخلا فى منع اذاعتها ، وان لبعض موظفى الاذاعة دخلا ايضا فى هذا المنع ..

وبالطبع لم يكن هناك شيء من كل هذا ... ولكن أيضا لم يكن هنــــاك من يستطيع اقناع شهرزاد بان تغنى ابدا .. فقد صممت على عدم الغناء. لانها مطربة لها كرامتها ، ولها صوتها ، وليست اقل من احـــد .. واما ان تذيع الاذاعة حفلتها .. أو لن تغنى أبدا ..

اما نحن ، فكنا جد حريصين على نجاح الحفل ، رغم هـــذه الفعلة التى فعلها حيدر ..

وكان لابد من المصارحة .. مصارحة شهر زاد بكل شيء ... وسار اليها نجيب .. وقال لها ان ماحدث لاصلة له بك ولا بغيرك من المطربات .. انه نتيجة مؤامرة تدبر لنا .. وان الذين يدبرونها هم الكبار جدا ... وانك اذ تغنين اليوم انما تغنين لاربعة آلاف ضابط وجندى كلهم يسعدهم ان تفشل هذه المؤامرة ...

ويا للمصرية الشجاعة المعاندة ..

لم تكد شهر زاد تشعر ان هناك نوعا من التحدى للكبار جدا .. كما قال لها نجيب .. حتى اخذت الامر مأخذا جديدا .. فقررت ان تغنى لا كمـــا كان مفروضا فحسب .. ولكن الى الصباح ....

الثورة ليلة التنفيذ

- كمال الدين حسين يخرج بلا سلاح ..!
- لماذا عينا رشاد مهنا وزيرا ووصيا على العرش
- مثل للسياسيين .
- الخطأ الوحيد ...
- يوم مجيد ...
- ذكريات خالدة ...

كانت اللحظة الحاسمة تقترب بسرعة عظيمة .. وكانت هذه السرعة فى حد ذاتها خطرا مباشرا على كل من له صلة بمسرح الاحداث ... فالحوادث عندما تسرع وتتلاحق ، يخشى ان ينفلت زمامها ، بحيث تتحكم هى فى الذين يصنعونها ..

والحوادث ايضا عندما تسرع وتتلاحق ، تكشف مكنونات النفوس وتجلو جواهرها ...

وهكذا كانت احداث شهر يوليو من عام ١٩٥٢ .. الاحداث التى سبقت يوم الثورة .. كانت سريعة متلاحقة ، وكانت تجرى فى اكثر من اتجاه ، وتجرف امامها اكثر من تيار ، وتنتاب بدوارها كل الرؤوس ...

كان الملك فى حالة اقرب الى الجنون .. فمنذ جاءت نتائج انتخابات النادى تحديا صريحا له ، ومنذ وقف ضباط الجيش فى ناديهم ذلك الموقف المكشوف المعادى للملك ، ومنذ بدت فيهم روح الاستهتار الذى لا حدود له بالعرش ، وبالتالى بكل القوى التى كان العرش يستند اليها .. وخصوصا قوته البوليسية التى كان فاروق يمنحها كل ثقته .. منذ وقعت كل هذه الاحداث ، والملك لا يقر له قرار ...

ولم يكن تاثير هذه الحالة فى الملك يقتصر على تصرفاته الشخصية فحسب ، ولا على علاقته بالجيش وقيادة الجيش فحسب ، وانما انعكست هذه الحالة على الموقف السياسى والموقف الوزارى

فاصبح بقاء الوزير فى وزارته رهنا بما لديه من حلول لهذا الموقف ، أو من آمال فى العثور على الحلول .

ولم يكن فى مصر كلها من يستطيع حل ذلك الموقف . ولذلك لم يكن وزير يبقى فى منصبه ..

وفى هذه الدوامة الصاخبة ، كانت قيادتنا تعمل فى صمت وهدوء وصبر واتزان .. كانت تعد لليوم الذى عرفه العالم كله ، وسجله التاريخ .. يوم الثورة ..

يوم الثورة ...

والايام التى سبقت يوم الثورة ...

قد لا يكون مما يهم قراء هذه الصفحات أن أذكر لهم تفاصيل الخطة التنفيذية للثورة ... فهى تفاصيل عسكرية ، كأى خطة عسكرية بسيطة توضع لاحتلال مدينة ، أو اقرار وضع .

ولكن ما قبل ذلك اليوم وما بعده يهم كثيرا ..

وملابسات التنفيذ فى تلك الليلة تهم أيضا كثيرا ..

لان ما مر بنا فى تلك الايام ، وما مر بنا فى تلك الليلة بالذات ، هو التاريخ الحقيقى للناس وللشعب ، وللاوضاع التى سيطرت على البلاد حقبة طويلة من الزمن ..

لكأن السنين جميعا كانت ترسب رواسبها مصفات الزمن ، لتتراكم هذه الرواسب كلها فى فترة قصيرة .. هى تلك التى سبقت يوم ٢٣ يوليو ..

وكأن صراع الشعب وآماله قد تجمعت ايضا خلال الاعوام الطويلة الكئيبة ، لكى تقود خطى الجيش والشعب فى ذلك اليوم التاريخى المجيد .

وفى خلال كل ذلك تقع مفارقات ، وحوادث صغيرة ، وتصرفات شخصية ، قد نذكرها اليوم فنبسم ونضحك ، ونحمد الله .. ولكنها حين كانت تقع كانت تؤرق البال .. حتى تنتهى .!

مع القصر وجها لوجه

ولقد كان القصر فى تلك الايام لا يزال شاكا فى قدرتنا على القيام بحركة كاملة .. ولكنه كان يريد ان يبطش بنا ، استعادة لمكانته التى راى أنها اهتزت اهتزازا شديدا . وقطعا للطريق علينا ، لانه كان يعتقد اننا وان كنا اضعف من ان نقوم بحركة كاملة ، فنحن على كل حال نستطيع ان نكون التمهيد الاول للحركة الكاملة ..

كان هو يعتقد هذا .. وكنا نحن نغذى فيه ذلك الاعتقاد بالاساليب الكثيرة التى اتخذناها ، لتضليله وتضليل رجاله فى القصر ، وفى الجيش ..

ولذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهذا الفتك .. فى نفس الوقت الذى كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة الحاسمة ، للفتك به ، بعرشه وحكم أسرته للبلاد ..

ماذا بعـــد الثـــورة ؟

كنا قد انتهينا من ذلك تماما .. وكنا لهذا قد بدأنا نفكر فيما بعـــد الثورة أيضا .. وكنا أيضا قد انتهينا الى قرار ..

ففيما يتعلق بالثورة نفسها ، وبتنفيذ خطتنا ، كان قرارنا هو أن ينفرد الجيش بكل شيء .. فقد قام جمال باتصالات كافية مع جميع الهيئـــات التى كان يمكن أن تكون عاملا مساعدا فى الثورة ، واذا بالنتيجة الوحيـــدة التى يخرج بها ، هى ان الجيش يجب ان يتحمل وحده جميع اعباء التنفيذ . لان جميع الهيئات والاحزاب التى اتصل بها ، قد اثبتت أنهـــا غير جديرة بالثورة ، ولا مستعدة لعمل أى شيء ، بل لعل ما فيها من رجعية أصيلة كان وحده خليقا بدفعها الى خيانة الثورة ، لو انهـــا استطاعت الى ذلك سـبيلا ..

ومع ذلك فقد بقى علينا أن نفكر فيما بعد الثورة .. فيما يخلف التنفيذ .. ماذا نصنع ؟

هل نحـــكم ؟

هل نسلم الامر للشعب يصرفه كيف يشاء ؟

ومن الذى يتحمل مسئولية الحكم عندما نترك الامر للشعب ، ريثمـــا يختار الشعب ممثليه ؟

سؤال يقضى على السؤال الاول قضاء مبرما ؟

فهل نسلم الامر للسياسيين .. ؟

واى السياسيين جدير بقيادة البلاد بعد الثورة ؟

وعلى اى أساس يحكمون ؟!

وجعلنا نقلب الامور .. نضع كل فرض ثم ندور حوله ، نتلمس أوجه القوة فيه وأوجه الضعف ..

وينهار الفرض الاول ، فنبحث عن الفرض الثانى ..

وهكذا دراسة طويلة خرجنا منها بنتيجة واحدة هى :

ان الجيش لا يحكم ، وانما يقوم بالثورة ، ثم يسلم البـــلاد للمدنيين فى اللحظة التى يفرغ فيها من عمله الكبير ..

أما كيف .. وأى أنواع المدنيين .. فلم نستطع ان نقرر شيئا محددا معينا .. وانما اكتفينا بأن نقرر مبدئيا ، اعادة البرلمان المحلول ، وكان هو نفس برلمان سنة ١٩٥٠ ، الذى جاء بأغلبية وفدية ، وترك الحكم لحزب الاغلبية يصرفه ريثما تجرى أول انتخابات نظيفة فى مصر ..

مثل للسياسيين

هذا هو القرار الذى استرحنا اليه ، وشعرنا حياله بالعزة الكاملة ، وروعة المثل الاعلى ...

أليست ثورة على الاوضاع القديمة كلها ...

فماذا كان الطابع المميز للاوضاع القديمة ؟!

كان شيئا واحدا ظاهرا .. الجهاد فى سبيل الحكم ، لا الجهاد فى سبيل المثل الاعلى ، أو فى سبيل الصالح العام ..

الاحزاب كانت هكذا ..

والهيئات كانت هكذا ..

والمستقلون والافراد كانوا هكذا ..

كل كان يسعى الى الحكم ، ليحقق به مصالح شخصية وحزبية .. وكل كان يجعل الصالح العام فى المرتبة الثانية على أقل تقدير ..

ولذلك أردنا أن نضرب للشعب مثلا جديدا ، أردنا أن نقدم له صورة جديدة يرى فيها وجوه أبنائه المخلصين ، لا وجوه حكامه المفسدين ..

اردنا أن نقول له ، لقد انجبت أفرادا يستطيعون أن يكافحوا فى سبيلك لا فى سبيل انفسهم .. وان يصلوا الى الحكم فى سبيلك لا فى سبيل انفسهم .. ولكنهم لايحكمون .. لا يحكمون لانهم ـ حقيقة ـ لم يعملوا فى سبيل الحكم ، ولكن عملوا فى سبيلك ـ ولك انت وحدك بعد ذلك أن تحكم ، وان تختار ما يحكمون .

لم يكن احدا يترك الحكم مختارا .. فأردنا أن نتركه مختارين .. أن نتركه والشعب يدمى ايديه تصفيقا لنا ، ودفعا بنا الى مقاعد الحكم .. أن نتركه وقد حققنا الامنية الاولى لكل مصرى عاش فى خلال القرن الاخير .. امنية الخلاص من حكم أسرة محمد على وملوك أسرة محمد على .

أردنا ان نضرب مثـــلا للسياسيين .. مثلا يقنعهم بالدليـــل الواقعى القاطع ، بان الوضع كله قد تغير .. تغير من أساسه الى الحد الذى أصبح الحاكم يترك الحكم فيه فى يوم نصره الكبير ..

اردنا ان تقول له ، لقد انجبت افرادا يستطيعون ان يكافحوا فى سبيلك مطمعا ، مادام الحاكم لا يقصد به الا مصلحة الوطن ، واننـــا لذلك نترك الحكم او نترفع عنه .. نأباه لانفسنا لاننا لا نريد أن نحكم ، وانما نريد لمصر أن تحكم حكما صالحا .. وأن نكون نحن بعض جنود هذا الحكم الصالح النزيه ..

واعتقدنا اننا اذا فعلنا ذلك ، فقد قضينا على كل أمل للسياســيين فى أن ينظروا الى الحكم كوسيلة للكسب أو الاثراء او استغلال النفوذ .. فان وضع المثل الصالح أمام اعينهم كفيل بدفعهم الى احتذائه او التمثيل به .

الخطأ الوحيد

وكم كنا طيبين بسطاء .. وكم كنا متفائلين .

لقد قدرنا كل شىء من اعمالنا العسكرية ، فأحسنا التقدير ولم نخطىء مرة واحدة ..

ولكننا قدرنا فى هذه المرة ، فأخفقنا الواقع .. وغلب فينا التفاؤل على ادراك حقيقة الواقع ..

عندما نصل الى الحديث عما تلا الثورة من الاحداث ، سيأتى تفصيل الامر كاملا .. وسيعرف الناس لماذا حكم على ماهر شهرا ، ولماذا تولينا الحكم ، وكيف أردنا ان نعيد البرلمان القديم ، وكيف قررنا اجراء الانتخابات العامة فى فبراير ١٩٥٣ ، اى بعد ستة اشهر فقط من الثورة ..

كنا نريد أن نغلب الواقع الكريه على أمره .. كنـــا نريد أن ننتصر على كل شىء حتى على خبث النفوس ..

ولكن أخيرا .. وضح لنا أن المستحيل له وجود .. وأن نابليـــون لم يكن على حق ابدا !!

ولكن هذا سنتركه اليوم .. نتركه كما تركناه يوم فكرنا فيه ، ثم لم نكد نستقر على رأى ، حتى أدرنا عيوننا وجهة اخرى .. بدانا نعد للتنفيذ ، ونرقب الاحداث ..

يوم مجيــــــد

وجاء يوم ٢٣ يوليو ، ليظهر لنا أشياء كثيرة .. ليظهر لنا أن تقديراتنا كانت صحيحة تماما .. وان الله كان يرقب حركتنا ، ويقدر لها معنا كل ما يكفل لها النجاح .. وأن الشعب كان كله فى انتظار القيادة التى تقوده الى النصر .. فينتصر ..

ولعلى لست مستطيعا أن أؤرخ تاريخ شاهد العيان للايام التى سبقت ٢٣ يوليو مباشرة .. فقد كنت اذ ذاك فى رفح .. وعندما وصلنى الامر من جمال بالعودة ، عدت مباشرة ، ولكنى لم أكن أفطن أن الحركة مدبرة فى الليلة نفسها .. ولعل القراء يدهشون اذ أروى لهم انى جئت من السفر ، وتوجهت مباشرة الى احدى دور السينما .. فمـــا أن عدت فى منتصف الليل الى منزلى ، حتى وجدت اشارة التنفيذ ، فلم ألبث لحظة واحدة ، وانما مضيت من فورى الى القيادة .

وهناك أصبحت نكتة تروى ، ونادرة يتندر بها الاخوان ..

فما أن يسأل واحد منهم فى أى من اجتماعاتنا ــ حتى اليوم ــ أين انور ، حتى يجد من يجيب : فى السينما ..

ولذلك اقتصر على ما رأيته ، وما شاركت فيه قبيل الحركة وأثناءها ..

تهــديد نجيب

ولعل أخطر ما مر بنا قبيل الحركة ، كان المحاولة الاخيرة من القصر ، التى انتهت بقرار حل مجلس ادارة النادى ..

فقد أرسل القصر الى نجيب تهديدات كثيرة بنقله من القاهرة .. وكان مغزى هذا النقل ، هو اجباره على الاستقالة ، أو دفعه اليها .. كما وجد من رؤساء الوزارات من حاول أن يغريه بكرسى الوزير ، وكان علينا أن نحــافظ على بقائه ضابطا معنا ، بعد ان استقر رأينا على تكليفه بقيادة الثورة .

واجتمعنا فى تلك الايام ، وبحثنا الامر ، ثم توجه جمال الى نجيب ، وطلب منه الا يستقيل أبدا مهما هددوه ومهما صنعوا به ، وان يعمل على المحافظة

على نفسه ، وعلى مركزه فى الجيش ، بأى ثمن وبأية وسيلة .. وطلب منه طبعا فى حالة عرض الوزارة عليه ان يرفضها ..

ووافق نجيب على ذلك .. وفعلا لم يخضع لعوامل التهديد ، ولا لعوامل الاغراء ، ولم يقبل شيئا مطلقا ..

وكان لهذا الرفض طبعا عواقبه .. اذ ترتب عليه صدور القرار بحل مجلس ادارة النادى ، وان يقوم محمد نجيب بتسليم النادى لاخيه ، اللواء على نجيب .. على ان يتكون للنادى بعد ذلك مجلس ادارة مؤقت ..

وهذه طبعا كانت الشرارة المباشرة المؤذنة بالحركة ..

ذكريات

وفى يوم الحركة ، لكل منا ذكريات .. وذكريات ..

فى ذلك اليوم نفسه ، كان جمال وكمال الدين حسين ــ مثلا ــ لايزالان يقومان بالتدريس فى كلية أركان الحرب فعلا .. ولم يبد عليهما للضباط اى شىء .. رغم أن خطة تنفيذ الحركة نفسها ، كان مستقرة مطمئنة فى جيب سترة جمال ..

ويذكر كمال الدين حسين ، انه فى نفس يوم ٢٢ يوليو ظهرا ، كان يناقش بعض طلبة الكلية .. واخذ الطلبة يسالونه اسئلة ، واذا به يذكر ان هناك واجبا عليه ، اهم من مناقشة الطلبة ، والاجابة على اسئلتهم فى ذلك اليوم فاخذ يتهرب من اجاباتهم ، و « يكلفت » الشرح « كلفتة » ظاهرة ، وظلته فى اندهاش .. لان الذين يعرفون كمال يعرفون مدى دقته واخلاصه لعمله وعنايته فيه بكل صغيرة وكبيرة ..

ولكن هؤلاء الطلاب ، رأوا كمال بعد الحركة لكى يحاسبوه على هذه « الكلفتة » التى لم تغب عنهم ، والتى لم يكونوا يدركون فى ظهر ذلك اليوم السبب فيها .. وكان يستغربون ..

ولا يكاد كمال يذكر هذه القصة ، حتى يذكر كيف خرج لاداء واجبه فى تلك الليلة .. وليس معه سلاح .. فهو يروى انه اتفق مع جمال على ان يزوده جمال ببعض الاسلحة ليخرج بها هو ورجاله .. وتاتى ساعة التنفيذ ، فيفاجأ كمال ، بأن جمالا لن يستطيع تزويده بالاسلحة لان المخزن الذى كان متفقا على اخذ السلاح منه كان مغلقا ..

وقال كمال الدين حسين .. توكلت على الله واخذ رجاله معه ، وليس معهم جميعا سوى طبنجة واحدة .. ومضوا الى سلاح المدفعية .. سلاح كمال .. ومن هناك أخذ كل ضابط سلاحه ، وخرجوا الى عمليتهم .. الى عمليتهم ..

ومثل هذه الذكريات يذكرها الآخرون ..

يذكر جمال سالم وصلاح سالم ذكريات من رفح ومن العريش ..

موقف رشاد

فقد كان جمال فى العريش ، وكان صلاح فى رفح .. والى كليهما وكلت عمليات الثورة فى ذلك القطاع ..

وكان ادق مايواجههم هناك ، هو وجود رشاد مهنا ، الذى كان بالعريش ، ولم يكن على علم بشىء عن الثورة حتى تم تنفيذها فعلا

وكان على جمال سالم أن يتولى هو قيادة العملية كلها هناك .. برغم انه طيار ، وان صلته ليست وثيقة بضباط الجيش بطبيعة الحال ..

ويذكر جمال سالم انه طلب معونة رشاد مهنا ، فرفض أن يذهب فى تلك الليلة ، رفض ان يذهب الى قيادة القوة او ان يظهر بأى صورة من الصور ..

ولقد كان رشاد مهنا فعلا مشكلة لنا .. فقد كان التشكيل قد قرر عدم تكليفه بأى عمل من أعمال الاحرار .. وكان رشاد نفسه متباعدا نائيا بنفسه عن الشبهات ، ولكنه مع ذلك ، كان قد اقنع عددا كبيرا من ضباط المدفعية ، بأنه وراء كل اصلاح يجرى فى داخل الجيش ، وكان قد كسب بذلك ثقتهم .. ولك لم يكن سهلا علينا ان ننزع هذه الثقة ، لان ظروف الثورة نفسها لم تكن تحتمل مجادلات ، وكان هذا يعنى ان نحافظ على صلتنا برشاد ، ودية سليمة ، محافظة منا على القوة التى كانت تؤمن به ، وتثق فيه ..

وجاء .. فى موكب

وعند مانجحت الثورة فى القاهرة ، أصدرت قيادتنا اوامرها الى رشاد بأن يبقى فى العريش وان يقوم بقيادة الفرقة هناك ..

ولكن رشاد لم يخضع لهذا الامر .. بل عاد الى القاهرة فى يوم ٢٥ يوليه ، ودخل الى القيادة فى موكب من الضباط والحرس ، ثم سافر الى

الاسكندرية ، ليحضر خروج الملك باعتباره مشتركا فى العملية وفى قيادتها ..

واتقن رشاد دوره حتى ظن اكثر الضباط انه عمود كبير جدا من اعمدة الثورة ، وذهبوا يرددون ماكان يختلقه لنفسه من ادوار وهمية عظيمة ..

ولا شك ان هذا التصرف قد اثر فينا فى ذلك اليوم فالمهم هو ان تنجح الثورة فقط .

... اما جمال ، فقد دعا اليه رشاد ، وكلمه على انفراد ، ولامه كثيرا على هذا التصرف ، حتى اعتذر رشاد .. وبكى ...

وعيناه وصيا

وعند خروج الملك ، وبحث مسألة الوصاية قررنا تعيين رشاد مهنا وصيا على العرش .. وكانت اسباب هذا التعيين هى ؟ اولا تعيين احد الضباط وصيا على الا يكون هذا الضابط من اعضاء مجلس القيادة حتى نحتفظ بجماعتنا كاملة داخل المجلس .. وثانيا لان رشاد كان بطبعه يحب المظهر الكبير ، وكان هذا المنصب كفيلا بارضاء نزعاته ..

وفعلا ، عينا رشاد وزيرا للمواصلات تمهيدا لتعيينه وصيا ..

وذهب جمال سالم اليه ليبلغه بذلك .. فاذا به ـ اى رشاد ـ يبكى وينتحب .. ويقول وهو يشرق الدموع .. انا لا استحق كل هذا .. انا منذ الان ، خادم المجلس .. وخادم الثورة ..

قال هذا .. ولكن ..

ولكن بينما كانت جماهير الشعب كله تهتف بحياة الثورة ، وبينما انطلقت اصواتها الجبسة تطالب بالاصلاح ، وتعلن عن فهمها لحقيقة الثورة الكبيرة ، وانها لا يمكن أن تكون مجرد عملية لاخراج فارق .. وبينما كان الكادحون يبثون آلامهم للقادة ، والقادة يعلنون آمالهم للشعب .. كان رشاد مهنا ، وطغمة الاقطاعيين والسياسيين ، قد بداوا فى نفس الوقت يتآمرون على الثورة .. وعلى حقوق الشعب ..

لقد نجحت الثورة .. ولهم هم أن يكسبوا مغانمها .. اليس لكل شىء ناجح أرباح ، والم يكونوا هم وحدهم الذين يستولون على الارباح دون الشعب ؟ ..

وهذه قصة بدانا بها المذكرات .. ولا بأس من ان نختمها بها أيضا ..

فهرس

كتب للجميع

كتب قيمة بقروش زهيدة

تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر

مدير المجلة : السيد ابراهيم

رئيس التحرير : دكتور فائق الجوهري

سكرتير التحرير : مرزوق احمد

ثمن العدد :

مصر والسودان		٧٠ مليما .
سوريا	بالطائرات	٧٥ قرشا سوريا
لبنان	«	٧٥ قرشا لبنانيا
العراق	«	٨٠ فلسا
الاردن	«	٨٠ فلسا
المملكة العربية السعودية	«	١٨ قرشاسعوديا

الاشتراكات :

القطر المصرى والسودان عن سنة « ١٢ عددا » ٧٠ قرشا
سوريا ولبنان بالطائرات ٨٠٠قرش سورى او لبنانى
الاردن والعراق بالطائرات ٩٠٠ فلس

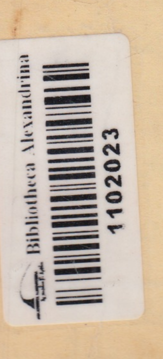
طريقة الدفع :

مصر والسودان : نقدا او بموجب اذونات او حوالات بريد او شيكات
خارج القطر المصرى : حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة

المكاتبات بعنوان ٥ شارع نجيب الريحانى ت ٧٩٦٤٧

الاعلانات : يتفق عليها مع شركة الاعلانات المصرية « ش.م.م » - شارع جلال بالقاهرة .

العدد ٨٤ نوفمبر ١٩٥٤


Bibliotheca Alexandrina
1102023